

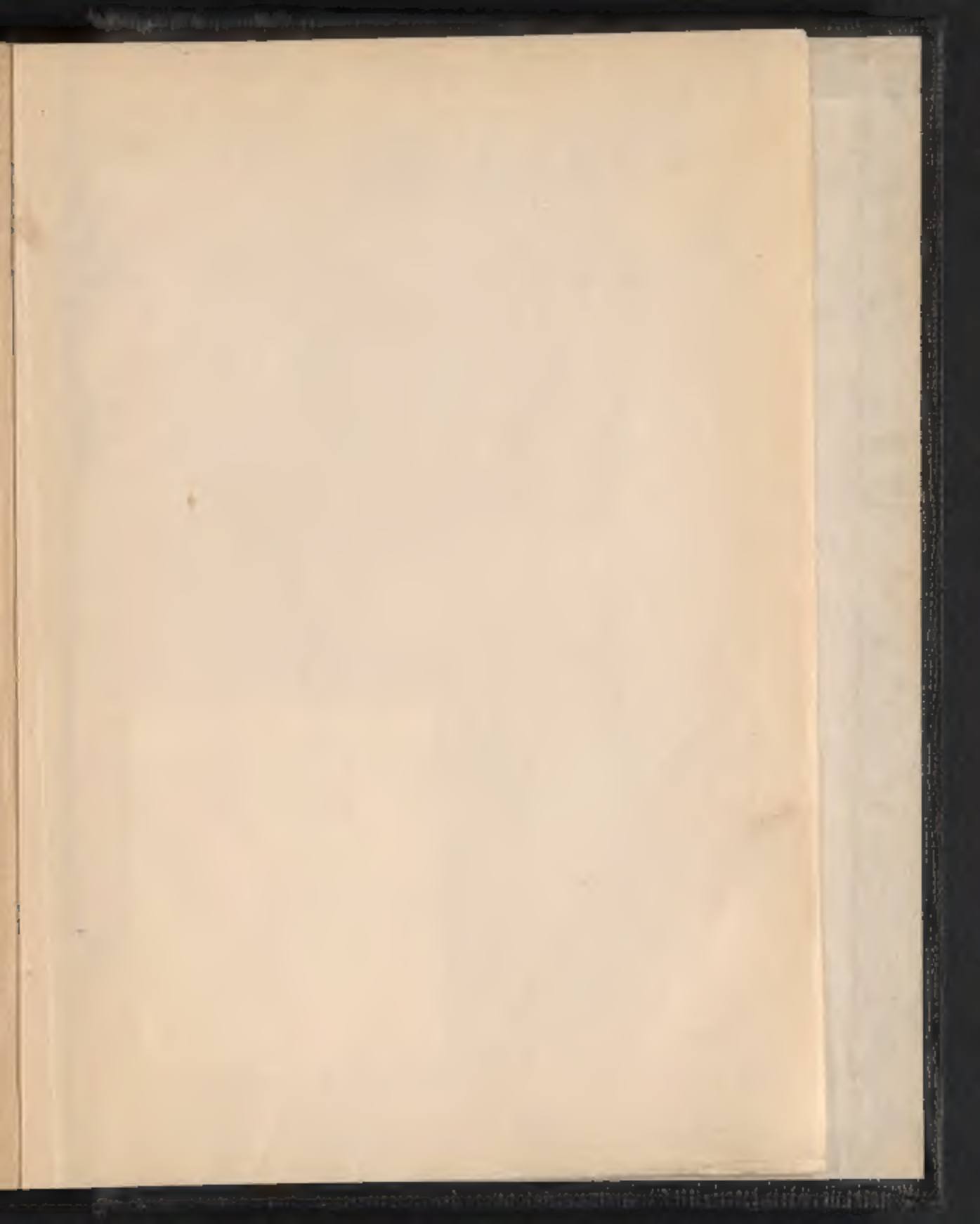
AMERICAN LIBR. IN CAROL LIBRARY



3 8534 01002 1149

06-B1625





الى المحقق الذي قد رتبته
افندي محمد علي صديق الله
مما ذكره في
المجلد

مطبعه سكرية

١٠/١٢/١٩٤٥

سحر لبستان

DS

80.2

٧٣

1955

تأليف

ميشيل سليم يمين

دار المعارف بمصر

910, 77
س.م.س

36684

تصدير

بقلم الشاعر الأستاذ حسن كامل الصيرفي

لُبنانُ والحُلْدُ اختراع الله لم يوسم بأحسن منهما ملكوتُه

رحم الله (شوقي) فقد صدق كل الصديق حين نطق بهذا البيت ،
ولا أعدو الحق إن قلت إن (شوقي) على كثرة ما وصف جمال الطبيعة
في شتى البلاد لم يبلغ الذروة التي بلغها في شعره عن لبنان ، ذلك
أن لهذا القطر العربي الحبيب من السحر ما يوحى بأروع الشعر .

ولقد أحببت (لبنان) من خيال شعرائه ، وأحبيته بعد ذلك
من خلق أبنائه . وإن الله إذ أفاض على هذا الجبل الأشم أروع صوره
لتقف الأجيال خاشعة أمام قدرته في روعة التصوير ، أفاض على السن
أبنائه أبدع فيكبره ليتفتنوا أبدع التفنن في التعبير .

لذلك سررت حين قرأ على الصديق الأديب الأستاذ ميشيل سليم يمينا
كتابه «سحر لبنان» ، وكنت أستمع إليه وهو يحدثني عن رحلته
ويصعدني فوق القمم الشاهق ويهبطني إلى الشقوق الخضر مفتوناً بهذا
الحديث العذب مأخوذاً بذلك الجمال السليح .

والأستاذ «يمينا» مؤلف هذا الكتاب يحدث لبق اكتسب معارف عامة
جمة من ماضيه في الصحافة ؛ إذ التحق بعد تخرجه في مدرسة التجارة العليا

بالقاهرة سنة ١٩٣٣ بجريدة (المقطم) فكان يحرر فيها صحيفة « مجلة في صفحة » يضمها موضوعات طريفة وشذرات لطيفة مترجمة عن الفرنسية والإنجليزية . كما اكتسب أيضاً مقدرة قصصية مما كان ينشر من قصص يؤلفه تارة ويترجمه تارة أخرى . ثم عهدت إليه اللجنة الوطنية للفرنسيين الأحرار في الحرب الكبرى الأخيرة وضع كتاب عن حركة فرنسا الحرة باللغة العربية فقام بإخراج ذلك الكتاب الذي لقي من التقدير مما دعا إلى نقاد نسخه . فلما تبوأ لوضع كتابه « سحر لبنان » يسجل فيه رحلته إلى وطنه الأول بعد غيبة بلغت ربع قرن من الزمان كانت مطالعته وآثاره القصصية لبينات طيبة نهض عليها أساس كتابه الجديد .

فهو ينتقل في كل مكان بإلهام الشاعر والمصور ، وبإحساس المغترب العائد في شوق وتلهف ، وبعين المتفحص المدقق يقارن بين الماضي والحاضر ويطلعنا على آثار التقدم والنشاط ، ولذلك كان لرحلته أثر جميل يحسه قارئ كتابه لأنه كتبه كما يكتب قصة ، ودون فيه من المعلومات الطريفة ما يهم كل شرفي . ولذلك كان توفيقاً من الناشر أن ينشر بين الناس كتاباً كهذا مستهلاً به السنة السياحية التي تعترم الحكومة اللبنانية إقامتها . لقد أحببت لبنان كما قلت وما زلت أمني النفس بالهجر إلى ربوع هذه الجنة الأرضية لأقرأ على صفحاتها تلك القصيدة العلوية الساحرة . وإلى أن يتحقق لي هذا الحلم أعاود النظر في كتاب « سحر لبنان » فإن فيه من صوره ومفاته الكثير .

حسن طامل الصبر في

القاهرة ، في مارس سنة ١٩٥٥

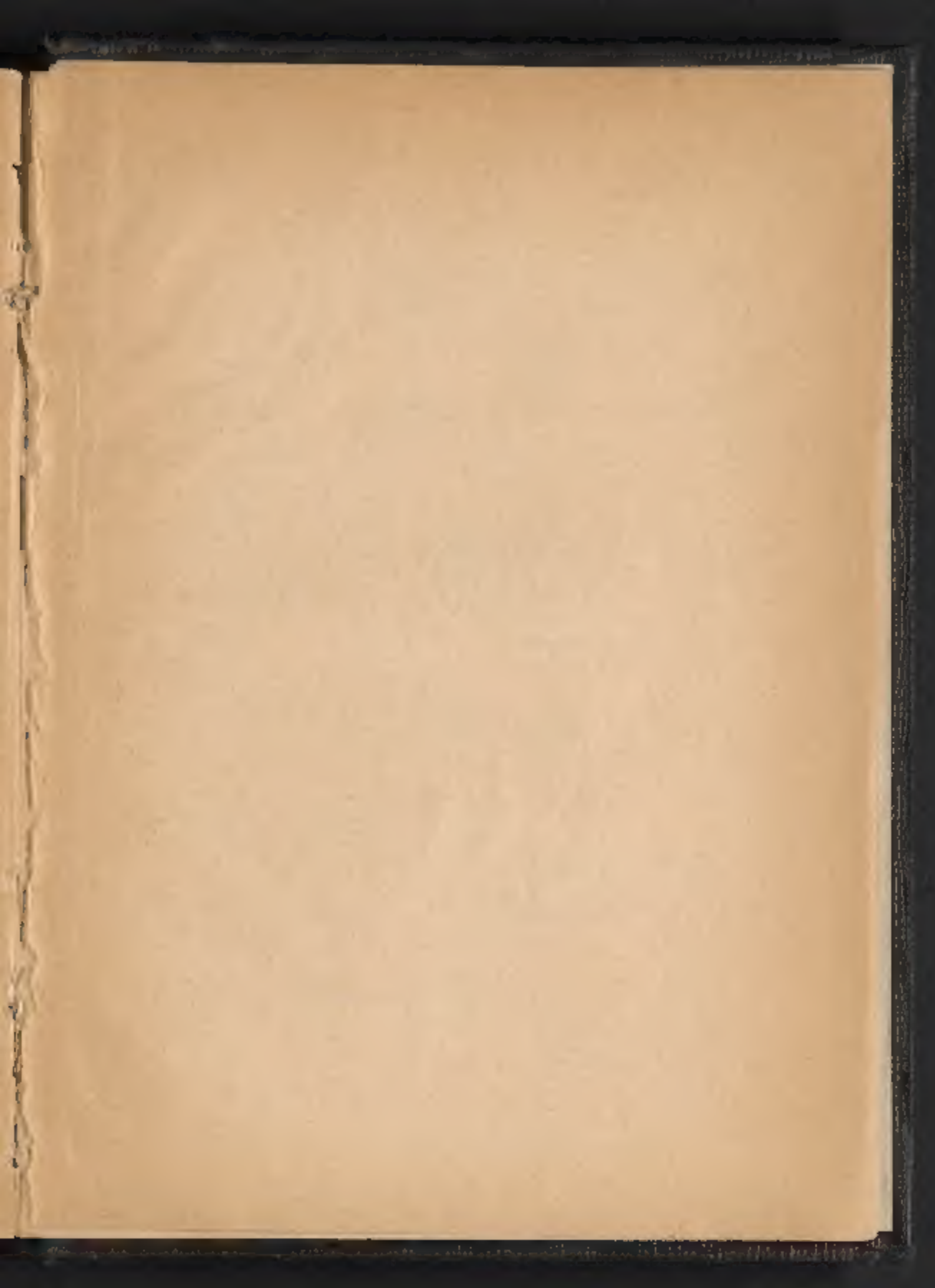
الإهداء

هذه رحلة قمت بها إلى ربوع لبنان، مع نفر من الأصدقاء، يسرفي أن أهديها إلى المقترين اللبنانيين ومحبي لبنان، بمناسبة السنة السياحية للمقترين. وقبل أن أبدأ الكتابة عنها نزولاً على إلحاح رفاق السفر، وإشفاقاً على ما أتخفنا به ذلك الصحافي الذي تكرم بمرافقتنا من معلومات شائقة من الضياع، عقدت العزم على أن أنهج في الكتابة فيها على نهج الأسلوب القصصي السهل الممتع، كي يستسيغه القارئ فلا يملّه، ويعب من فيض ينبوعه فيرتوي ولا يمجّه.

والأمل يحلو لي أن أكون قد وفقت إلى إظهار بعض محاسن ذلك الجبل الأشم، الذي هو بلا شك بمنزلة وسام يزين صدر الأرض. كما قال الشاعر الكبير مصطفى صادق الرافعي:

لبنان فنٌ في الطبيعة قائم	دقت محاسنه على الأفهام
جبل إذا وصفوا الرواسي لم يكن	أبدأ لصدر الأرض غير وسام

وأخيراً لم أجد اسماً أجعله عنواناً لهذه الرحلة إلى بقاع لبنان الفاتنة، أنسب من اسم «سحر لبنان» لأن في السحر ألواناً من الجمال، ترقى بالإنسان فترهف حسه، وتهز قلبه، وتحرك مشاعره.



مقدمة

في نادى لبنان بالقاهرة

كان ثلاثة أشخاص . لم تكن بيننا سابقه معرفة . ولكن جمعت بيننا
حملة شائقة . من تلك الحملات النبوية التي يقيمها نادى لبنان في
القاهرة ، في كثير من المناسبات ، بدعوة إليها أصدقاء لبنان وما استقر
بها لمقام . أحدهم بصرف شتى الأحاديث . حتى نجا التعرف بيننا . فالآنسة
طالبة في كلية الآداب . والشاب ذكوري في العلوم الطبيعية وعم طينقات
الأرخص . وكلا الاثنين . سمعا عن لبنان . ولكنهما لم يرياها مرأى العين .
وبينا نحن نتحدث أطراف الحديث . لفت نظر الآنسة بصدفة .
صورة جميلة . موضوعة في صدر أبيض . معلمة في صدر لهنو بسى ك
فيه ، فأخذت تحقق النظر فيها . وتأنسها بعين النصار . فلاحظت عينيها
ذلك وقلت لها :

— أأمن الآنسة قد أعجبت بشجره الأرز ؟

فأجابت : أيتها المحب . وروسة شجر الأرز ؟

— قلت . أجل يا آنسة . وهو أشد روعة . رينه في موضعه .

رأيت الفرصة مواتية ، لأتحدث عن لبنان . وحنان الطبيعة في

لبنان ، ومناظره الفاتنة ، التي لا تمها العين . في انتصار بدء الحصة .

سيدنا سليمان العجيب ، وبساط الريح العريب . وكيف كان الخس
يتنقل به من مكان إلى مكان . بين طرفه عين ونشاهتها .

كانت مخيلتنا الساذجة تصور له بذلك . أن بساط الريح حلم من
الأحلام . لن تحققة الأيام . غير أن ما كان بالألمس حسماً . أصبح
اليوم حقيقة وادعة .

قلت الآنسة في لسان كل هذا الحما . ونحن منه عن قيد
ساعتين من الزمن ولا نره^٢ . ثم رأيت . لو شددت أرحا في هذا الصيف
إلى ربوع لسان الحميلة . وأنت برقتنا^٣

قلت برأي ما ارتأيت يا آنسة . ولكن هناك عتبات

- قلت . بالله .

- قس : حساً

وفي اليوم التالي . كما نحن الثلاثة في قيم الخورت ، وبعد أسبوع
اجتمعنا في مصر القاهرة بدون . لدى يعد من كبر مطارات العام
واقحمها ، بحسن تسييمه . وسعة مساحته . ويذيع بصره . ودقه لعمل فيه
وطرف موظفيه وحسن استقبالهم للمسافرين .

القاهرة في يناير سنة ١٩٥٥

ميكل سليم عيسى



در اسم حسنه کتب فی نسخ کتب - ۱۰۰



الفصل الأول

في الطريق إلى لبنان

منطقت لأول مرة في حيتي من لطفه من مطار القاهرة دون
 بصحة لآسة سلوي لصفه كنيه لآداب . ولدكتور حيل . دكتور
 في علم صفات الأرض . وولدي سعيد يدي لم تتحدور سنه سماعة . وفي
 داخل حيل شديد إلى لسان . أرض لأحلام . ومرتج حمان والحباب .
 كنت شديد لحواف من السمر حو . تمشياً مع تماثل إلى الأرض
 لب شهر من لصفه . عبر لب صائرة . ما كادت تعين اعتاقها عن
 لأرض برصة عيها . تأثير محر كاتها لقيه . ونصعد بنا في أحوار
 اللصفه . حتى شعرت بأن عمامة قد انكشفت عن صدي . وكذا
 كان حتماً فوق قد زاب عني . فتحررت إلى حيل من قيود هذه
 لأرض لي حلت إليها . وأنا لا أرى في هذا يحيى ولا حيل .

رحلت أنحل لسان بعد عيب صا حتى حاور ربع قرن من الزمان
 وأنا صامت مسكش في متعدد تأثير المربع . وكان كل واحد من
 الركاب صامناً مشي . يتأمل ويفكر ويتعد في برحه الدحي . وهو معق
 في اللصفه . بين الأرض والسماء

وكان بين المسافرين ضلال مرحان عبر وسى . لا يتجاوز سن

أكبرهما عشرة أعوام . قد أنى ثلاثة لآل يعاونو مصيفة مصائرة في مهمتها
تتى تقوم على خدمة المسافرين . وتوفير أساب راحة خم .
وكانت هذه المصيفة . وهى آية في بحساب واعتدال الهند ورشافة
القوام . شأن جميع المضيفات الأخريات انو فى أسعدنى الحظ ووقع
عينى نظرى صووجه الوجه . ضيقة انحيا . يفتن ثعرا عن نسامة
حلاوه . صعبها الأمل باسم عليه . كانت توجهها من حين إلى حين .
إلى كل واحد من مسافرين . حتى قصصا مرحته بين عاهرة ولساب . فى
قل من ساعتين . ونجس فى القساء معذوب . لم يشعر بما يشعر به
المسافرون . لولا أزيز محركات مصائرة

مطار بيروت الدولى

أشرفت الساعة على حادية عشرة عندما بدت لنا حبات ساء . يروح
الثلح قممها العالية . وهذا هى أشبه شىء حص أبصر . قد رصبعه حصرة
أشجار نبات بكثيفة . يبرح فى لارتع . حتى يجيل إلى لاسر أنه
يمصل بررقه السماء . ثم ما لش أن أصدت عيب مدينة بيروت خمينة
عروس لسا ودرة الشرق . وقد امتد سداها فى البحر بع المء منه عبا .
دوب أن يرتوى طيبة هذه الدهر الذى مرت به .

أحدثنا لرؤية هذا المظر لفتن . نشوة من السرور مكنت غلسا
مشاعربا . وهيمن شدة جماله على جميع حورحما . وما هى إلا دقائق

معدودات . حتى أحدث صاعقة تهبط سنوياً في مطار حنده الشهير . الذي تبلغ مساحته بجميع ملحقاته ما يقرب من ثلاثة ملايين متر مربع ، ويبعد عن بيروت بمقدار عشرة كيلو مترات ، وقد استبدلت الحكومة اللبنانية باسمه اسم « مطار بيروت الدولي » لأهميته العالمية . وللأسف الهام الذي يلعبه في محبة المواصلات الدولية

وقد وصف هذا المنصر كبار رحلات الطيران العالميين بقوهم عنه . إنه بحر مصرات الشرق العربي . ومن أكبرها مساحة . وأعظمها استعداداً . يسر شؤونه نحة من نخاع العقوب الحرة . الذين يضربون بسهم وافر في شؤون صبرات . وهذا يريد في مكانه العالمية ، ويشجع أكبر شركات الطيران على الإقبال عليه . واتخاذها محطة لمرور طائراتها فيه .

ولاشك في أن هذا المنصر . هو عامل من العوامل الهامة التي تدعو إلى تقدم لبنان من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . لوحده في بقعة من الأرض في الشرق . ما فتئت منذ أقدم العصور حنة انصب ترابها بأوروبا والشرق الأوسط والأدنى . فهو يستقبل في مساحته رحة طائفة كل خمس دقائق تقريباً .

وحتوى هذا المنصر على مدرجين كبيرين . ومساحة رحبه وسعه . تقرب مساحتها من ثلاثة وثلاثين ألف متر مربع

وقد شرعت السلطات اللبنانية في بناء هذا المطار عقب الحرب الكبرى الثانية . على سهل حصيب يمتد حتى شاطئ البحر . كان يسقى في الماضي بواسطة سوقى وأبو غير . وقد امتنحت الحكومة رسمياً سنة ١٩٥٠

حنين مغترب إلى لبنان

كان معاً في انصائرة شيخ أحت ظهره الأيام . يبدو كأنه حاور
 انسعين من عمره . بيد أنه لم يبع الستين . وقد لاحصت عليه طيبة الرحلة
 من القهرة إلى لبنان . أنه دامع العين . قلق الس . لا يستقر في حسنة
 على حال . وكنت كل حركة من حركته . تدل على أنه يتعجل الوقت
 ويستطلي سرعة انصائرة . وكنت تساس الريح في اندوؤها في طلفات
 الحو لعالية . وما كادت تحط رجاء على أرض المنظار . حتى كان شيخ
 أوب من عادره . فوقف في مكانه وهو مأخوذ بحمالة . وسعته ونظام العمل
 فيه . وسماعه لأوب مرة بعد فربة ثلاثين عاماً شعرة أساء من . فحدث على
 الأرض على مرأى من الناس . وبعد أن قبل ترابها ثلاثاً . انتصب على
 قدميه برشاقة ولسان حاله يقول :

« خلقي يا رب عندك . هه سيي قد كنتحلت تمرأى لسان »

دفعني فضول إلى التقرب من هذا الشيخ والتودد إليه . وسؤله عن أمره
 وما عساه أن يكون . وفتح لي باحبه وقال

- تركت لسان يا ولدي وأد في مستهل شببي . وشهدت رجائي إلى
 ولايات المتحدة الأمريكية مع نصر من شان صيغت منذ ثلاثين سنة تقريباً
 بعد أن رهست كرم العنب . وحلول الثوت . وسيت الذي نحوار العين .

وهذا كل ما حثته والآء والأحدا . لأجمع أجرة السمر .

ولما وشتت قدمي أرض الذهب . اعلمت في التحية . فأصت
مها مرور الأيدي ثروه ضائلة . وثت تعمير ولدي في المسكن مهما يشطه
المر . أو تدهنه اندار بض دائم الحبس إلى لس . ويب يسعه عدة
سارفة حتى رونه صغير . ودروس قرينه نوعة التي دب وشت عديها .
وأشجار عدة تحيط بها . وكثيراً ما كان يتبأضها

فان ي ولدي لم تشد عن هذا . فقد عودني الحبس في ساء لرؤية
من تنق من لأهل وحلال . وتمتع نحو صيغتي التي شأت فيها .
وكتفت قبل معادتي هذا وأن في حجر الشب . وبيع الحدة . اشتعل
بسكفة بعض وقت من تحية نهار . كما كت أعلم أفتاب هرية مسدي
نمرة والنكبة تحت سديبة نكيسه وارقه الضل . وشجرة السرو التي
تدصح سحب في عود بعض وقت لآخر

وإن اليوم قد اشتفت في ساء فعدت إليه . بعد أن مررت بالقاهرة
حيث ريت بعض لأهل . لأموت فيه وأكنس شجعه لأبيض .

كان شيخاً وهو يتحدثني عن حبيبته في لسان . ويحس في غرله عن
سلس . يتفرق دمع الفرح في عيبيه . لأن الله مدني أحبه . حتى عاد
إلى وضعه قرير عيني . مضطرب السال .

نح على شيخنا الحبيب في الهدية أن أروده في قرينه واقعة في حرود
لسان . فوعده بدنت . ثم ودعته ودعوت به بصوت العمر . وصيب لإقامه
في ربيع صبيغته خدسة .

في جمرک بيروت

دخلنا بعدئذ دائرة الجمرک . واستقبل موضوعه بوجوه دسقة . وتغور مشرقة باسمه . وكانت معانيتها لجميع المستعربين على ما رأيت وسمعتها . غاية ما تكون من لأدب وعرف ومخلف . تلك صلات متأصلة في نفوس بساين . اكتسوها من حمى بلادهم . وتجر مناصر حاشم . فلا إحرأات صفة معقدة . ولا صعوبات حركية . هففة . بل كل كل شيء يسير في جمرک بيروت في يسر وبساطة . لا عتدر لبس بل مفتوحة . لوانه لكل قادم .

مدخل بيروت من المنظار

تركنا المنصر وامتطينا سيارة أجرة دخلت في مدخل بيروت الحموي . وهو طريق متسع عرضه أربعون متراً . وينقسم إلى قسمين . أحدهما للذهب . والآخر للإياب . يتخللها في بعض المواضع مآوى مسقة تنسيقاً ديباً . عرس في وسطها الأشجار والأزهار . إلى أن وصلنا إلى حرش الصنوبر القديم الذي يرجع عهده إلى ما قبل القرن الثالث عشر .

وقد حدد لأمبر حجر بين المعنى الشهير عرس بعض أشجاره منذ ثلاثمائة
سنة تقريباً . فاحتفظت لسياره في وسطه . وكانت شمس الصباح تعمره
نبض من سور لا يقوى على التسلل من بين أغصان أشجاره الكثيفة ،
ولا تقتصر فائدة مدخل بيروت الجنوى على وصلها بمطارها الحديث
فحسب ، وإنما تعدى إلى ما هو أعم من ذلك ، إذ قد ساعد شق هذا
المصربق على اتساع تصدق رقعة العمران . وامتدادها إلى ضواحي بيروت
لمكثفة بالسكان ، كما شجع على إنشاء حمامات المدينة على الشاطئ
الخميل . ويقيم سكان بيروت في هذه الحر الشديد ، لأنرويع عن النفس
في هذه الحمامات والمدرجات التي في الضواحي . هي المتنفس الوحيد للمدينة
كبيرة . تستوعب عدد من السكان يفوق طاقتها . إذا قيس هذا بمساحات

الفصل الثاني

بيروت الفينيقية

وصد إلى مدينة بيروت القديمة قدم الإنسان . وهي قائمة على بقعة صخرية تتدرج في الارتفاع حتى تتصل بحد لبنان . لها لسان يمتد إلى ما يقرب من تسعة كيلو مترات في البحر الأبيض المتوسط منذ آلاف السنين فتعسل مياهه أضراسه .

ويرجح العلماء أن بيروت سميت بعد الطوفان . وأحدث اسمها من عادت شجر السرو التي كانت تحيط بها في الماضي وتكسو ربابها . وترصع بلونها اللازوردى ذرى لبنان .

واسم هذه الأشجار باللغة الفينيقية « براني » . وكانت مكرسة للمعبودة عشتروت إلهة الجمال ، ومن فني هذا الشجر الشامخ الارتفاع ، يشاهد حتى يومنا هذا في بعض أنحاء مدينة بيروت أمام بعض المعابد والمدافن ، وهو دائم الاخضرار ، أغصانه ممتدة انتفاهاً مستديراً متلاصقاً . ويعود إلى أكثر من عشرين متراً . ويرمر به إلى الخلود

كانت بيروت في عهد الفينيقيين مدينة زهية زهرة نامية . وكان لها شأن عظيم في العلوم والفنون والآداب والتجارة وصناعة تحكيم موقعها الجغرافي . فكانت مراكزهم المصنوعة من خشب الأرز . تحوّل السحار

سعيدة . وتردد الأصقاع سائبة . فوصلوا إلى بلاد اشد المترامية
 لأطراف وقدموا على شوطها . وبيعوا في داحيها حتى اقرروا من حساب
 هماليا فتساقطوها . وبيعوا من بلاد اصبين الوسعة الرقعة وحنطوا بأهليها
 ولد أعراهم حب الكس . تحروا خيراتها الوفيرة . ونشأوا على سقمهم
 محسولاتها . لأر الميقيين كانوا حارة حادفين . ونحدرأ ماهرين بارعين .
 وصحت عقول حماره جمعهم حتى أسياذ سحر في العهد القديم .

بيروت في عهد اليونان وارومان

وكتست بيروت في عهد ايونان وارومان شهرة وسعة . حتى إن
 حوبا . ابنه بوليوس قبصر الإمبراطور الرومان اعصم . يد فنها حال
 بيروت . صلف اسمها عليها حوبا لسعيدة » كما أقامت على ساحلها
 الحرفيات نيات الحمام . الحمامات الرقعة . والملاعب رومانية لغاتة .
 وكانت مدرسة الفقه التي أسسها الإمبراطور سكندر سيفير سنة ٢٢٢ ميلادية
 تفوق بأهميتها مدرس الحقوق في القسطنطينية والإسكندرية وأثينا . كما كانت
 تصارع في مقدرة أساتذتها وبرعاتهم في علم الفقه . مدرسة روما عظيمة .
 وما تربع الإمبراطور يوستيان على عرش القسطنطينية . رغب في
 تهذيب لشرائع واثموا بين الرومانية وتصميمها . فاختار نخبة من فطاحل
 رجال القانون في ذلك العهد . ليقوموا بهذا العمل الخليل الحصر الشد .
 وكان بين هؤلاء العلماء لأعلام . ثلاثة من كبار أساتذة مدرسة الفقه في

بيروت وهم : اود كسيوس واناطوليوس ودوروثيوس . فأنحروا في وقت وحير
تلك المهمة شاقه التي أبصت لهم . وحدث العمل الحبل هام الذي أسد
إيهم . وما فتى هذا المهيب في تمويين يسب حتى يومنا هذا إلى هذا
الإمبراطور العظيم

شاعر يتعنى بجمال بيروت

وقد تعنى الشاعر برومي نوبس دي نوبس بجمال بيروت ، وأشاد
بعضة معبدها الزاهر لدى طيق ذكره الآفاق . وأنسب في وصف
أحراجه الحميلة التي كانت تحيط بها إحاطة السور بمعصم الحساء .
وبسببها اليدعة التي كانت مبدل لسان اديطه من على الحد ترويه فقد
هناك مدينة تشرف على البحر . كالحريه الحميلة المتوحة بالحصره .
اسمها بيرويه

هي منع الحياة . هي موطر الحب
تنتشر أمام لسان . تحب مرتعنه دت لأحراج . فتقيها الاحترق
هناك تدرك المرء نسائم معطرة محيية ، بين أشجار سرو . الذي يش
في مهب الرياح ، ويرتجف من هبوب العوصف
بيرويه هي نقطة اشتداء الحياة

هي الأم معدية المداش . هي موضع اعتزاز الأمراء والنساء
هي بند خواصر ، أخت العصور ، قديمة قدم الكون



جانب من بيروت عاصمة لبنان

هي مهد آده عدن . موص الفقه . مدينة حكمة . مرصعه احياء
 بيروت هي مقام هرمس . مربع بدات . مسكن فروديت
 كرومها تكسو ربه ثوب سدسي . وتغصن من ثمارها حبة الإله
 « حوس »

بيروت هي مركز السرو . هي بحر لبنان .
 هذا وصف السديع . سى نسج برده اشاعر الرومانى فى جمال
 بيروت . وبه خلج على النقع اساحرة القنينة التى تحيط بها من صور
 احسن استعدادة الأشك والألوان . يعطى فكرة رائعة عن بيروت

الحائدة . التي كانت تحلب هذه العظمة الشافية . فحاً تصيده في القوس
المارة لكثرة ما أقيم فيها من هياكل للأصنام ؛ تحتها يد الإنسان . فكانت
ترتكب فيها جميع الموبقات . لأن القاطنين على حدها كانوا يتدسسون
الزروع البهيمة . ويحصبون على أسير ورء الشبهوت والملاذ بشرية .
ويؤثرون جميع المسكرات . ويوحون بر سادة الحرمات .

معبد بعل في بيت مري

وقد كان معبد بعل في خور بيت مري مصيف الخمين . نالني بعد عن
بيروت بمسار ١٧ كيلو متر . حيث يقو على تقاصه انوار دير القعدة
لهذه المورة . شهرة وسعة . فكان أدنى بيوت وه حدورها . فيتحول
إليه كل عام في فصل الصيف . فيتحول من مواسمه وأعياده سيلاً بالهوام .
ومحلاً تقصده شيوخهم . يرقصون ويضربون . ويشدون لأشيد الخبيثة
في أحضان القبيحة . فوق ربي وأنفس . وفي وسط العداوت اكتسبت
السحر والمهجة والحساب

حزب بيروت

غير أن العناية الإلهية شاءت أن تنقم من بيروت ومن فحور ساكنين
فيها . وتفعل بها كما فعلت بصادوم وعامورة من قبل . فحاصتها برزايين

شدبدين دكا مدينه دكا . وقوتض اركان هياكل آهتها الكادنة . وقد
 كب وثيون يحدرون فيها بمعادة عشروت إهة الحمال . وناحوس إله
 الحمر . وغيرهم . هانت قاعاً صنفصافاً يعق الموم فوق أطلاها الدارسة ،
 وقد قدر مؤرخون عدد ابدین دافو كمن الشوب بسب هذين الزلزاليين
 بعشرت لألاف . كان بينهم محنة من زهرة اشان الدين وفدوا إليها من
 جميع الأقصر المحورة . لاعتراف العلم من مهبل معهداها . وقد كان تاحاً
 على مترقها . تناهى به أعظم معاهد العلم في عهد تقديم

وه . كادت بيروت تستنفذ من رقتها . وتبقى من سائر أعمق ،
 ويعود إلى صوبها من هوو هذين الشكنتين المربعين . وتحاول أن تنف
 على قدميها اهريلتين . حتى رماها إلى النار ، ورب الخراب والدمار بحريق
 مروع . أضحى كومة من الرماد . كـ قبه ختامها المؤلم .

نصبت بيروت ثلث وتتوجع من هذين الصرتين . حتى عهد الصليبيين
 الذين وفدوا إليها . وصروا يحوشهم الحرارة لصافهم خوف ما يقرب من ثلاثة
 أشهر . إلى أن استولوا عليها . وصموها إلى مملكة أورشليم في أسسوها في
 فلسطين . فاستعادت بعض مكانها . وعلا شأنها . ولع في أفق المجد
 بحمها . ولا سيما في عهد الأمير فخر الدين المعني الكبير . الذي سجع في
 سياسته على موان الصليبيين . غير أنه بعد مهبان مملكة هؤلاء الأخيرين ،
 وروايتهم من الشرق ومن لبنان . وأقرب نعم الأمير فخر الدين ،
 وقعت بيروت وما يحاورها فريسة للحروب الأهلية الدامية ، والمنازعات
 الشحيصة . نتيجة لدسائس التي كان يحيكها الولاة الذين تعاقبوا على

حكم لبنان . من عرب وترك وماليت . ولم ينقدها من ورطتها ، ويعيد
مقاليد الحكم فيها إلى أيدي أناسها . سوى الحرب الكبرى الأولى ١٩١٤ -
١٩١٨ على أثر هيار الإمبراطورية العثمانية وقوف شمس محمده .
وعروب شمس تلك الإمبراطورية هريفة . أشرقت شمس لبنان السابعة
وسادس بيروت مره أخرى عاصمة لجمهوريةها الثانية
تلك هي سدة يسيرة عن تاريخ هذه المدينة الشهيرة . نرى لعت دوراً
هناك في تاريخ البشرية .

الفصل الثالث

بيروت يوم

مكس في بيروت ثلاثة أيام . تحول في شتى أحيائها . فررن معالمها . وكثير من مشائهم قريباً أن كل شيء فيها قد تغير وتبدل .

عرفت بيروت من ربع قرن من الزمان صيفه لأرقه . قدرة شوارع . مساحات هائلة متداعية لا تسجد فيها ولا تصام . وكانت تسمى في كل شيء صدارة حضنها فيها . غير أن يد التحصيل قد امتدت ليوم في كثير من أحيائها . بفصل شجرة الحديده التي شقت فيها حتى شملتها كنف . وتعدتها إلى سورها من المدن الكبرى وقرى الاقصاف الضمة . فأصبحت حركة المواصلات فيها سهلة هينة بفصل وجود سيارات الفحمة المريحة . إلى جانب نزهة التي بمدله طريقاً إلى جميع أحيائها . كما أقيمت فيها اعمارات الشاهقة على الطراز الحديث . وأكثرها مؤلف من ستة أو سبعة أدور . تصنها بعضها بعض مصاعد كهربائية .

أما الحدائق العامة التي تعتبر الشمس الوحيد لمدينة ك بيروت مكتظة بالسكن . فإنها تكاد تكون في حكم العدم ، ولذلك يكتفى الفقراء منهم بالذهاب إلى شاطئ البحر حيث الحمامات البحرية منتشرة وبجبهة لجميع

وسائل الراحة . أو بالقرى في شارع الكوريش الذي يمتد على شاطئ البحر وقد تم إنشاء أحباراً . وأقيمت فيه المقاهي والمطاعم ودور اللهو . أو بالقرى في صريق المطار حيث عدة الصويفات الشهيرة . أما الأعياء . فيستقربون إلى ضواحي مدينتهم مثل عالية وبيت مرق وبرمانا وغيرها من المصيفات القريبة لاستنشاق خواء النقي . والترويح عن النفس

ويصمم حركة المرور في شوارع بيروت . شرعة هم مشاة رائع في تصفحه المندام . وأدب الناس . لا يتردد الواحد منهم عن إحاطة السائل العربي في كل ما يريد دون توقف أو امتعاض

ومع أن بيروت اليوم هي مدينة تجارية هامة . تحمل الواحر والشمس الكبيرة في مرفئها الحديث آلاف الأطنان من المصنوعات المختلفة . فهي حاضرة الجمهورية اللبنانية الفتية . ومقر رئيس جمهوريتها . ومركز حكومتها . ويقع فيها أعضاء رجال السلطة السياسي والمتمصلي في دور فحمة . تحيط بها الحدائق النماء

دار الآثار اللبنانية

كانت لآثار المدينة في ثلاثين سنة حنت بها من جدها . ولا أنشئت دار الآثار سنة ١٩٢٠ أولها الحكومة عديتها . فمقتب . بها ما عثر عليه المقبول من آثار في المصنوعات ذات شهرة لأثرية
قصصنا في هذه الدار . وقد رسمت في محيطها صور شتى عن عصمة

الفينيقيين . وما تركوه من آثار خالدة ، هي ذخيرة مجد لقوم حملوا مشعل
 الحضارة خلال معصور العارة . ونقلوها إلى بلدان العالم القديم ، بعد أن
 كانت سرّاً مكمّوناً في صبات معصور . وثون ما استرعى نظرنّا في هذه الدار
 من الحارج . واحفها المصحة بعمدتها الحارة . التي يرجع تاريخها إلى العهد
 الروماني . فمكرت رؤيتها بمصمة هي كل الأثرية التي شاهدناها في مصر .
 ونصم هذه الدار التي تقع عند منقى شارع فؤاد الأول وطريق لشه بين
 أروقته . جمع لأثر التي كتشفت في حيل . وعلث . وصور وصيدا والترون ،
 وسواها من مدن دس لأهميه التاريخة والشهرة لأثرية . وقد رست فيها
 تزيّناً حسناً . وسقت تسيقاً بديعاً . يدل في الحقيقة على ذوق الفنانين
 ثم هذا المتحف ساشي . وسعة فقا درايته بالشؤون لأثرية على قرب عهدهم به
 وبين نحن تحول في أروقة انصاف الأسفل من المتحف ، شاهدنا
 ناووس امث حيراء . الذي اكتشف قبره سنة ١٩٢٤ العالم الأثرى الفرنسي
 بيير مونتيه . وقد نقش عليه أقدم كتابة أبجدية عرفها العالم ، ألا وهي
 الأبجدية الفينيقية . التي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،
 فمن هذه الأبجدية قد اشتقت جميع أنحاديات العالم الحديثة . وكان فينيقيا
 قصب السبق في نشر الحروف الأبجدية في العلم مدد فجر تاريخ الثقافة البشرية .
 قال الكاتب الفرنسي جورج بيرو في هذا الصدد ما يأتي .
 « إذا حق لشخص أن تقدم له التماثيل من البرنز والممر . فليس
 لحوترج الأناي الذي ساعد على نشر العلوم باكتشافه الطاعة . وإنما
 لذلك الفينيقي الأول . الذي جمع الكتابة في حروف قلائل تعبر عن نبرات الصوت » .

نقلنا عدداً من مكان آخر من المتحف . فربما فيه تصميماً مصغراً للقلعة
بعملك من صنع الفنان الكبير المرحوم جان الدبس قائمة فيه بها كلها الخبارة ،
تعطى كل من يشاهدها فكرة واضحة عما كانت عليه تلك الأبنية كل في العهد
القديم من روعة في الفن . مساهمة عند ما ذهبا إلى عملك . ورأيت على
صبيعة أطلال تلك القلعة التاريخية الخالدة التي ألهم الرومان أهل رداء من
عقريه فهم الرفيع الذي يتصوب على الدهور وفي الأبداء وما نرى فهم الحدا .
وقد شاهدنا في صالة المحادثات في روف هيجيا تمثيل بين صعيبة
وكبيرة هي آية في روعة الفن .

حقاً إن تلك امددة المسيصة التي قضيناها في متحف بيروت الحديث
العهد . وسط آثار الميسقيين العظام . أعصت فكرة عن عصمة أولئك
القوم . وما كانوا عليه من علم وأدب ومن .
وما قىء معول احتفار . يخرج من الصلصة إلى نور كموزهم الذهبية .
وآثارهم الثمينة . وكلها تنطق بعصمتهم . وتدل دلالة واضحة على مدنييتهم
التي اندثرت وعمما عليها الزمان .

الجامعة الأمريكية ومتحفها

ويقوم بجانب المتحف الوطني . متحف آخر في الجامعة الأمريكية
التي تقع في شارع بلس في أول رأس بيروت . ويرجع تاريخ إنشاء هذا
المتحف إلى سنة ١٨٦٨ . أي بعد أربع سنوات على تأسيس الجامعة

الأمريكية ذاتها ، فدهسا لربارته . فراعنا ما رأينا فيه من الآثار القديمة من
فينيقية ويونانية ورومانية . وقد جمعت من شتى أنحاء لبنان . بفضل نشاط
أساتذة هذه الجامعة من أمريكيين وشرقيين وجهتهادهم ، قبل أن يكون
للسر متحف خاص به يضم بين حדרاته شتات آثاره التي أنشئت عليها الأيام .
وللجامعة الأمريكية فضل ثقافي كبير على الشرق العربي ، فيتقاطر
إليها طلاب العلم من جميع الأقطار الشرقية لدراسة فيها . بعد ما اتسعت
مبانيها ، وتألف اليوم من معاهد للصب والصيدنة والتربص واحدة
والتمجاره والموسيقى . هذا إلى جانب كليتي الآداب والعلوم .
وتعمل جميع هذه المعاهد على السحر تحيط بها حديقة واسعة مسقة .
تربها الأشجار المسقة والرياحين المسقة .

دار الكتب اللبنانية

عدنا قبل الظهر من ريارنا للجامعة الأمريكية . إلى دار الكتب
نساية النبعة لوررة تربية النوصية . وتقع في مبنى محبس اسواب المتحم .
الكتاب في ساحة الحمة . نشب هذه المدار في سنة ١٩٢١ فصل المؤرخ
السناني الكبير . والكتاب الشهير فيليب دي طرازي . وقد أحرر أحد
أمدتها . بأما تحتوي اليوم على ما قررت من حسين أنف محمد في مختلف
العلوم ونسب والآداب . هذا عدا المحصوات النقيسة . ونوسوعات القيمة
والاستندات التاريخية . ووثائق الهامة . التي تمت بصحة وثيقة إلى شؤون

الشرق العربي . حتى أصبحت هذه الدار ليوم على حداثة عهدها .
المرجع العلمي لكثير . لكثير من الكتب والأدباء والعلماء والمفكرين .
يعدون إليها . ويترددون عليها لسبح ولاستقصاء . ولاستخراج كنوزها
القلمية الدفينة . ولاعترف من مهل محتوياتها لعدد . وقد ريت قسماً
الفيحة تصور كثيرة لأعلام الرجال .

وقد سقت كتب في هذه الدار نسيقاً قبيحاً . يتمشى مع مقام
المكتبات الحديثة . حيث يسهل معه العثور على أى كتاب فى أى علم
أو من السهل فى دقائق معدودات

وقد أعجبنا من قاعة المحاضرات المنسجة . نرى يحضر على مسرح
كبار الكتاب والأدباء ورجال العلم . من أحاب ووطنيين . فى مبنى
المناسبات .

المكتبة الشرقية فى كلية الآباء اليسوعيين

لم نشأ أن نعدد بيروت ونصعد إلى الحمل . قبل أن نستكمل
مشاهداتنا فيها . فتوجهت إلى المكتبة الشرقية فى كلية القديس يوسف للآباء
اليسوعيين الأفاضل . المكمل لدار الكتب السنية . وقد نقت من عربي
مع انتقاء مدرسة الآباء اليسوعيين إلى بيروت فى سنة ١٨٧٣ .

وما عرف لأب المشرف على هذه المكتبة اثنى غايته من الرياسة .
تكرم عرافتنا . وأحد يشرح لنا كل كبيرة وصغيرة عنها . ولم يفته فى

معرض . الحديث . أن يشيد بفصل الذين ساهموا في تأسيسها . وقد حرص
بالذكر منهم لعلامة المرحوم لأب لويس شبحو اليسوعي . والمستشرق
اشهير المرحوم لأب هنري لامس . فإليهما يرجع الفصل في إعلاء هذه
مكتبة التي نشأت صغيرة . وأصبحت اليوم من أكثر وأحسن المكتبات
الخاصة في العالم . من حيث جمال روتها . ونديع هندستها . وتنسيق
أكتب اعنقصة فيها وتنوع على ، قلله لأب الفاضل . نحو مائة ألف
مجلد في مختلف العلوم والفنون والآداب

وقد شاهدنا فيها أيضاً مجموعات ثمينة من أدرة ، محفوظة داخل خزائن
محكمة تقفل . بعيدة عن مشرور أيد حشيد الإساءة إليها أو العبث بمحتوياتها

كلية القديس يوسف

نضم هذه الكلية اليوم بين حصرها . معاهد للصب والحقوق والهندسة
والفلسفة واللاهوت وقد ساهمت في إخراج عدد كبير من رجالات لبنان
الذين يشار إليهم بالأسان

ويتموه حالي الخاضعين . الأمريكينة ونيسوعية . معاهد أخرى هامة
مثل معهد الحكمة مسورة . وكلية مقاصد الإسلامية . والكلية العلمية .
ومدارس شريز . وغيرها من المعاهد لأخرى المنصورة على تعليم نعت
التي تمت بصلوة وثيقه لثقافة العامة

المعهد اللبناني للفنون الجميلة

أنشئ هذا المعهد سنة ١٩٤٢ . وهو أول مؤسسة وصية في لبنان
تتبع بشؤون التعليم العالي للفنون الجميلة . وتضم هذه المؤسسة : فيها اليوم .
معاهد الموسيقى والسحت والتصوير وهندسة النجارة وسيرها . وقد أختار أحد
الأساتذة . بأن هذا المعهد كان في أول عهده مورعاً على بعض المدرس
الوطنية لا تربط بعضها بعض صلة . ثم رأى المشرفون على شؤون التربية
والتعليم . ضم هذه المعهد في معهد واحد . أصغوا عليه « الأكاديمية
المسائية بشؤون الجميلة » .

المدرسة المتدقية

سمعتنا في أثناء وجودنا في بيروت عن مدرسة متدقية . التي أنشأها
وزارة تربية الوطنية مساهمة منها في حفل التثافة الفنية . فتوجهت بريدتها
ونحن تفكر في أمرها ، ولد وصلنا إليها فوجدنا أحد أساتذتها مقدمة حسنة .
ورافقت إلى مكتب سكرتيرها المدرسة وهي آتية صوحة الوجه . صفة
المحية . حلوة الحديث . حيث ما كادت تلمس اعرض من ريدتها . حتى
أشرق وجهها سروراً . واسترسلت في الحديث معنا عن هذا المعهد فقلت
إن المدرسة المتدقية . التي أنشأها وزارة تربية الوصية في بيروت .

هي الأولى من نوعها في الشرق العربي . وربما كانت المدرسة الرابعة في
العالم من هذا النوع

وتشتمل برامج مدرسة على التعليم نظري والعمل معاً . وهي لا تقتصر
على تعليم المعاد وأصول ضيق . فحسب . وإنما تتعداه إلى كل ما له
صلة وثيقه بشؤون لصدق وإدراكها من الساحتين عملية ونظرية .
ثم إن الإهتمام على هذه مدرسة الحديثه لعهد في رديده مستمر . لأن
بعض كسان . يعتمد في موارده على السباحة والاصطفاف . في ميسر
الحاجة إلى مثل هذه المدرسة .

ويخصي صفة هذه مدرسة في فصل المصنف مدة التمرين في صدق
حصل كبرى مرتبات شهرية . وجميع أساتذتهم هم من الأساتيد الذين
درسوا هذا الضرب من التعليم في أوروبا . ويمتخ المعهد الطلبة الناجحين
دبلوماسياً باسم الحكومة النمساوية له مكنته . كذا الدبلوماسية الأخرى .
كما أنه يعطى حامله حق الأولوية في الالتحاق بالأعمال الصديقة .
سكنت الآنسة برهة وذهبت ما تقدم .

إن المنوصيات والسفارات والصدق كبرى في الدول العربية . تقبل
على توصيف متخرجي هذه لمدرسة عمرينات مغربية . ربما يحسدهم عليها
حملة الدبلوماسية العالية الأخرى .

وبعد أن روتنا الآنسة سكرتيرة المعهد بهذه المعلومات القيمة .
طمعنا في أرحائه . فراعنا ما لمساه من نضفة في آنيته وأثائه ، ومن النظام
والترتيب في كل شيء فيه .

وعلى الرغم من أن التعليم في لبنان ليس إجبارياً . فإن نسبة المتعلمين فيه تبلغ اليوم ٩٠ في المائة تقريباً . وما فتئت بيروت بما فيها من معاهد علمية واعدة ، تواصل رسالتها التقليدية في حقل الثقافة العامة . كما أنها تحتل مركز القيادة الفكرية في هذه النقطة من الأرض . بفضل إقدار اللبنانيين على هضم المؤلّفات التي يخرجها الشرق العربي .

أسواق بيروت

رأينا في النهاية أن نحوس خلال أسواق بيروت . لتقديمنا منها والحديثه قبل انقيم بأول رحلاتنا إلى الحبل . لئلا نمدى ما طرأ على تلك الأسواق من تغيير . وما اعتراها من تبدل خلال ربع قرن من الزمان . فسرنا على أقدامنا محترقين ساحة ابرح التي هي قلب بيروت النابض . وملتقى جميع الشوارع التي يتدفق منها إليها سبل السيارات الذي لا ينفطع . ويطشوب عليها اليوم « ساحة الشهداء » لأصحاب «شا» النقاش تركي . قد علق بحبه من رجال العرب الأحرار على أعماد المشانق . التي رفعها لهم فيها في الحرب الكبرى الأولى ١٩١٤ ١٩١٨

ولما بلغنا هذه الأسواق . وجدنا أن بعضها ما فتىء على حاله ، كما عرفناه منذ ربع قرن من الزمان . ممراته صيقة . وعظفاته قدرة مطممة . وأرقته متعرجة منوية متداخلة بعضها بعض . والحويت القائمة على الحنين مثل حلالي الحل متلاصقة . وعامرة بالمصانع المتسوعة على صعر مساحتها

والناس في هذه الأسواق من الحنسين . يروحون ويحيثون بدون نظام ،
 بلاظم بعضه بعضاً كأمواج لبحر من شدة الزحام .
 أما سوق المورية . القائمة بخوار سوق سمرق . التي كدست فوق
 أرضيتها الصيفة أنواع الأقمشة ، فرأينا فيها عجباً ، فقد احتل الباعة كل
 ركن من أركانها . حتى إن بعضهم لم يكفه الزحام ، فراح يعرض بضاعته
 في لطريق عام . بدون ترتيب أو دوى أو نظم . وكانت أصوات الباعة
 تسعته من كل مكان تصك الأذن . حتى كان ينجيل إلينا أننا أمام برج
 من من تعدد اللهجات . وتنوع اللهجة . بأساليب غريبة ، وطرق
 عجيبة . لثقت بصر رواد هذه الأسواق وإعرائهم على الشراء .
 وقد صادفنا صعوبة مائة . في شق طريقنا وسط كتل بشرية المترصة
 في هذا السوق . فلم نسم من الصدام بمركبة من تلك المركبات التي نحم بالأيدي ،
 وم نأمن من لطمه من نصمات سلاب حديد . ولأمن التصادم نحسم من
 أحسم الحس نحش أو ناعم . وخيراً سمنا بأن العود أحمد إلى السوق
 الذين فيه . وكان الوقت عروياً لستريحهم قد لاقبناه من تعب ومشقة . في
 اسفل في تلك الأسواق الأثرية . التي تتركز فيها ثروة مدينة بيروت التجارية .

ريادة دور الصحف والمجلات

وفي اليوم التالي بعد أن قمنا بريادة بعض دور الصحف والمجلات ،
 ومنها محله « الأديب » لصاحبها رفيق التهمة الأستاذ الير أديب . الذي

رحب بنا وأكرمنا . توجّهت إلى إداره محلة « السور » لزيارة صاحبها رفيق
 الصبا الأستاذ الصديق ميشيل توفيق مكرّم . وأجبه لأستاذ فؤاد الخفيف
 الروح . فقالان لما هو معهود عنهما من انصاف ونصف . ورحبا بنا أحمل
 ترحيب . وقد تشرف عندنا معرفة شخصية طريقة . لطيفة المعشر .
 حاضرة الكتبة . وهي دكت لأديب الكريم . إلى تفصيل مشكور .
 فصحبنا في رحلتنا . وأمدننا معلومات شائقة . وقد أتى كرمه فلا يذكر اسمه
 فربّما على إرادته . أخذنى مكرهاً على ألا أذكر اسمه صريحاً . وبنى
 نستطيع أن أحتج فصله . وأتسى ذكريات حيلة تركتها في نسى ونسى
 رملائي . وأرأى أنه « أعلم في صوس » وهو لاسم إلى أصلقته محلة
 « السور » المناسبة على شخصية جديده . تتمثل في روح اللسان . كما
 تتمثل روح المصري في الشخصية الخيالية التي أصلق عليها اسم « المصري
 أهدي » وكما يصلق على الإصحلي « حور » ولأمريكي « العم سام »
 وقد آلبا على أنفسنا قبل انقضاء برحلتنا إلى روح لسان الخياله .
 أن يخلق نفس تخيلها . ونفحرر من قيود الرغبات نالية التي تفقدنا
 بهجتها . وأن نعيش معيشة سهلة هيبه . لا كثرة فيها . وأن نصف بإسهاب
 كل مشهد جميل تقع عليه العين . ونستطوع كل أثر قديم عن ماضيه .
 وما اقترن به من أحداث . ونكتب عن كل ما يسترقه السمع .

الفصل الرابع

في طريق إلى لبنان الشمالي

ركب سبارة كما قد استأجرناها طول مدة الرحلة ، بعد أن ودعنا صديقنا الأستاذ مكررب . فاحتلت الآسة سموى مع ولدى سعيد المقعد الأمامى بخور السائق . أما نحن الثلاثة فجللس فى المقعد الخلفى يتوسطه العم أبو صوص . فسارت بنا السبارة ونحن صامتون نستمع إلى الأعدى انسابيه من مدببها . وهى تقطع شوارع بيروت الصيفة بالقرب من الشصى . فى طريقها إلى الخيل وفى أثناء الطريق . قصعت علب سموى صممتا . وانتفعت إلى السائق سادر فى سكوته . المبعول فى فوق تمكيد عن أمرنا ومن نكون . وسألته ولانسمة على شفتيه .

— ما الاسم الكريم ؟

نحسب السائق مدعاً . إن سمنى على وجهك يا آسة
فمنهم جمعاً ما يعنى . وقلنا . مداعة لصيفة ملك يا حسن .
قال السائق : لو عرفت سمنى يا آسة . لفلت إليك سوتى فى رحسنا
فحاست . إن سمنى لمصته شمتك . من حيث لا تدري
فإن سائق : اسم على مسمى يا آسة ملوى .

فصاحك جميعاً من هذه المداعبة نصيفة التي قطعت علينا صمتنا ،
وأراحت موجة السأم التي كادت تصعى على نفوس . وكانت فاتحة
التعارف بيننا وبين السائق حسن . عملاً بالقول المأثور : « سأل عن
الطريق قبل الطريق » .

كانت الحيرة إذ قد سمعت نهر بيروت . الذي أضيق عليه التمدد
نهر « مغوراس » وقد ذكره فخر الدين معني الثاني فوقه حصره حجري
وطوله ٩٧ متراً . وعرضه أربعون متراً . وهو مكوب من سبع فتحات لمرور
المياه بها في وقت الشتاء .

ويتصل هذا حصر اليوم . الذي تداولته يد الإصلاح مرات عدة
طريق عرصه أربعون متراً . وصورة نحو ستة كيلو مترات . أقيمت في
وسطها سدود فقسمتها إلى قسمين . واحد للدهاب . والآخر للإياب وفي
وسط هذه سدود أشجار باسقات . قد أشغل عليها فأس الخطاب .
فتركها في مكانها ولم يعدمها عند ما شقت هذه الطريق من رمل ليس
بمعيد . تمثيلاً مع سياسة أبناء العمرانية . وهي « رزخ لا تقصع » فمقيت
تربس أشواخ بأعصابها المتدليات . وفروعها المتعذقات . تبسطها فوق
لمدة فتقيهم وهج الشمس وكان الرومان في الماضي . قد أحروا قسماً
من مياه هذا النهر الذي يشق مياهه من أعالي الجبال إلى بيروت . في
قناة أقيمت فوق قصر يعرف بقناطر زبيدة . ولكنها تهدمت مرور الأيام
وقد شاهدنا آثارها بالقرب من بيروت .

السهول الساحلية

وبعد أن تركنا حيدر بيروت . وحترت لسيارة لشارع المستقيم الذي
يتصل به مرزوق في طريق وسط السهل الساحلي الخصيب . تحف به
بساتين زينة . وحدائق عشاء . حتى وصلت إلى قصيرس . وهي ملائق
عادة طرق هامة . بعضها يذهب إلى صرندس ومضيق كسروان وشهاب له ا .
وبعض الآخر إلى قرى من وفدائع وسهل اسق

وقفت على سيارة في ساحلها لمسيحة ماء دراني اياض . فترودت
حاجتها من سرس وماء . كما يرون نحن نحن من بعام وانما كنه
شبه . ثم ريلها إلى قرية صندرية . وهي مترو بيروت وتقع على شاطئ
البحر . مقصدها عشاق شادوى في من القمريه الساحره . فيقصبون فيها
وقتاً ممتعاً بين أحضان الصبغة . يصنعون إلى حبيب أشجار بساتين الذي
يشمل خمس قنوبه . وإن صوب هدير الأمواج . الذي حتى عن اساس
في صيته سر أحاديثهم

رنا في صندرية مقر شركة الماء . وتقع على ربه قد عرس في جميع
أرجائها الأشجار . فربا لألاب البحريه وهي تدفع مياه مهر ككب .
التي ينبع من معدرة حبيبة في حبل . تمسحت قويه . في موسير صحمة
لتعدى مدينة بيروت ماء لمحب



درخت بزرگ در باغستان
 درخت بزرگ در باغستان

مقوش آثار بحية على صخور نهر كلب

ووصلنا إلى نهر كلب . وبعده عن بيروت نصف ر ٩ كيلو مترات .
وقد تحيل الطرف في صخور دلت 'نهر' حرنى القديم . الذى اتحد شوره
من صدر التاريخ . يستوحى منه دكریات ماصيت . دكریات اثنانحين
امرء . الذين حنروه حجابهم . دلت ممر ادى تستص من يمينه
عبد 'الدهقة' . ويسقط من ساره 'نهر' الخصم . ويستقيمها عما تحته
في ثلث وهدده من الأسرار . لكن تلك 'صخور' صماء كدت في صحتها
مطلق . وه حوته من رمور ونشوش . نلغ حطب وقت على ممر هاده
حيده 'أجل' 'نهر' وقف من على أسرار تلك لأمم اتى دلت دوده . ثم
تركته من آثار من 'نهر' هده ممر حرنى الخضير
حرفه 'نهر' 'الأموج' متلاصقة اتى كدت تنكسر على أقدم
'الصخور' 'نهر' على الشاطئ 'حليل' . الذى يعى بدكره الشعراء .
وكتب في وصفه 'الكلب' . بعد نصيب من حديثاً عن الماصى العبيد .
لكها 'شفت' على عقلتها اسادحة . ورمنا نخل الحقائق 'واصحة' .
وحدث نرسى وتريد أكثر من دى قس . وهى تدافع بقوة في مجرى نهر .
مرحلة العودة امياه شعلنة يسيها من أعالي الجبال . فكادت 'تختصم' لهدف
وتعمسها معها بشوق في ررقه مياه البحر . لأن ردت إليه . بعد ما أحدثها
الطبيعة منه قهراً وقسراً .

في هذا الطريق الساحلي - مرت حجاج الفراعنة وحيوش اليهود
ونهرس وارومان ولصبيين وانعر و لترك وغيرهم . فكان كل واحد من
هؤلاء يخلد ذكرى مروره بما ينقشه من كتبه على تلك الصخور . كما
نقش الحفباء عليها ذكرى تنصروهم في الحرب الكبرى لأول ١٩١٤-١٩١٨ .
وأخيراً تعلق بصرد بصخرة . قرأ فيها العدة لآنية
« في ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٦ تم حلاء جميع حيوش الأحبية عن
لسان في عهد فحامة الشيخ شاره حابل الحوري رئيس جمهورية »
تلك كانت حكمة النقوش لتاريخية التي حدثت ذكرى الترحيل
الغرة . الذين حذروا هذا ممر التاريخي .

نهر الكلب وأسطورته التاريخية

قبل أن نذكر لمكان . حسب تحت صلال لأشجار . في منتهى
يقص على النهر . فأخذ العم أبو طوس يسرد على مسامع . بأسو به الشائق
حديثاً صلياً عن تريحه فقال .
كان اليونان يسمونه « نهر الكلب » . لأنه يوضع على أحد صخوره
عاليه التي تشرف على البحر . نقش كلب صخم . مخوف . لوضع
لطعام في داخله . وقيد هذا الكلب بسلاسل من حديد . ربطت أطرافها
تعدة لصخر . وكان هذا الكلب يبيع كلما لاح في بحر مراكب
العدو . ويقال إن بعضاً من تجار مدينة السدقية . سبقوا إلى بناء

للاتحاد عمراكهم في مستهل قرب سادس عشر . قد أعجبوا به .
 فقتضوا رأسه . وحمدوه معهم إلى مدينتهم . غير أن الحقيقة هي أنه عندما
 كانت رياح بعصف في قلب الوادي . وتدخل في خوف الكلب . كانت
 تحدث أصواتاً شبيهة نغواء ولداً أضيق على النهر « نهر الكلب »
 وتقول أسطورة أخرى . إن هذا الكلب كان فصيح اللسان . يعرف
 كثيراً من الأحاديث والأخبار . فكان يصف من يدرك حديثها . فمن وفق منهم
 في ذلك . أدركه مرور . ومن سحر اقترسه
 وقد أضيق الرومان عليه فيما بعد « نهر ليحا » ومعناه باللاتينية الارتباط
 لأنه يرتبط حبله وهدية وهدية . ميروت بواسطة حصر حجري
 أقامه عليه ملك الرومان بطليموس بنوس الذي حكمه روم من سنة ١٣٨
 إلى ١٦١ ميلادية . وشيئاً حوله برحاً بحرقه . وثلاث نهرين ، كما
 نقش على صخر من الصخور بنصه على النهر . ثر يسمي منه على أنه هو
 الذي حصص بحرق المستدة من هذا الحصر . حتى يبرو . ودعيت
 بحريق لأصواته . غير أن الهمزة قد حرقها في طريق أنصبس

نزهة في وادي نهر الكلب

قام في الصباح المذكور نزهة رائعة في قلب هذا الوادي . الذي يحمل
 على منكبيه كثيراً من الأصود والآكام . التي تدفق أعصاب الأشجار
 سدسية المعروسة فوق رماها عناقاً أندية . فسلك صريقاً قد عذبتها الأقدام

من قديم الزمان . تناثرت فوقها أوراق الأشجار . وكنت نستعين بالتصعيد
فيها وفي دروسها اوعرة المملوءة بالاشواك ونقود العصراسى بين الأدغال .
على هراوات غليظة ، كنا قد قطعناها من شجر السديان في الصريق .
وهديناها بعض التهذيب .

وصدوف في مستهل رحلتنا كثيراً من الغفقات . منها أنما نعتد المشي
في الحمال . ولم ندرس السير وسد الغارات والأحراش . وبعد حب الصيعة
قد أسرنا على انقباء مثل هذه سرقة . أحل الصوف في قلب وادى بعد
مسير ساعة من الزمان . فوجدناه يمتد في بُعد . ويتعجل في الارتفع في
قلب الصحور والأدعر . حتى يسع مكأاً يصيق فيه مجراه . ويتأوى
دات ايمن ودات اشيم . وهو محصور بين سلسلتين من الحصى .
يكسوه ناسق شجر . وتنت فوق ردها الأرهار . دات الأشكال
والألوان . يفوح منه رنحة دكية . أحل إن في الشجرة جمال لبنان !
ولم تر صيلة سير في قلب وادى قرى أهله بسكون . ولم يكن نسمع
سوى وقع أقدامنا . وتثقل الحصى تحته وصوت هراوتنا العذبة . وكان
الوادى يردد صداها ويحصر صريرها الأرض من حين إلى حين وصوت
خرير الماء المنساب في مجراه في قلب الوادى

رأنا الطيور فحزحت من عشاشها فرحة بنا فأملت عليها . وأحدثت تسقل
على الأرض أمام ولا تخشانا . ثم كانت تستوى فوق الأعصان مفردة . وقد هرها
الطرب لرؤيتنا نسير في دروب قد أهملها الناس اليوم . بعد أن مستهوا في
تقلاتهم ركوب السيارات الأمريكية الأنيقة المريحة . التي غرت جميع قرى لبنان .

دير سيدة طاميش

وبينا نحن بعد السير ، إذ بنا نسمع زين جرس يطن في بطن الوادى
فقال العم أبو طوس :
إنه حرس سيدة طاميش للموارة . القائم في الجهة الجنوبية من
الخصبة المطلة على الوادى .

قلت ستوى . وما معنى كلمة طاميش يا عم أبو طوس ؟
أجاب عم أبو طوس قائلاً . إن هذا الدير يحمل اسم العذراء مريم
عازها سلام . وقد شيد على أنقاض هيكل وثني قديم . كان مكرساً للآلهة
أرطاميس . إحدى معبودات اليونان . لكن العامة قد حرفت الاسم بمضى
الأيام . وصاروا يطلقون عليه دير سيدة طاميش . نسبة إلى البقعة الموحودة بها .
أندبا للعم أبي طوس رغبة في زيارة هذا الدير الأثري . فسارنا إليه
وخرجت نؤكد على هراواتنا في دروب متصاعدة ملتوية وسط الأدغال
ولأشجار التي كانت فروعها تنسط صفاً علينا إلى أن بلغناه بعد تعب
فمضج من بعيد راهباً قد بيض مفرقه . يلبس حجاباً حشياً أسود اللون .
ويبتلع في قدميه حذاءً يكاد يكون بدائياً في صناعته . ويشد حقويه
بحزام من الجلد الأسود اللون . قال العم أبو طوس :

— تأملوا هذا لراهب . إنه مثل رهبان الموارة في عازر لأيام .
وقتما برهة تنفوس فيه من بعيد . وهو يعمل نحد ونشط في أراضي

الدير . وشأمل مصوره للملائكي الذي يشع منه نور القداسة وظهارة .
أما هو فلم يلتفت إليه . ولم يعرف أي هتاف . بل كان مصرفاً عنه في
تقليم الأشجار وجمع حصصها حرماً حرماً . وهو يترجم بأشيد عديدة أعنى عيب
فهمها إلى أن قال له أعم أبو طوموس . إنها أشيد ديبية بالغة السريانية التي
يجبدها جميع رهبان الموردة

قال حبيب عجباً ! كيف إنه . أُرهب وهو في مثل هذه نس مقدمه
يستطيع أن يتسلق الأشجار وينقل فوقها حقه فخير . وبصعد في الجوار
برشاقة لطفي . ونحن في مقتل أعمر ومبعث نفس . قد أمرك سر يسر
ومهم تسلق مرتفع سيده . نسبت سلوى بسمة سحرية وأحبات .
منى عرفت السبب يا حبي . نضل العجب . يا هذا أُرهب
الفصل يستمد قواه من العمل بيومي الذي يؤديه . لأن الجسد يحرص منى
انصرته الراحة . ويتم منى هيمت عليه عوامل الرهبة . وقد الحركة ،
فمثل يقون . في الحركة بركة . فتقدر ، يستعمل الإنسان أعصاء جسمه
يردد نشاطاً ويكتسب قوة وحيوية

حيث هذا أُرهاب الفاضل من عبده . فتسه إليه وأحد جدي فيه انصر
ثم ما لست أن هرون مسرعاً نحوها . حتى إذا اقتراب منه . رد له تحيئنا
شعربا في قرارة نفوسه باحترام غريب هذا الراهب الفاضل . كان
مصدره حلال شبه . ونهاه طلعت . فأخذ يده التي خشوشت من
العمل الشاق . وكانت في نظرها أعم من التحرير ممسأ بقداستها وقدها .
وبعد أن لمس من لحجتها أبا عرباء راح يبالغ في إكرامه . ودعا بريرة

الدير ، قلب الدعوة شاكري . وشرعا تتحول في أروقتها . فلم ير فيه
أحداً من الرهبان برعم كثره وتعدد غرفه .

وأخيراً جلس أمامه تحت شجرة سديان ورقة الطل متفرعة الأمان ،
تحدث أطراف الحديث مع هذا الراهب لتأصل عن أحوال بستان . ولما
مال الحديث بميله . سأله الدكتور حليل عن عدد رهبان هذا الدير
أجاب الراهب قائلًا :

- كان عدداً كثيراً في الماضي يا ولدي . أما اليوم فلا يشاركني في
عرائي سوى راهب شاب أتتوب معه على خدمة ممتلكات الدير . والعذبة
- . وبعد أن سكنت الراهب برهة أردف ما تقدم :

- إن الدعوة إلى التهرب قد قلت بيوم كثيراً . لأن نظام رهنة
قدس صارم . لا قبل لشبان اليوم باحتماله . فحين يلج الواحد منا أبواب
الدير . يسمى نفسه . وتبقى إرادته في ردة رؤسائه . بعد أن يندر صدعه
العمياء . ولتقرر الاختباري . ولعفة . وهذه سطور الثلاثة ليست في
مقدور شباب اليوم الذي تستهويه المدينة . وتسلب له مذهب الحياة
ومسراتها . والذي رد الطيبة بلة وقتل لسان في الصميم . لخرة .

اعرية والمغتربون

قال العم أبو طوس .

حقاً ن واء المخرة الذي استشرى سناب . ما فني يشجع

الكثيرين على الروح عنه ، و شتى الأقطار حلياً بعيش . بيد أن ما يجنيه
لسان اليوم من فوائد المحرة . لا يقاس بما يصيبه من الضرر . واصكم
قد لمستم ذلك بأنفسكم . لأن السواد الأعظم من المعتريين يقطعون صنتهم
بوطهم الأصلي لبيان . وإن عاد بعضهم إليه نخبة من المال . يألف
أن يراو حرفة آتته وأجداده التي كان قد تعلمها في صغره ، ومارسها
قبل معادته البلاد . فعندئذ يأخذ في إنفاق ما جمعه السنين الطوال
« و سى لا يسع يفرخ » كما يقول امثل . إن أن يصبح صهر اليبين .
فيعود ثابة إلى الجهة التي كان قد هجر إليها . وجمع ثروته فيها . وفي
بيته العودة إلى لسان متى انتم له الخط . وأصاب ثروة أخرى . ولكن
هيبت أن ينتم له الخط مرة ثانية فتمر أيام . والأهل بلاحق ذلك
المعترب امسكين بعيدة عن الأهل والخلان . وهو يهجم به كسر لسان .
نحس لا نشكر أن المعتريين يبدلون وطهم لسان . كما يرسلوه ، و دويهم
من مال . ولكن هذا كان في الماضي . أما اليوم فإما أرسلوا شيئاً . أرسلوه
فقدروا ، وقدر قليل جداً . نظراً بقبود المالية التي تنرصها الدول على بقدها
ايوم . حتى لا يتسرب إلى الخارج .
قال الدكتور حليل .

— هذا صحيح . فقد لاحظنا يا عم أبو طوس مدة إقامتنا انقصيرة في
لسان . نقصاً كبيراً في الأيدي العملة . ولعل هذا انقص يرجع إلى
المهاجرة التي يشكو منها لسان .

— أحاب الراهب هذا بلا شك يا ولدي . لأن المهاجرة قتلت لسان .

فهى تقدمنا زهرة شابنا . ثم إن طريق شجاع فى العربة بات غير مؤكد
فى هذه الأيام لسود التى استحکم فيها الصيق فى جميع البلدان
لم يرق فى نصر الآسة سلوى حديث العربة . فقصته عينا وقالت
والاستسمة على شفيتها كعادتها :

كم من الزمن مضى على دحوش الرهسة يا أبت الجليل
أحاب الراهب صاحكاً . انصرى إلى شكلى يا استى . ومنه
تحكمين على عدد السنين التى قصيت فى الدير .

أعجبا جميعاً من سرعة حطر هذا الراهب . الذى يعيش بين
الأحراش ولأدغال . ولداقته . وحسن تخلصه من الإحانة .

قال الدكتور حليل : هل أنت سعيد بمعيشتك فى عزلتك يا أبت ؟
- ولم لا . فحسبى ولدى بعيدون عن العالم وأخطاره ، ولا عمل لى
فى عزلتى سوى عبادة الخلق عر وحسبى فى شئى الأشكاب . أعنى أن عبادة
الخالق يا ولدى لا تقوم بالصلاة فحسب . وإنما بكل عمل يأتيه الإنسان .
مثل مساعدته القريب . ومد يد المعونة للضعيف . حتى إن أكلنا وشرنا
ونرويض أحسامنا ، فيه تمجيد للخالق عز وجل .

قلت سوى : - صدقت يا أبت الجليل ، ولكن ألى يمكن لك فصل
أكثر فيما لو حرجت إلى العالم وخدمته بمثلك الصالح ؟

- إليك على حق يا استى فيما تقولين . وهذا ما نفعله أيضاً ، فإننا
نذهب إلى القرى المحورة من حين إلى حين . ونسمع الشكاوى . ونصلح
المتحاصمين . ونمد يد المعونة للمعوزين .

قالت سلوى : وهل تعرف لغات أحنياه يا أيت ؟
أجاب الراهب : أن لم أتعلم في صاى سوى العربية التى أحندها
بجادة نامة . ولغة السريانية التى نصى بها . لأن اللغات فى الماضى لم
يكن جميع الرهبان فى حاجة إليها .

أكرنا قدر هذا الراهب الماضى . وأعصنا بملسته العميقة التى أملاها
عنه جمال الطبيعة فى لسان . به ترك العالم ونطوى على نفسه فى هذا المكان
اعتقاداً منه أن العالم بحر من الأحزان والآلام . ومن الدير مباء الخلاص
الوحيد الأمين . يتنقش فيه أسرار الحياة . وعبادة الإله الواحد

اكتسبها هذا القصر من الحديث مع هذا الراهب النقى . ثم وقفنا وسلمنا
عنه مستأدين بالانصراف . أما هو فقد أمسك بنا . ولحف فى الدعوة
نحاول العناء على مائدة الدير . تلك هى العادة التى يتبعها هؤلاء الرهبان
مع الرهبان الذين يهبصون عليهم . ولكننا اعتدنا بأدب . وقبل
منه بعض المواكه التى تنتجها حديقة الدير . وودعناه وسرنا فى صريقنا إلى
جميعنا القرية القابعة بين الجبال الخرداء وبياض . مشاهدة معاربتها العجيبة
وتقع فى أسفها . وكنا قد قرأنا بدة شائقة عنها . شررنا بطرف هذه القرية
بختل من أشجار لريتون . يقدر القوم هناك عمر بعضها بأكثر من ألف سنة .
وقفت نحيل الطرف بهذه الأشجار الهرمة . التى تنس ثوباً من الروعة
والخلال . وهى جالسة فى ذلك المكان المسحوق . تحف بها أطياف الماضى
الملىء بالذكريات لتستقبل الحاضر بمظاهر السهجة والسرور

مغارة جعبتا

لبعنا معاره جعبتا التي تقع شمالي بيروت بمقدار ١٦ كيلو متراً والشمس في أوج السماء . فسمعنا دويّاً يصم الآذان . يصدر من حين إلى حين من دحبها . ولما اقتربنا منها . رأينا الماء يتدفق بمرارة من حوفها . وقد علل الدكتور حليب هذا الدوي بـ حتمان وجود مصحات ماصة فيها ، تمتلئ من ثلثه نفسها . أو بوجود شلالات بعيدة العور يهوى الماء فيها من علو شفق قلت سلوى ما معنى كلمة جعبتا يا عم أبو طنوس ؟

— أحب العم أبو طنوس قائلًا : إن جعبتا قصة أرامية . معناها الدوي وهذه المغارة هي أكثر مغارة في العالم . ومعروفة في لبنان منذ القديم . وأول من ارتادها المهندسان الإنجليزيان مكسويل وهكسلي . اللذان عهد إليهما بمحصر مياه نهر نكبت سنة ١٨٧٣ بعد أن حلت الشركة الإنكليزية محل الشركة الفرنسية في استغلال مرافق الشركة ، التي تغذي مدينة بيروت بالمياه العذبة . فصنع هذان المهندسان لهما زورقاً يتناسب واتساع هذه المغارة ، وأحدا حبلاً متيناً طويلاً . وربط أحدهما طرفه في شق في الصخور المحاورة . وربط القارب في الطرف الآخر . وارتادا على ضوء بطارية أول حوض منها طوله عشرون متراً بصعوبة بالغة . لكثرة ما اعترض حط سيرهما من صخور باردة فوق سطح الماء . ثم توغلا في سيرهما حتى بلغا بحيرة واسعة تذهب في العمق إلى حد كبير . وكانا إذ ذاك قد قطعنا نحو ١٢٠٠ متر . فأجالا



معارف جدیدت ہی عبارتہ عن سہر بخندہ مشابہ لآفتاب نخب حصار

الطرف حوصما . فرأى أن المغارة متسعة مظمة من الداخل ، وأن صخرها
كسبي سريع التآكل . وأن النظر لا يخلدها . لفرط امتدادها إلى مساوت
تحت الحبال . فهم تسعفهما المرأة على التوغل فيها أكثر من ذلك ، فعادا
أدراجهما من حيث أتيا . بعد ما أثبتا أنها عبارة عن ٣٠ صوبل يمتد تحت
الحبال . فيه شلالات يضيق حبابها حجاباً . ويتسع حيناً آخر . ويقال
إن بحيرة النخوة تصب فيها .

قلت سلوى : أظن أن هذا كل ما تعرفه يا عم أبو طنوس عن هذه
المعارة " دعنى . أكمل معلوماتك عنها فقد تفيدك في حياتك الصحفية .
قرأت في كتب إنجليزى عنوانه ، المعاور " أن الدكتور لامارش .
مشهور بارتياح المعاور الكبيرة في أوروبا . عندما حصر إلى لسان في أواخر
القرن الماضي . وزار معارة حبيتنا . أثبت في ضياع رحلته أن طول هذه
المعارة عشرة كيلومترات تقريبا . وأنها تمتد تحت سلسلة من الحبال . وتستمد
مياهها من الشوحيح المتساقطة فوق قمم الحبال عند دوائها وتسرعها في شقوقها .
وهذه المعارة مقسمة إلى أحواض . تسمح سبيل الرواق الكبيرة فيها .
ويبلغ طول أحدها حوص منها ٥٠ متر . يصب حوص آخر ثيابه سريع . تتجمع
فيه المياه المتدفقة من الداخل . ولا يمكن حوص عياب هذا الحوص .
إلا بمرور كبير . وحبال متينة طويلة . وقد حتم الدكتور لامارش وصمد
بقوله إنها أحمل . وأكثر معارة ارتادها في حياته .

قال الدكتور خليل : حقاً إن هذه المعارة أعجوبة من أعاجيب
الطبيعة . ويا حياء لو عني ولاية الأمور في لبنان ما اكتشافها من الداخل .

والارتفاع بالمياه المتدفقة منها بغرارة في توليد القوى الكهربية . وأنعم الرى
التي يمتد إليها لسان أشد الافتقار
فأحباب العلم أبو طيوس . هذا ما يعنى به ولادة الأمور في لسان اليوم .
للاارتفاع بكل قطرة ماء . سواء أكان في حروده أو في سهوله .

طواحين من القديم

كانت الساعة قد أشرقت على الثالثة عند ما انتهينا من جولتنا في
ضواحي معدرة حبيتنا . وكان النعم قد استند بنا ، فجلسنا تحت شجر
الصنوبر المتفرع . الأعصاب . الوارف اصل . ستر بريح بعض اوقت من عاء
الطريق . فسطما على أديم الأرض ما معنا من راد . وأكلنا بشوية . تحف
بما المناظر الطبيعية . ويهت علينا بسم الصنوبر العليل الذي كان يملأ
بقاوته صدورنا . فستروح منه سمات الحياة السعشة في ذلك الجو الهادئ
الذي يحيط بنا . وما انتهت من الأكل . غادرن المكان في طريق منحدره .
عرة . فمررن بطواحين قديمة العهد . تسير رحاها بقوة الماء المتساقط عليها
من علو شاهق . فوجدناها خالية حاوية . وكل شيء حوها يشعر بالوحشة
غير أنها سمعنا حرير الماء . وهو يترنح ساقطاً من برحه العالي ليدفع في قناة
تسمى في بحرى الوادى قد امتلأت بالأعشاب التي طالت حتى انحنت .
وكأنما انحنت عملاً وحرناً على مصير هذه الطواحين . التي عصها الجوع
بناه . وكانت في الماضى تعدى بالتمح الذى كانت تنتجه حقوب ومرار

القرى المحاورة . وقد هجرها فلاحوها اليوم .

كان نيل قد نهفت عليه . عندما بلغنا جسر -هر- كعب القديم .
وارتفعنا في سيارتنا ونحن على أشد ما يكون من انتعاب . وكانت في انتظارنا
أمام المقهى ، يصل على البحر هادي . فدخلت بنا إلى حويته . حيث
التقينا مرفقاً تقصى فيه بقية ليل . لعبا بصيب في يوم راحة لأبنائنا .
نعوض بعض ما أحدث لمرحة ليرثه في ودي -هر- الكلب القاتل منا .

جوزيه وحليجها الساحر

ولما كان صباح قصب من اليوم أوفر شمساً . منحونا في أنحاء حوية
المدنية الساحبية المتدنية . فشهدنا مرفأ الحمير . وحليجها هادي
الساحر الرخصة عليه مد لآل لا تقوى على فرقه . لأنه من أجل حجاج
العلم منصر . وشده تأثير في نفس . تشرف عليه فرى معلقه فوق
هضاب وعرة نوء قد تحمله من أشجار . وقد رأيت في الجهة الشرقية منها
عدة صغيرة يسودها هدوء . فيها الكثير من أشجار القصور وشربين
والسلايين وخرنوب . ولم يمتد أن تقوم بزياره حاضنة لمدرسة التحرير الشهيرة
التي ساهمت في إعداد عدد كبير من رجالات لسان العصب .

وحوية من أهل مشاق العلم . وهي مركز تجارى هام . يهبط إليها
كثير من سكان الحس فيقصون فيها فصل اشتاء تقاسي . ولكن الحكومة
مع الأسف الشديد . كما لاحظنا لم توفها العناية الكافية باعتبارها مشق حيويا
شأنها شأن جميع المدن الواقعة على ساحل لسان القدر

برج هيلانة

تركنا حوبه وحيدجه القاتس . واستأنف رحلتنا في الطريق الساحلية .
وقبل وصولنا إلى المعتمدين برر أنه ما برج عدل قائم في البحر . تتكسر
الأمواج حول حدرانه . ولا تقوى على هدمه

قال لنا العم أبو صوس : يا هذا « برج هيلانة » ويسب إلى الملائكة
هيلانه والدة الإمبراطور قسطنطين الكبير . وكنت في الماضي . نصاء
نار في أعلاه عند حدوث أمر حبل . تتناقص الأبراج لأخرى . انى كنت
مقامة على صوب الشاطئ حتى القسطنطينية وقد تهدمت اليوم أحرأ كثيرة
من هذا البرج الذى نلدو عليه آثار نقاء . والنساء منه تصق تد كدل عليه
من شأن في الماضي في نقل الأحبار عبر البحار .

مبىاء طبرجه وبوس الرسول

كانت الشمس قد أوعلت في بروعها عندما وصلنا إلى صرحه . وتقع
في الجهة الشمالية من حوبه . فوقنا بحيل انصرف في مبأها القديمة . ويعيم
عليها اليوم سكوت شامل وهدوء اناء . فلم يكن نسمع إلا أصوات
الأمواج تتكسر على أقدام الصخور المحصنة . فذكرنا ما كنت عليه
هذه مبىاء من الأهمية في الماضي . يوم كانت سفن انجيينيين تحوب

موانئ البحر الأبيض وتغرو شواطئ العالم القديم

وبينا نحن مستغرقون في تفكيرنا . ارتفع صوت العم أبو طنوس فجأة وهو يشير بيده إلى صخرة من تلك الصحور التي لم نستطع أمواج البحر التي تحركها أن تلبس من صلابتها وتنبهها في نفسها . وقال :

من هذه الميناء . ومن أعلى هذه الصحرة التي تغتر بقوتها أمام حركات البحر . وتنبه بحر على أمواجه العاتية . وهي في صراع دائم معها قفز بولس الرسول . معتم الأعمى والشعوب . وتلميذ السيد المسيح له المجد . إلى مركب شرعي بدئي . وأخر به نحو العرب . ليكرر تتعالم الناصري . التي قومها حجة والإحياء والسلام .

هذه ما يتدق له ناس هناك من أمر هذه الصحرة .

وكأن بالبحر قد أدرك العذبة من زيارتنا بشاطئه الحليل . فقدفنا بموجة عالية . لطمت تبت الصحرة لطمة قوية . لم نسلم من رشاشها . فأما عندئذ بأن البحر هو كل شيء . ونحن بالنسبة إليه لا نسوى شيئاً .

نهر إبراهيم

نركبنا طرحة ، فتابعنا سيارتنا سيرها في طريق الساحل الفيضي الممتد على طول البحر . المسط تحت أقدام حبال لبنان . وكانت أمواجه اهادئة المسابة فوق رماله الناعمة البيضاء ، تنقل إلى آذاننا أهدب الالخان ، ونسيمه الحليل الذي يهب علينا بعش بصفائه نفوسنا ، ورؤية مياهه الرقاء

المتموحة فوق سطحه نعث فينا هلهو النفس . وراحة الأعصاب . وحر
نراق الشاطي الساحر

أحل : كان الحمام محسما في كل شيء يحيط بنا . ويصادفنا في
كل خطوة من خطواتنا . وقد استولت روعة تلك المناظر على نفوسنا .
عند ما وصلنا إلى نهر إبراهيم . وقد سمي هذا الأسم . نسبة إلى الأمير
إبراهيم . ابن أخت القديس يوحنا مارون . أحد أمراء الموارنة امردة . الذين
حكموا لبنان . وحدث لأنه بنى حصراً فوق مقصده بالقرب من البحر الأبيض
المتوسط . ما فني بشهد حتى يومنا هذا .

وليس نهر إبراهيم من الأنهار ذات شهرة املاحية . التي تهادى فوق
صفحته الرواق . وتدوى في مياهه أصوات الخديف وهي تنحسب اداء
برق ولى . كأنها حدثت لعشقين الوحيين . ولا هو من الأنهار التي تسط
حول مجراها السهوب المصحدة . والحقوب والسمين النسمه بناء . وإنما هو
حدول صعب . إذا قيس نهر كبير . مليء بالذكريات التاريخية . يشع
من معارة أفعى . بالقرب من العقورة . ومن الصحور التي تحاورها .
ويتدفق ماؤه في مجرى صخرى عميق . بصيق في أعلاه . نكتشفه الجمال
العالية . وتصطف حول حافته أشجار السديان . والصنصاف . وادهلى
وعيرها من لأشجار والنبات . التي تملأ احو غيراً دكياً منعشاً . وتز
مطرها الخلالة القلوب روعة . وعند ما يقرب مجرى هذا النهر من الشاطي
تجبر مياهه ببطء وهلهو ، وتروى الأرضى التي تحيط به . قبل أن تنفذ
بالفائض منها في البحر .

وقد امتدت يد الإنسان إلى هذا النهر ، من زمن ليس ببعيد ، عندما
فكر جماعة من رجال المال والأعمال المسائين . في الاستفادة من مساقط
المياه . التي يكثر وجودها في لندن . واستعلاها اقتصادياً ، فأقاموا عليه
محطة لتوليد الكهرباء . تعدى اليوم شمال لندن بالتيار الكهربائي .

أسطورة أدونيس

لم يشأ العم أبو طموس أن يهدر المكن . بدون أن يتحفنا كعادته
بقصه هذا النهر وتاريخه القديم . وما دفنت فيه من ذكريات ماضيات ،
ونحن جنوس تحت شجرة صوبر لم تحجب أعصابها عنا صفاء السماء
فقال . كان للهررة « فيبس » هيكل يقع عند منبع نهر إبراهيم ، الذي
كان يطلق عليه في الماضى نهر أدونيس . تقرب معارة أفقا . في أعالي
الجلاب بالقرب من المافورة . وقد هدمه الملك قسطنطين الكبير وكان
أدونيس منقوب بتمور . ابن الإلهة عشتروت . جميل الصورة . فهام في
حب أفروديت واتحدوا معشوقة له . غير أن عقارب الحسد قد دبت في
نفس مارس إله الحرب . ولكي ينتقم من أدونيس الذي يتنافسه في حب
أفروديت . أرسل إليه وهو يصطاد في غابات الشمال الكثيفة الملائى
بالوحوش . الكاسرة . حتريراً برياً كبير اللحم . فهاجم عليه . وأنشب أنيابه
فيه ، فجرحه جرحاً بليعاً . حاب به وبين مواصلة السير . فقلقت عليه
أفروديت لما طال عيانه . وحرحت تصلبه في الغابات الكثيفة ، والحال

الوعرة ، والوديان السحيقة . التي كانت أصوات الريح تعوى فيها كالذئاب
انكاسرة . لأن الوقت كان شتاء . وهي تنكس معشوقها وتندبه بكلام مؤثر .
إلى أن عثرت عليه ملقى عند مدخل معارة أفند الصيق المنتفورة بفعل العوامل
الطبيعية في صخر ارتفاعه ٢٠٠ متر ، وهو يحود بالنسب الأخير .

فلما رآها آتية إليه . دبت الحياة فيه . وأحدث أهروديت نغنى به .
ولكن الحرج كان مميتاً . ففضى نوحه بين دراعيه . ولم تعمر أهروديت طويلاً
فماتت غماً وحزناً على أدونيس .

وتقول الأسطورة إنه في آخر شهر شباط (فبراير) من كل سنة ،
وهو وقت الموافق لموت أدونيس . يتحول لون ماء نهر إلى أحمر قان يشبه
لون الدم . والحقيقة هو لون تربة الأرض التي تحرقها مياه الأمطار أثناء
انحدارها من أعلى الجبال . وتقذف بها في نهر .

وقد امتدت عبادة أدونيس إلى مصر وغيرها من بلدان . التي كادت
على اتصال وثيق بالفينيقيين . فكان من عبادة المصريين القديمي . أن يلقوا
كل سنة في عيد أدونيس . عبة في البحر . مصوعة من حشب على شكل هبة
رأس . ويضعون في داخلها رساة إلى سكان جيبيل تطوى على الود والإحاء .

جيبيل المدينة المقدسة

كانت جيبيل وقد سماها اليونانيون « بيلوس » في عصور التاريخ الأولى
عاصمة مملكة عظيمة . ومدينة حصينة ومقدسة عند الفينيقيين ، ومركزاً

لدينهم الوثني ، يقيمون في هياكلها التي كانت مستودع الأسرار والرموز القديمة . الاحتفالات الدينية لإكرام الإله بعل وقريسته عشتروت ، كما أن المصريين القدماء كانوا يحضرون إليها في المواسم والأعياد ، ويكثر من التقرابين والتشور لآلهتها .

وكان لكهنة يحتفلون بأعياد آلهتهم في تلك الهياكل احتفالاً منقطع النضير . وكان أهمها . عيد أدونيس (تموز) الذي قتله خنزير بري كما مر . فكانوا يقيمون هذا الإله عيدين . الأول في الحريف يمثلون فيه حارة أدونيس . زلدى فيه النساء ثياب الحداد . ويبكين على موت أدونيس . كما أن كهنته كانوا يحدشون وجوههم ، ويدمون صدورهم إلى أن تصطبغ أحسامهم بدمائهم حزناً على موت آلهتهم . والثاني في الربيع ، كانوا يقيمون فيه لأفراح . ويركعون جميع أنواع المونقات استباحاً ببعث أدونيس . واليوم ، لا يدل مصهر هذه المدينة التاريخية ، التي هي مهد الحضارة البشري . ومن أقدم المدن الساحلية وأغناها بالآثار . على أنها كانت على مبلع عظيم من العصمة بكثرة مدينتها الشامخة . ومسارحها المشهورة ، وأعمدتها ضخمة . وقد رأيت فيها نقايا سور حجري متين قيل لنا إنه كان يحول بينها وبين طعن مياه البحر عليها .

كان أهل حبل من أمهر الملاحين . يخصوصون عمار البحر من مرقاً مدينتهم شهير . ويظفون في البلاد بمراكبهم بهمة لا تعرف الملل . وقد أحرقنا أحدهم بأنه قد اكتشف في حبل . كثير من الآثار ، ومن أهمها المعبد الميسقي الأكثر . والنواويس العديدة . وعلى حواشيها

نقشت صور حيوانات وبشر ، كما وجدوا في هذه النواويس قلائد وعقوداً وحلياً وتماثيل ومسكوكات . ورحلات الحفط الدموع . دلالة على حزن أصحابها . وسوى ذلك من أدوات لريمة نسائية .

ويضم المتحف الوصى في بيروت . كثير من آثار هذه المدينة الأثرية الخالدة التي أبقت عليها الأيام . ونحت من أيدي المنمنمين وعث النصوص في عابر الأزمان .

وقد شهدت في قنعة حبل التاريخية بأكثر أقسامها الموحدة في البحر . وهي من بقايا الصليبيين في هذه المدينة .

تين عمشيت

بعد أن حمصا حبل وراعنا . رأينا في الطريق جموعاً من النين والسات . صغار السن مملأهم المصيبة الراهية . وقتل عن جانبي الطريق وفي أيديهم سلاخ صغيرة ، ملوّه بالطين الأبيض صعبير اللحم ، المنيد الصعير . يعرضونها على المارة ليلحمهم اللبذية الطريفة ، فأوقفنا سيارتنا وانتعنا منهم ستين بليرتين لبنايتين . وبينما نحن نفرح ما فيهما في حوصا . التفت إليي اعم أبو طنوس وقال :

— هذا تين عمشيت . وهو ألد تين في العالم . وعمشيت مشهورة تينها . وقد أقام فيها ربن القيسوف الفرنسي زمناً طويلاً ، حيث فقد ابنته . وما في قريها يشاهد فيها حتى اليوم نواير الكنيسة وتحت طلال

شجرة السديان . وكذلك انبت الذي أقام فيه هذا الفيلسوف اشهر .
حيث بدأ يفكر وهو جالس على سطحه في ضوء القمر في كتابة كتبه
« حياة يسوع » .

البترون

وبنا بلعنا البترون . كان البحر عن شمالنا . وحول لسان عن يميننا .
وقد انتصت كنيثايل الحذرة تهص فوق رباها الأشجار اسقات .
ولبترون مدينة قديمة . كانت ذات شأن عظيم في الماضي . بناها
ينو نعل في القرن العاشر قبل الميلاد . وكانت أيام الفينيقيين مرفأ هاماً
للتجارة . ومكاناً مشهوراً لصناعة سفينهم . وقد اكتشفت فيها نوويس
وآثار فينيقية ويونانية ورومانية هامة . أما اليوم فيشملها الهدوء . ويسط
عليها اسكون صله . شاهداً فيها آثار قلعة المسيحية القديمة في وسط وادي
نهر الخور . وسور البحر الصبي القديمة على شاطئ البحر ولعله مكمل لسور
حبيل . ويقال ان فينيقيين قد حاولوا لأول مرة ان يروا في البحر من هذه
ميناء . وعرو البلد القديمة على شواطئه . وانعرفوا أهلها وتبادل السلع معهم .

الإسفنج اللبناني

صفا شاطئ هذا المرفأ اخادق . وكان الوقت قليل الغروب . فرأينا
هناك شعباً قد قرئت شمس حياته على الغروب . جالساً على صخرة فوق

سطح الماء . يحيل الطرف بالبحر المترى الأصراف . كأنه ينتصر منه شيئاً .
أو يريد أن يودعه سرّاً يوصيه إلى حبيب . وما أكثر ما في البحر من أسرار
يكشف عنها طين الأمواج ! فحينئذ فرد له نجبتنا بأحسن منها ثم دعان
للحلولس . فجلسا محواره على تلك الصخرة وأحدنا فتداول معه الحديث ،
ولما مال بنا الكلام إلى العرة والمعتريين للبهائيين . تأوه شبعن من أعماق
قلبه وقال : قاتل الله لفرقة . فقد انزعجت مني أولادى الثلاثة منذ ثلاثين
سنة تقريباً . فترى اليوم في أشد الشوق إلى لقاءهم .

سكت شيخه برهة وأردف ما تقدمه قائلاً
إني آتى كل يوم إلى هذا المكان في مثل هذا وقت . وأجلس
فوق هذه الصخرة ، وأهمل الساعة التي سمحت فيها لأولادى بترك سائر .
قال العم أبو طنوس : بمكان يشتغل أولادك قبل سفرهم ؟
- أجاب الشيخ كان اثنان منهم يعملان معى في صيد الإسفنج من
شواطئ بلدتنا النورون . والثالث وهو أصغرهم كان يشتغل علومه في مدرسته
بالتدريس بحويه .

قالت سدوى . عجباً وهل يوجد إسفنج في شواطئ بلدكم ؟
فقال الشيخ كيف لا . فعرض أهدى النورون وحيل من سرح
الدس في صيد الإسفنج . لأن الشاطئ لسانى الممتد من طرابلس حتى
حليل . كان مركزاً هاماً لاستخراجة في موسم الصيد الذى يتبدى في
أوائل شهر آيار (مايو) . ويستمر حتى شهر إيسول (سبتمبر) . غير أن
هذه الصناعة اليوم في طريق الروان لقلة الأيدي التى تعمل فيها . نتيجة

المهجرة . وعدم الاعتناء بالشواطيء . وتوفير بيض الإسفنج فيها .
 قال الدكتور خليل . يا حمد لو اهتم ولاية الأمور عندكم يا عم
 أبو صوس . وأوتوا هذه الصناعة عدينتهم . وقد كانت إلى عهد قريب
 مصدر من مصادر الثروة في لسان . فقد قرأت عن الإسفنج اللسان أنه
 من أحوذ أنواع الإسفنج في العلم . لمعومة ممسه . وشدة ليونته . وحال
 لونه لدى يضرب إلى الشقرة .

قال الشيخ : نعم يا ولدي . إن صناعه الإسفنج كانت قبل
 حرب نكري الأولى تلاقى روحاً عظيماً . وكان يعمل فيها كثير من
 الأيدي . أما اليوم فقد أشرقت على الزوال . لأن الحيل القديم الذي
 كان يعمل فيها قد انقرض أو كاد . ومن بقي منهم . لا يستطيع القيام
 بهذا العمل الذي يتطلب مجهوداً خاصاً . أما الشان . فقد ترك بعضهم
 لسان . كما انصرف البعض الآخر عن هذه المهمة إلى سواه . قاتل
 الله العرب . فقد قتلت لسان . وشلت حركة العمل في كثير من
 مرفقه الحبيوية .

لم نشأ أن نقف على شيخ أكثر من ذلك . فتركناه على صحفته و
 وحدته يتأمل . ويفكر وينتصر محي أولاده الثلاثة . إنه الأمل الجميل
 الذي يداعبه ! . بل الأمل الذي يداعب كل لبناني ينتظر عودة من له
 في دار العرب . هكذا يعيش اللبنانيون اليوم . فليس في لسان قرية مهم
 يقبل شأنها . إلا ويوجد مغتربون من أبنائها . أحل حياة بالأمل هي موت .
 ما أصيب العيش لولا فسحة الأمل !

نفق المسيطة

قصينا الليل في ابترون الحادثة . وفي صباح اليوم التالي بارحناها إلى شكا . فاجتازت السيارة أثناء الطريق نفق المسيطة الشهير ، وقد نفر في خوف الصحور التي تعلو سطح البحر بمقدار ٢٠٠ متر منذ زمن ليس بعيد ، وذلك عند إتمام الطريق بين الترون وصرابلس . تفادياً من حوادث المركبات التي كان يكثر وقوعها في تلك الجهات ، ويسمى نفق هذا النفق نحو سبعين متراً . ويعلو رأس الشقعة الشامخ الارتفاع . وجنوره المابطة عمودياً . فتدخل في البحر على شكل رأس يكثر حوله سمك الكبير اللحم اللذيذ الطعم . وقد حبل إليها مطره من بعيد كأنه بركة راسية في المرفأ في انتظار الخروج إلى عرض البحر فتمخر عنه .

شكا وشركة الترابية المسادية

ولما أشرفنا على شكا ، بدأ لنا حليحها بحميل الصعير ، الذي يريه رأس الشقعة بصحوره العالية ومن ورائه مصنع شركة الترابية المسادية (الأسمنت) ، الذي يقع بأكثر أحرائه على شاطئ البحر . وهو يتدفق من مداخله العالية بسحب في الفضاء .

توجهنا لزيارته . فإذا هو مكون من أربعة أفران كبيرة محهرة بأحدث

الآلات والعدد ، ويعمل فيه عدد كبير من الشبان اللبنانيين تحت إرشاد مهندسين سويسريين ولبنانيين

وقد أحرزنا أحد المهندسين ، بأن الأسمت الذي يتجه هذا المصنع هو من أحواد الأسمت في العالم . نظراً لطبيعة الحال اعجبة بشكا التي يؤخذ منها . تأسست شركة الترانة اللبنانية منذ ربع قرن تقريباً ، برأس مال قدره ٢٤ ألف ليرة ذهبية . وكان إنتاجها في بادئ الأمر ضعيفاً جداً ، لا يتجاوز في مجموعه ٥٠ ألف طن في السنة ، نظراً لعدم الإقبال على استعمال الأسمت في لبنان . أما اليوم فقد أصبح رأس مالها يقدر بثلاثين مليون ليرة لبنانية بعد ما زاد إنتاجها إلى ٥٠٠ ألف طن في السنة ، حتى أصبحت تسد حاجة لبنان من الأسمت في أوج نهضته العمرية ، التي شملت جميع قراه ، ويصدر الفائض من إنتاجها إلى الخارج .

وقد علمنا أن أكثر أسهم هذه الشركة الناجحة هي في أيدي السويسريين . الذين كان لهم الفصل في إنشائها . بيد أن فيها كثيراً من المساهمين اللبنانيين . ومن أكثرهم عطية الطيريك الماروني ، مار أنطوني بطرس عريضة . إذ يملك فيها ألى سهم إيرادها السنوى ٦٠ ألف ليرة لبنانية . أوقفها جميعها على مساعدة فقراء كهنة الرعايا الموارنة وغيرهم من فقراء لبنان .

الفصل السادس

التصعيد في الجبال

حقيقاً وراءنا بعد أن تركنا شكا، الشواطئ السايبة، وهي من أجمل شواطئ العالم منظرًا، وألطفها مناخًا، وأرقها نسيمًا. لأنها تجمع بين متعة السواحل، وحلال الجبال. تربتها روعة العذبات الكثيفة التي تشرف من عل عليها، وقد أحدثت السيارة ترقق بنا سفوحاً نضرة، وهضاباً وعرة توشبها الخضرة، شقت فيها طرق معدة تتلحرج في الارتفاع، وكلما أرددنا توغلاً فيها. أرداد البحر بعداً عما. إلى أن استولى علينا الرعب من مطر الوديان السحيقة. التي كان النصر يقع عليها. وكان يريل ما يساور قلوبنا من الخوف. ظهور بعض القرى من حين إلى حين أمام عيوننا، قرى أوجدتها الطبيعة في بقع معينة بالذات في ذلك الجبل الأشم. ومن حوها تقوم العذبات وكروم العنب. وحدائق المأكهة. فكانت كأنها صور فية، فيها سحر، وفيها جمال، رسمتها يد فنان حادق على لوحة الطبيعة في أرض لبنان.

مهارة سائقي السيارات

أخذ علينا العم أبو طوس خوفنا من انكماشنا في أماكن في السيارة وصمتنا. والاكتفاء بسماع مذياعها ونحن لا نشعر بحمال ما يحيط بنا،

ولا نظرب لعلوية صوت المعنى . وكى يدد مخاوما قال :

— لا تحاوما أيها الأحوا . بن الطرفى فى لسان كلها أمان واطمئنان
ونحن ما رلما فى أول الدرب . فسنجدر بنا السيارة عما قريب . مرتفعات
عالية رهيبة قائمة فوق الحصاب . ونسير فى طرقات متعرجة متوية شقت
فوق هجمات الأودية وقتن الجبال . شكل يسهل معه احتياز السيارات
بدون خطر أو خوف . لأن سائقى السيارات فى لسان . من أمهر سائقى العالم
وتقدس مهارتهم بتعرج الطرقات وصعوبة التصعيد فيها . على أنهم يقودونها
سرعة حوية لا هودة فيها . فقلما نسمع لمحدث حوادث فاسائق
انسانى يتحكم فى عحة القيادة . كما يتحكم الطفل فى لعبته .
راى هذا الحديث فى نظر اسائق حسن فقال .

هل أنتم حشون " نحن ما رلما فى مشيل التصعيد فى الجبال .
فعد ما بلغ رأس الشقعة . وهو أذهب مرتفع فى لسان .
مادا تقولون "

أحابت سلوى نقول بأننا نحت رحمة ربنا . ورحمة قيادة سيارتكم
فضحك بعد وحوه من روح حس الرحمة . الروح التى يتصف بها
جميع أهل لسان . فأوقف مدباغ السيرة وطب له العاء . وأحد يصرين
بصوته الرحيم بالأعنى السنية . من عتاب وموويل والسيارة ترتقى ما الجبال .
وكننت الوديع تردد صدى صوته العذب

وقد مررن بكثير من القرى والديساكر ، وكان أهلها يقابلونا بترحيب .
لأن روح مدينة الرثمة وما فيها من كذب ورياء لم تنسرب إليها بعد

أميون

ولما أشرفنا على أميون القائمة على أكمة عالية تصل على ماصر عاية ما يكون من الروعة والجمال ، أوقفنا سيارتنا وقمنا نحوه فيها . فرأينا في سفح الجهة الشرقية منها كهوفاً عديدة . كانت في الماضي مدارر لسماك ، وحقولا نعص بأشجار الزيتون . يرجع تاريخ عرس بعضها إلى مئات السنين وزرنا كنيسة القديس حرحرس عليه السلام . وهي قديمة جداً ، بيت على أنقاض هيكل وثني قديم . يقوم بالقرب منها مدفن ، قيل لنا إنه لموريق أحد القائدين . اللذين أرسلهم الملك يوستينوس لمحاربة المردة حكام جبل لبنان ، فلاقى حتفه ودفن هناك .

نتقل من كنيسة القديس حرحرس إلى كنيسة القديس يوحنا . وقد بنيت على صخرة نحتت فيها عدة قبور أثرية . يرجع تاريخها إلى العهدين الفينيقي والروماني . ومن هذا يستدل على قدم هذه القرية القابضة في عقر الجبل . وتشرف أميون على سهل حصص . وهي تعد من أكبر قرى الكورة العليا ، مساحتها ضخمى ، وهواؤها عليل . وماؤها عذب بارد غزير ، وبعد أن احترناها في طريقنا إلى كوسبا ، وتقع في جنوبها الشرقى . رأينا عريبتها في المكان المعروف بقصر الياووس آثار حرائب قديمة . استدلينا منها على وجود مدينة قديمة ذات أبنية ضخمة . كان لها شأها عظيم في الماضي .

الرباره وقصتها

استمرت السيرة في صعودها حتى بلغت قرية الرباره ، وفيها مقام متواضع هذه الشهيده اعطيمه التي ولدت من أنوبس وثنيين . وحكايتها . أن ولدها حسبا في بريح لشدة حمدا . وحسن أخلاقها . ورقة شهاستها . لئلا يهيم قلبها بشخص لا يريد له هو زوجا . أما هي . فشرعت من أعلى برحها ترفع عينيها إلى السماء . وتأمل نعمات كوكب . وترقب بهاء القمر . وتفتش برودة وحلال الشمس والكوكب الأخرى . فاستنعت من كل ذلك وجود حلق عظيم . وإن الآفة التي يعدها والدها ما هي إلا آفة كدته . لا حول لها ولا قوة .

ونفي الأمر كذلك . إلى أن سمعت هذه الفتاة شريعة الحبس والسب بعلامه المسيحي أوريجانوس . الذي علمها حقائق المصرية فأمت بإله واحد . وندرت عنها له .

ولما عزم أبوها على أن يروحها بأمر من أمراء بلدنها . اعتذرت بأدب وصدق . تخجتها أنها تريد أن تخدمه بعد أن تبع من العمر عتيا . ثم أتت ها والدها حمداً فحوته بيتاً للصلاة . بعد أن فتحت فيه ثلاث كوات على اسم الثالوث لأقدس . وأخيراً علم والدها بسر نصرها . فأخذ يديها من صوف العذاب شكلاً وأتواناً لعبها ترند عن المصرية . ولكن بدون جدوى . وأخيراً هزت إلى الحذر فلعق بها . وبأدركها قتلها بخد سيفه .

وعند عودته إلى البيت . وكان الجو حيللاً . انقصت عليه صاعقة أماته
لساعته . وما فتئ المسيحيون يحتفلون بعيد هذه الشهيدة القديسة في الرابع
من كانون الأول (ديسمبر) من كل سنة .

وقرية البرارده هي مسقط رأس الشاعر القروي - رشيد الخوري
نزيل البراريل اليوم الذي يفيض شعره شوقاً وحنيناً إلى لسان

حدث الحجة

وبعد أن ررنا مقدم هذه الشهيدة العظيمة . ستألفنا رحلتنا إلى حدث
الحجة . قرية العريقة في تقدم . وتقع على رابية تدعو سفاح . بحر بمقدار
١٤٥٠ متراً . بها عذات شربين وأنصور والأرز . وقد أحترق بهم
أبو طوس بأن سبك نضهر ببيرس قد هدمها . وكل أهلها . وأعمال السيف
في رقابهم . عندما رحت جيش حرر محاربه أروم لأمره ناصر وهم عليه .
ومدح هذه القرية صحي . وهو قد حفر . يسعها سادة سادة .
ومدصرها الصعبة التي تكتمها لا تمل العين من مصر ، إنها حتماً ن كل
بقعة من بقاع الشمال يتمثل فيها الحصار

حصرون

كانت الشمس على وشك المغيب عند ما بلغنا حصرون . وهي من
أجمل مصابيف لبنان الشام وأشهرها . وتقع على كتف وادي قاديشا

مساحتها صحي . ومائها بارد عذب . ترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٤٠٠ متر ، وتبعد عن بيروت بمقدار ١٢٠ كيلو متراً . تحيط بها حدائق الفاكهة . وكروم العنب والتين والعائات ذات الأشجار الكثيفة . وهي انقية الساقه من تلك البساتين التي كانت تكسو بقاع الشمال .

قصبتنا ليلتنا في أحد فنادقها ، فسرنا ما لقينا من حسن المعاملة . وكرم ضيافته . التي يتصف بها أهل الشمال . وفي صباح اليوم التالي وكان يوم أحد . بعد أن تناولنا طعام الإفطار . أرحبنا ركابنا إلى الديمان وسط القرية . قريباً جداً من الدس يسير في الطريق العدم . يتقدمهم أسقف ملبسه الأرحمانية اراهية . يزين صدره صليب ذهبي . وكانت عاية الحبيب كنيسته القرية اسماع صلالة القديس . فراق هذا المشهد في عيونا . وأكبر تدين انعم وانتدعهم حول زعيمهم بروحي . فذكرنا هذا امشهد يد كاد عليه لسان في ادعى . يوم أن كان الرئيس الديني في القرية هو غنابه الرعيم فيها

الديمان والقصر البطريركي

ولما وصلنا إلى الديمان المقر الصفي لعظة اسطريرك الماروني في طريق بصيئة الانحدار تنفرع من الطريق انعام . شاهدنا جمعاً حاشداً من الناس في فناء القصر الذي يتوسطه فسقية ماء . قد تدلت فوقها أعصاب الأشجار اتحد بشاركة الطائفة المارونية الديمان مصيهاً خم مندستين سة حلت

بعد انتقامهم من دير قلوبس القائم على شفير في بطن وادي قاديشا . وقد
قابلنا كهنة الديبر مستقلاً حساً . حتى إن أحدهم . لما عرف أننا
عرباء تفصل بمرافقتي في ردهات القصر . وأخذ بشرح لنا كل ما تقع
عليه عيوننا . ولما بلغنا الهو الكبير . لفت بصرنا وحود صورة ريتية كبيرة
للمعصور به الملك . مد الله . ملك شرق الأردن . معلقة في صدر الهو .
فسألت الآسة سلوى كاهن عن معنى وحود صورة ملك أرضي رمي مع
صور أشخاص تجردوا للخدمة ملك أرضي

انسم الكاهن من هذه الملاحظة الدقيقة وقال .

كان المعصور به الملك عبد الله صديقاً حميماً لخطبة المطيريك .
فأهداه صورته عربون هذه الصداقة . فأمر غبطته بأن تعلق في صدر هذا
الهو . وهو المكان الأكثر لياقة هنا . ولست أنت يا آسة أول من سألت
هذا السؤال .

شكراً لكاهن المتاحصل لصفته وكرمه أخلاقه . وبينما نحن منهم بدواعه .
عما عبطة مطيريك عملاسه الأرحمانية راهبة يدرع سطح الديبر الذي
يشرف على الوادي المقدس . فحدثت آسة سلوى رعدة ملحمة في مقابلة
لاتماس البركة . ولا سيما بعد أن عرفنا أنه قد باع صليبه الذهبي في الحرب
الكبرى الأولى ليضع ثمنه فقراء أورشليم . غير أن الكاهن المتاحصل . الذي لم
يشأ أن يبرعه ويذكر عليه صفو وحدته واختلاطه بربه في مثل هذا الوقت
من النهار . اعتذر لنا بمصطف . فكتفينا عنده . أن تزودنا منه بنصرة خاطمة
وقصا على رابية بجبل الطرف بـ الوادي المقدس فإذا مضى رهيب لشدة عمقه

الذى يبلغ نحو ٥٠٠ متر . ولانحداره السريع . حتى ليخال للمرء أنه واقف على حرف هار بعيد العور . وقد انتصبت على جانبيه جبال عالية كسها الأشجار النافقة . كما رأينا تحت القصر . حديقة ملأى بأشجار الكهكاه والتين ودولاب العنب . قد كرتنا رؤية هذا الوادى من بعيد ما قاله عنه الراهب الفرنسيسكانى جان بوشيه الذى زار دير قنوبس سنة ١٦١٢ . «هبطنا إلى الدير في وهاد ضخم ، صلبة ، سريعة الانحدار ، يكتفى الصخر ، ليها لإبقاء الرعب في النفوس . وكان برؤسها محفوفاً بالخطر والخوف . وما وصلنا إلى مقر النظر برك . كانت قلوبنا نحقق من شدة التعب والخوف وقد لاحظنا عطشه عينا ذلك . من وجوه وجوها . والصلمت إلى عقد أسننا . فأمر بأن يقدم لنا في الحال نبداً . بحيث ما كدنا نتناول أو حرعه منه . حتى عودنا نشا . ودبت الحياة من جديد في نفوسنا .»

قرية بشرى

كانت ساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل عند ما انطلقت السيارة بنا صعوداً إلى قرية بشرى . ومعناها بالعينية بيت الشرى ، وهي من أكبر قرى لبنان الشما . وتشرف كما في القرى الأخرى على الوادى المقدس غربي غابة الأرز الواقعة عند سفح جبل المكمل .

ويبلغ ارتفاع بشرى عن سطح البحر بمقدار ١٤٥٠ متراً . وتبعد عن بيروت بمقدار ١٢٥ كيلو متراً حوها حاف ، وماؤها عذب بارد ، ومناخها

حبل صمى ، فيها كثير من لبساتين الينعة . ولخلائق التي يرويه الماء المتدفق من معارة قديش . وبشرى هي مسقط رأس فقيد العروبة الكاتب الكبير حبران حليس حبران . فكان مولده فيها في السادس من شهر ديسمبر سنة ١٨٨٩ وقد ترك له فيها ذكريات حلوها فيها نظم ورسم وكتب .

على ضريح حبران

وبينا كنت البيرة نلطف بى فى طريقها إلى الأرز . مع لافتة كتب عليها عبارة هتديا بها إلى الطريق الموصل إلى متحف وصريح حبران . فتركنا سيارتنا فى طريق حاداً . وسرنا فى دروب صبة وعرة وسط الأشجار السفة ، بسحس الماء من صخورها نقائمة على الحدين . فيسيل إلى غير غاية ولما وصل إلى ربوة عالية شفت فى وسطها طريق ضيقة . احتربها خوف وحذر . إلى دير مار سركيس وهو عبارة عن كنيسة صغيرة قديمة مقفورة فى قلب صخر تطل على وادى قديش المهيّب . وتكتنفها الأشجار من جميع نواحيها . فدخلناها نخشوع فإذا فى ركن منها تابوت غاية فى البساطة . يحتوى على حياض حبران . وقد علقت فوقه صورة مكبرة له . بدت على بحياه فيها علامات الحزن والتمكيد العميق . فى أى شىء كان يفكر حبران يا ترى ؟ إنه كان يفكر بلا شك فى هذه الحياة . وفيما وراء الحياة .

أحل . إن الحياة تندفق من هذه الصورة ، التى يخلق صاحب بعينه الواسعتين فى الرائرين . وكأنى به يرحب بهم . ويرجوهم طيب الإقامة فى

ربوع الشمال . التي نزع عنها ومات وهو يهجرس بذكرها . إن جبران مات . ولكنه حي مؤلفاته العديدة . ورسوماته الكثيرة التي أودع فيها أفكاره الفلسفية العميقة . وبعد أن وقنا مدة أمام تابوته مترجمين عليه . وقد عقد المنظر الرهيب ألسنا . سألا حارسة القبر وهي سيدة لطيفة متوسطه العمر . مليحة الشكل . قوية السبة . لماذا دفن جبران في هذه البقعة بالذات ؟ فأجابت قائلة . تلك كانت وصيته قبل وفاته .

ولكن سلوى التي شعنت بأدب جبران . تداركت الموقف وقالت :
 — قرأت عن جبران . رحمه الله . أنه كثيراً ما كان يترك مدرسة القرية في صغره . ويأتى إلى هذه البقعة الخدثة الخميمة . وكان يلد له الخلوس على صحورها الصماء التي تشرف على قرية بشرى ووادي قاديشا . فيحلو إلى نفسه . ويتأمل في عصمة الطبيعة وما فيها من قوى كامنة . وفي حمراء هذا الوادي وما يخويه من روعة وفننة . فتركت تلك المنظر الخلالة في نفس جبران القصي آثاراً من كل ما رأى . كما سجل حرير الماء المساس من أعالي الجبال في قلب الوادي الحدأ شجية . كان يصمى إليها حبرر وهو يستمع في همسات قلبه . وحدثت مؤاده . حتى إذا اكتتمت له تلك الأنعام ونضحت في محيطه تلك التصورات راح ينشرها على الملاء بقلمه السياب بشكل فني . وأسلوب أخاذ . قد انفرد به دون غيره من الكتاب يشعر كل من يقرأه بحجاب ما اعترف من مؤونة . كفته عمره في غرته . وكان كعمر الورود في قصره .

أحل في هذه البقعة احادثة من لسان . شاءت الأقدار أن يرقد جبران .

حدثيت وأسطورتها

مررنا في طريقنا بحدثيت الضيعة الصغيرة . المعلقة بيوتها المتوصعة فوق صخور وادي قديشا . يحيط بها لأشجار . والصخور ذات الأشكال الجميلة . وتقع على قرية بشرى . فشهدنا فيها كثيراً من المعور المنقورة في قلب الصخور . كان السالك قديماً يتحدوها مأوى هم . وبما كانت سبورتنا تدع سيرها نحو الأدر . رح العم أبو طنوس يحدث عن منشأ هذه القرية فقال :

إن حدثيت لمطة سريانية معده . إحدى الستة . وسبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى الأسطورة التاريخية الآتية .
كان الملك بطليموس الخامس مشهوراً من صغر سنه بسوء سلوكه وقبح سيرته وصلمه لرعيته . وكان لا يتورع عن ارتكاب أى محرم في سبيل قصه شهواته واتباع رعاته الخسنة . إلى أن كرهته رعيته . فظهرت له الإلهة أفروديت في الحلم ثلاث مرات متتالية . كانت تقول له في كل مرة . إذا رعت في أن تكفر عن خطيائك . وتقلع عن سيرتك وترضى وترضى الآلهة . فعليك أن تنى في هيكلا في جبل لبنان العظيم . وكذا لأولادى الستة .
طلب بطليموس في المرة الثالثة من إلهة أفروديت . أن تبين له المكان الذى ترعب في أن يبنى لها هيكلا فيه .

فقالته له : ضع نعلنى على ظهر راقه . وأرسل وراءها أحد وزرائك
الذين نضع فيهم ثقتك . وفي المكان الذى ترك فيه الراقه من تلقاء ذاتها .
اس لي هيكلا . وفعل هكذا مع أولادى الستة .
استدعى يهليموس في صباح ذلك اليوم أحد وزرائه . وقص عليه
الحلم . وعهد إليه القيام بهذه المهمة . فوضع وزير ثمار أفروديت فوق
صهر راقه . بعد أن زينها بالخواهر النخبة . وأحلى تعالیه ثنية . فأحدثت
تصوى في سيرها الصخرى وانقمار . حتى وصلت إلى جبل لبنان . فبركت
من تنقذ نفسها في فقر الواقعة خوارج مع الناس . فوق مررعة كهر ديار .
فعددت شرع اودير في ساء هيكلا عظيم عجيب في بساتنه . تعاوه قبة من
المحاسن الأصغر موثني بالذهب . كان صنها يمتد حتى يصل إلى عمجلتون .
وقد صاغت يوم معلّم هدا هيكلا . وثقبت آثاره تشدد في هذه النقعة
حتى يومنا هذا . ثم بنى بعد ذلك هيكلا للإلهة أرصاميس بنى يقوم اليوم
على أنقاضه دير سيده جدميش بالمعزبه . وقد مر ذكره . ثم بنى هيكلا
ثانياً للإله بلوب فصاغت معالنه وأقيمت على أنقاضه قرية بنونه . ثم هيكلا
ثالثاً للإله عجولون . وتقوم اليوم على أنقاضه قرية عمجلتون وهيكل رابعاً
لأراهان وتقوم على أنقاضه قرية ريمون . ثم هيكلا خامساً في حنة المسيطرة
قرب قرية أفتا بجانب نهر إبراهيم . فاندثرت آثاره وصاغت معالنه . وكان
هذا المعبد مركزاً لأركان الممكرت وإتيان المحرمات . وقد هدم الملك
قسططصين الكبير هذا الهيكل . وبنى مكانه كنيسة على اسم العذراء .
ولسادس في قرية حدشيت . وقد تقوصت أركانها اليوم . وأقيم مكانه

كيسة تحمل اسم القديس روفينوس . أحمر . جلدهم . عند ريرسا د نأهم
 وحدوا عند ترميمها تملا من ارجاء جميل الصنع . فكسرو رأسه ووضعوا
 جسمه في ثياب الخياط

تلك هي قصة لأسطورة لشعة . التي أنقذت ب نعم و خصوص عن
 قرية حدشيت . التي يمتد بساكنها حدشيت . وقود بنام . وأهملهم
 ولا يصبر عنهم في الحدشيت . لا نساء حصرون وثمة نساء جميع قرى شرب
 لسا .

الفصل السابع

أرز لبنان

وقعت بنا السيارة أمام عدة الأرز التاريخية المعروفة «أرز الرب» التي
تغني بحماها الكتاب المقدس . وترنم بذكرها أنبياء العهد القديم ، وكثير
من الكتاب والشعراء الملهمين . القدامى منهم والمحدثين . فقد كما في أشد
الشوق إلى رؤيتها لكثرة ما سمعنا عنها . وما قرأنا بشأنها من أنها قطب
الحداثة لكثير من السائحين . الذين يقدون إلى لبنان ، لشره والاستحمام .
وتقع هذه العبة المقدسة التي تعلو سطح البحر بمقدار ١٩٥٠ متراً
وتبعد عن بيروت بمقدار ١٢٥ كيلو متراً على رابية في جبل الديكسل عند
سفح قمة ظهر القضيبي . التي هي مع قمم قرية السوداء وهم الميراب .
من أعلى قمم حد لبنان ، فيبلغ ارتفاع الواحدة منها ٣٤٠٠ متر .
فرايبها محاطة سياج من الأسلاك الشائكة . قد رفعتها الحكومة اللبنانية فوق
سور حجري . كان قد أقامه رستم باشا أحد متصرفي جبل لبنان السابقين .
ويقوم على حراسة هذه العدة . حراس معينون من الحكومة للضرب
على أيدي أولئك الذين تحدثهم بقوسهم بالعش . أو الإساءة إليها .
يقطع أعصاب من شجارها الباقيات ، وعددها اليوم نحو ٤٥٠ شجرة .
ما بين كبيرة وصغيرة .

كان الفينيقيون في الماضي . يصنعون من حشب الأرز الذي كان
 يكسو حدال لسان ، سفنهم التي حمت من شواطئهم محدهم . ونقلت إلى
 جميع أقطار العلم حصارهم . وعلمهم وفهم . ويحزن الكتاب المقدس بأن سليمان
 الحكيم امك . قد شعل وأقام الأبدى لعمدة في قطع شجر الأرز من أحراش
 لبنان ، لساء هيكله العظيم في أورشليم . كما أن الماسيين والأشوريين والمصريين تقدماء
 قد استخدموا هذا شجر في صنع سنهم . وعمل ثاث بيوتهم . وإعداد توابيت
 موتاهم . وبناءها كل آسهم . اعتقاداً منهم أن الفساد لا يتصرف إليه . ولا يخرق
 السوس على أن يتحدله ماوى فيه . وهذا اعتراء قدماء جداً تحمله شكل اشجر
 ويعتبر الأرز ملك أشجار الفصيلة الصميرية . وأشرف أشجار الدنيا
 أصلاً . وأكرمها نوعاً . وفروعها الدائمة الاحمرار . وأعصانه العباء لصل
 قوية عديمة . تمتد امتداداً أفقياً على حاسيها ، تقصر كلما طالمت الشجرة
 وعلت أصولها ، وفرت الفروع من قممها . فيكون بالشجرة شكل مخروطي
 ذات منظر رائع فانس . بأحد بمجامع القناب . وقد قسما محيط ساق
 شجرة على سبيل الاحتمار . فوجدناه ١٦ متراً تقريباً وارتفاعها أربعين متراً
 ويصير شجر الأرز ثمرأً بيضويًا يشبه كور الصنوبر في شكله .
 إما لا يؤكل . ويبقى عديمًا في أمه الشجرة إلى أن يحف ويبس وتتمتع
 مسامه . فينثر على الأرض ما فيه من بذور تدفعها النوح في حوفها . ثم
 لا تلت أن تمور ووبداً رويداً حتى تصبح شجرة ذات أصول . وقد رأينا
 كثيراً من هذه الشجيرات النامية : ويبلغ عمر بعضها عشرات السنين . ومع
 ذلك ما فتئت أعصانها لصغيرة تلامس الأرض . لظء نمو هذا الشجر .

أرزة لامارتين

دعنا نعدنا تاريخية برفقة أحد الخرس ، فأحسننا بداخلنا برهة
وحشوح عندما وجدنا من حش حقيقه . لا تناسب مع عصمة الأرز ،
ولا تنيق بأن تكون مدحلا من حيث الحكيم المقدس . الذي هبنا به في سلم
حجرى قد تكسبت بعض أحرته . وكان السهم عليل بهبهه أعصاب
لأشجار الحارة برفق ونين . ويسوس ها بأحدث يدكرها فيها باقوم
بعمرس . ويحدثها عن أدهم . فكنت تلك الأعصاب تعلو وتهبط
بسطاء كأنها كنت تؤرخه لأموح فوق صفحات بحر تعث بمائه الرياح ،
ولما نوبت في الغد بعد صعود . أحد الخرس يشرح لنا تاريخ كل شجرة
من تلك لأشجار . وما أقدرت به من أحداث . وما بعد أرزة صحنمة
ساق . شجرة لا ترفع . وقف الخرس أمامها وقفا .

هذه أرزة لامارتين . شاعر الفرنسي شهير . الذي زر هذه العبة
سنة ١٨٣٢ وبصره إلى سته فمد قمشه على جاعها . كما نقش اسم أمته
حوبا أني كنت نرفقه في رحلته تحيد هذه البرية

أرزة الناسك

وسارت الخرس قليلا إلى أن وقفنا أمام شجرة أرز محوطة بقدر
وهذه أرزة الناسك . وبدأ نرختها من يوم لدى دب فيه الخلاف

بين أمير من أمراء عرب . وبين دويبه فترك لإمارة واهبها . وفصر والده
وعصمته . ورهد في العالم ومسرته . وأخذ بصيرته في مساكن الأرض .
ويصوف في بلاد الله واسعة . إلى أن حص رحله في هذه السبعة السراكة
من لسان الشهي . وذلك منذ مئات الأعوام .

كان الوقت صيفاً . وأحو حبيلاً . وهواء غليلاً . فصارت له الإقامة
في رحاب هذه بهية . ولكي يتقى هذا الأمير حضر بوحوش صديقية .
التي كانت تملأ عذبات لسان في ذلك الزمان . تفر له مأوى في حناج هذه
الشجرة كما تشهدون . وثقه فيها بأكل من لم يلقى كذب يهتد عليه من
السماء . وبشر من يسوع شئ من حناج لأرزة محورة
قربها من الأرزة لأحبة ونحس البدء في حوائجها . وإد هو حقيقة
واقعة . غير أن المذكور حبل قد عاين وجوده في تلك لأرزة بياضه .
إلى دواب الثلج وتسرب مثله في الأرض ومقاصص حناج تلك الشجرة له

كبيسه في عذبة

سرد مسافة أخرى . فربما في الجهة الشمالية من العدة مقاسه كبيسه
ضخمة . تقوم على رابية فيها . هي مرز لجميع رواد عذبة لأرزة على
اختلاف أديانهم ومداهم . سادها طيب الذكر المصيريك وحننا الحاج
مد سبعين سنة تقريباً . وقد صنعت جميع محاربتها وهي كنه من حش الأرز
وبعمر هذه الكبيسة الثلج في أيام شتاء . كما ينس أشجار الأرز



كسوف في مدينة لا ريج . يوم تسر من جمع الدواب

وفروعه وشحاً ناصع النياض . فتصهر كأنها تماثيل حجارة . دانت سواعد
قوية قائمة في سمح ذلك الحمل الأشم . مبرأ بعاديات الدهر . وتسحر
بالعواصف التي لم تقو على تقويض أغصانها الشائخة . فتصنع تلك البقعة
وم يحاورها كصفحة ملساء بيضاء . كتبت يد الطبيعة سطورها بمداد خفي
هو حيط من بكاء الشاء ورفرات الحريف لا تلت أن تمحوه شيئاً فشيئاً
شمس آيار الدافئة . فتشم شا الحفول بعد عوسها . وتترغم الوديان بعد
حمودها . ويعرد الطير فوق الأفان . كما يهرع الإنسان بدوره بعد عياب
طويل في بقعة الأثر الخالدة الراضة كالأسد في سمح أعلى قمم جبال

لبنان . يعمل فيها قأسه ، ويررع الحب ويرجو الثمر من الرب .
يا لحمال الأرز وبنا لعظمته ! ! إن روح لبنان تتمثل فيه . فلدا
تحذه اللبنايون شعاراً هم وزينوا به وجه رايهم المحبوبة التي هي آية محدهم
وعنوان عظمتهم .

فهذه الأشجار الخالدات . بل التماثيل الحية . كما قال عنها لامارتين
هي رمز القوة . وعنوان العظمة . يرنو الكتاب وشعراء دوماً بأبصارهم إليها
يستلهموه ما ينشدون . وهي الصمته في علياء محدها . وفي صمتها
الفصاحة والبلاغة وبيان . ويستوحوا منها اهدوء والصر على الشدائد . وفي
هدوئها الحركة الدائمة . وفي صبرها اشات على محن الدهر . ما استقبلت
أعصابها شمس الصباح .

شهد الأرز غروات الفراعنة واليونان والفرس والرومن والعرب والترك .
رحل عنه جميع هؤلاء . أما الأرز فاق في مكانه . حالد حلود الدهر .
يحرس من أعلى قمة صهر القصب لبنان أكثر من أربعة آلاف عام .
وبينا تعمربا موحه من ذكريات الماضي السعيد . أعددت إلى أدهاننا
أشجار الأرز الخلد . يوم كان يملأ تلك النقع . وينوح بلونه السدسي
قمم حبان لبنان ، قبل أن يكون صفحة من صفحات التاريخ ، وبدا
نصوت التي حرقيا يرن في آذان . فيحاول ريبه في أودية الزمن السحيق .
« هوذا أرزة لبنان . أرزة سبيجة الأفان . عياء الظل . شجرة القوم .
قد عظمتها المياه ، وحررت الأنهار من حول معربها . فأرسلت محاربا إلى
جميع أشجار الصحراء . فارتفع قوامها فوق جميع الأشجار . وكثرت

عصاه وامتدت فروعه من كثرة انباده

في شمسها عششت جميع ظيور السماء . وتحت فروعه والدت جميع
وحوش الصحراء . وفي صلبها سكبت الأسماء الكثيرة . وصدرت منهجة في
عصاه وفي صوت عذوها . فعدت منها جميع شجر عدن التي في حمة الله .
فمدحهم غيبك وثبت سلامك يا رزاق . رزاق الأحياء والأموات

مصدق الكهرواني

سمي بهذا في سنة ١٢٠٠ . لأمر منحه الكهرواني معالي . وهو عذرة عن
كرسي مرشد رضاء محكم في أساليب . بفضل امر كسبه إلى قمة جبل
المكمل في يكسب شمسها . انما مصدعه فروش في دقائق معدودات .
رقت هذا مصدعه . فسر به عبقاً في مصدعه . بين الأرض والسماء .
مدر فوي لأشجار المسنة لأعصاب . ووديدان العميقة . واحضان شامخة
لا يسبح . حتى جبل يلبس في مصدعه بين القهقريه والسماء . وما
المصدع عذبه . هضبة منه فوجين . قريب لأول مرة في حبات التلح على
الطبيعة حافة ندى لسحر وحسان . وبعد أن مكثنا مدة طويلة . وترودنا
نصرت من قبضتها شمسها صبح الياسمين . عند أدراجنا إلى الساق .
وحسن مصدع تلح لا يبرح من حيان

وفي حصة مع أحد مهندسي الحكومة المشرفين على أعمال الطرق قال :
إن الحكومة الباسية قد أثبتت أخيراً طريقاً جديداً . يربط الأرز

وسمينة لسان اشجار وبعثك وسهل النخ ورحمة . وقد شق هذا صديق
الذي يعتبر من أروع لأعمى هندسية . فوق قمم الجبال العالية . وعلى
حواشي وديان عميقة

جوة في وادي ناديس

تركك عانه الأرض بعد أن قضيت فيها ربيعاً سعيداً . ونحن نشق
في رحلتها بين هبوط وصعود . لم تكن نفوسنا على مشارفها مسجورين بحماها .
مأخوذين بروعتها . وذهب من المصدق الذي يقطن عليها حيث استرحنا .
وقضيت فيه ليلة كنت عذبة في حبيب بدهر . فشهدنا القمر يضيئ من
وراء الجبال التي يتوحد قممها الثلج . حتى إذا استقر في الرقعة الزرقاء .
أرسل أشعته شصية على الأعمدة السارجية . فتسللت حمسة من بين أفلاك
الأشجار . فبدأت ما نفوساً على الأرض من ألدع ما خطته يد إنسان
أعجبت الآتية ساوى هذه النقوش . وهي لأديبة الصبا . فتسوت
ورقة وقفاً وأحدث ترسم بعضهما كى تستخدمه في أعمال المطاير .
وهكذا قضيت ليلتي في ديث اخوان السحر . الذي أحسنا فيه لنا لدنو من
الحقيق عر وحل نقلونا . التي نمت من لأرر الخلد درساً في جمال
حدا . إل أن تتساءل ، هل نحن في حلم أم في بقعة ؟
وفي هدأة الفجر سدرنا لصدى بصحة شب من شب شبان
لأشده . تكرم عرافتنا مشكوراً في وادي قاديث شمس ، فتقدم وتبعده

يختر مرسمين حظه في طريق سريرة الانحدار . كثيرة المهوى والوهاد
السحيقة . يكتفى النظر إليها لإلقاء الرعب في نفس أشجع الشجعان .

دير سيده قموين

وقد لعت الأديرة سلوى في أثناء انحدارنا إلى الوادي . اساعة التي
ألحت علينا فيها ، اعطى معنا . وبعد سير يقرب من ثلاث ساعات
ونحن يسريج مرة وثابع سيرنا أخرى في دروب وعرة . ومساكن صيقة ،
ويهبط في سلام من الحجارة قد نحتها الساك في الصخور من قديم الزمان ،
فيها حبل وفيها روعة . تحف بنا الكهوف والمعاور المنقورة في الصخور
على الجدران . وكانت في الماضي مأوى لساك والحجساء ، وصلنا إلى دير
سيده قموين الشهير . وهو دير قديم يقع أكثره في داخل معارة ، نبتت
الأعشاب حول حفرانه . فلم نر فيه أثراً للحياة ، بعد ما كان في الماضي
حافلاً برحاب الدين الذين كانوا يصفون عليه ألواناً مبهجة من الحياة .
وقد أخبرنا شاب المرافق لنا . بأن باني هذا الدير هو الملك قلاقيوس
تودوتبوس الكبير سنة ٣٩٥ في القرن الرابع الميلادي . وقد اتخذته بطاركة
الطائفة المرونية مقرراً لهم . ومركزاً جويماً لطائفتهم حقبة طويلة من
الزمن . انتهت بانتقامهم من مقرهم الحادي في الديمان ، منذ ستين سنة حست
تقريباً .

وقد شاهدنا في معد صغير يعد قليلاً عن المعارة التي عاشت فيها

القديسة مارينا البتول ، نوابتنا بوضع عمودي . تحوى رفات ثمانية عشر بطير كاً من بطاركة الطائفة المارونية . الذين قصوا نحهم من زمن بعيد ، كما شاهدنا صومعة منقورة في صخر ، سقطها واطىء . ومدخلها ضيق . فيها كوة تطل على الكنيسة . حيث كان الطاركة والمصاراة والقسموس . يقصون الليل في الصلاة على صوء مصباح . فتشت آثاره موجودة حتى يومنا هذا في كوة في تلك الصومعة .

ويقوم على حراسة دير سيدة قنوبين . الذى يحيم عليه اليوم انكسول واهدوء . كاهن شيخ جليل قال لما :

— إن الأساقفة وسساك ، الذين كانت تطيب لهم الإقامة في هذه البقاع ، بين الصخور والأدغال ، كانوا يملحون الأرض . ويررعونها بأبيهم . لكسب قوتهم ، ويرتدون الملابس الحشنة . وينتعلون الأحذية البدائية في صنعها ، ويربون صدورهم بصدان صنعوها من حشب الأرز ، فكانت الصدان التى تلى على صدورهم . أثمن بكثير سساطها من الذهب الإبريز . نعم كانت صلبان أولئك الأساقفة من خشب . وإعما قلوبهم كانت من ذهب .

دير مار أنطونيوس قزحيا

وبعد أن طفتنا في جميع أرجاء دير سيدة قنوبين ، زائنا إلى دير مار أنطونيوس قزحيا ، ومعنى قزحيا . كثر الحياة ، لكثرة ما يجرى فيه

من المعجرات وخواري على يد صاحب القديس أنطونيوس الكبير
الذي قضى حياته في قدر مصر

ويبلغ ٢٠٠٠ سنة في شهر شباط في سنة ١٩٠٠ وقد رُبنا
في كثير من الأماكن التي يرجع تاريخها إلى ألف سنة تقريباً ، في
الحل صحور ومغاور ، في كنيسته . فهي عبارة عن معبد مقفورة
في شجر . ينحدر فيه الخشب . بين يرسوب إليه ضلأ أشعة ديتو رهنا
هذا الميراث على رأس مريض . حتى يتم له شفاء

وقد رجع هؤلاء رهنا إلى مساكنهم ضلأ القديس . ولقد في أحد
هذه الحدة . ومعيشة تشبه . في كرمها . وتربيتها . وقد رجعوا
بهدايا من من بعض الحدة . كما أنهدا رئيسهم تذكارات
ديس من أمير . اتحدوا أحجة تكية حقاورة صديق في عودتنا .

وبعد ربي قديس مهدي ضلأه دروبه . وفيه حلاً لمسيحون
من أنمو حول قديس دروب في وادي نهر العاصي في سوريا ،
تحققاً من صصود بعقده جه . وقد كان شهر لسر وقد غير
أهل ناسك . من كانت اعدت ككتفة . تكو جمع بقاعه .

مغار قاديشا

عدنا من ودي قاديشا إلى حصرون بعد الظهر . وكان التعب قد
أهلك قوا . غير تمكن من مشاة رحلت . فقصدها فداً ثراً أن نقضي

فيه بغيره يومه . حتى إذا أصبحنا . فمضينا فوجدنا شاة . فعدديده في
 معرفة قاديث رأساً . وتقع في الحف حبل لآر . حتى إذا بعد صربق
 المؤدية إليها فسل صهر . تركنا مبرتنا . وتوجهنا في صربق صيقه
 وعرة مخمورة على حوش الحف . لا يسر من يسكنها من تعرض للأحصار .
 وكنت هذه الطريق نصيب أجراً . حتى نكاد نصل منصرفنا فوجدنا
 رؤوساً . وتفرح جياً آخر . فمضينا فيها وشاهدنا نون عميق تحت أقدامنا .
 وبنا شرف على معرفة . وهي إحدى عجائب الطبيعة . سمعنا هدير
 قويا . ثم رأينا جموعاً حشدة من الناس تملأ مساحة في أديمها . وقد
 استهوتهم شمع حمراء حديث علم . فأتوا لربهم . فمضينا أمام
 مدخلها . ورأينا الماء عريضاً في يداق من . وقفنا برهة ونحن
 نحلق النظر في داخلها . وقد مضى مدخلنا فوجدنا من فرط روعنا
 وحسن ما نرى

قصة اكتشافها من داخل

وقف العم أبو صوس في وسط كعادته . وما كاد يتدفق في حديث
 عن هذه المعرفة العجيبة . حتى التفت حوله جميع الرثرين يستنون إليه
 فقام .

إن اكتشاف ما في داخل هذه المعرفة المعروفة منذ القديم . يرجع
 إلى زمن ليس بعيد . وذلك عندما فكر شيخ شيعه أحد أعيان قرية

بشرى ، والمسبيور حورى . فى أن يكتشفا داخلها ويبيعا إلى قرارة منع
الماء المتدفق منها . فسمع هديرأ من الداخل يصم الأذان ، فنقرا
انصحر بمعاونة بعض العمال من ناحية مصدر الصوت فأحدثوا فيه فحوة
تسمع لدحوب رجل واحد ما كاد يدخل فيها حتى عاد أدراجه حزعأ ،
وقد تملكه لفرع من شدة الأصوات المتبعثة منها ، ثم دخل عامل آخر
بعد ما استعد تحمل متين أمسك رفاقه بطرفه . وأمسك هو بالطرف
الآخر ، وحمى مصباحاً ينير له ظلمات المعارة . فما كاد يدخل ويخيل
الطرف فيما حوله . حتى رأى نفسه كنه فى معرض يخوى تماثيل من المرمر
تدلت من سقف المعارة ، فخرج وهو مأخوذ بجمال ما رأى ، ولسان
حاله يقوب : إن ما فى داخل هذه المغارة لم نره عين ولم نسمع به أذن .
دمك كاد أن يكتشف لنا من الداخل مد ربع قرن من الزمان تقريباً .
ثم وسعت المعارة بعدئذ ، وأصبحت حنائها بالأنوار الكهربائية
الساخصة . بعد أن تم مشروع توليد الكهرباء من المياه المتدفقة منها فى
قوة حشرت فى لحف الجبل بطول ٩٥٠ متراً ثم هوت بأنياب صخر إلى
قاع الوادى حيث بنت شركة فديش الوطنية للإنارة والكهرباء ، مصنعاً
لتوليد التيار الكهربائى وهو يغدى اليوم مدينة طرابلس وجميع قرى الشمال

المتحف الرمانى

دخلنا المعارة بعد هذا الحديث الشائق عنها فى طريق صخرى كلسى
يملاً قلوبنا الحشوع . كأننا فى معبد مقدس له حرمة وجلاله ، ولما أوعلنا

دحبتها وشعره ببرودة الجو الذي يكتشف . رأيت فيها عجبا . رأينا جميع المناظر التي نعيها دكرتنا مثل الأهرامات . وأنى اخول بأنه استور رايضا في مشارف صحراء الحيرة . كما شهدنا مطرا يشبه توت عمخ آمون مسجى في تابوته بالحالة التي رأيناها فيها في دار الآثار المصرية مدسوات . وسوى ذلك من المناظر التي كنا فتخيلها ، فكانت تظهر أمامنا بوصوح .

وقد لفت نظر الدكتور حبيب . إلى منظر يشبه جامع آيا صوفيا في استانبول ، ومآذن الجامع الأموي في دمشق ، وهي كالعرائس تنحلي في شكلها ، هذا عدا الشموع المتدليات من السقف . التي لا يحصرها عد . كأنها معروضة في سوق من أسواق الشوارع .

إن معبرة قاديشا هي حقيقة متحف رضى . قد لاحتها يد الطبيعة في حوف الصخور . من أقدم العصور . فأحداث البحث وأدعت فيه . وقد علم الدكتور حبيب . أستاذ علم صقات الأرض . وجود هذه المغارة ومثيلاتها في لسان بأن الثلج الذي يكلل جبل المكمل عندما يدوب ، يشق له طريقا في الصخور الكلسية . فيحدث فيها فحوات ، تسيل في أقبية حوفية ، تتعرب في الصخور ، إلى أن تنتهي بها خاتمة المطاف إلى مكان واحد ، هو الذي تكونت فيه هذه المعبرة العجيبة . أما وجود الرواسب المتدليات من سقف المغارة ، وانتواء التي تشاهد على حائسها ، فتحدث من ترشيح المياه من السقف . وتجمده من شدة البرودة ، وهو يحوى غاز الكربونيك . فترسب مدونه وتتكون من هذه الرواسب المناظر الطبيعية . التي تظهر على شكل تماثيل حية .

طوبوش سيدنا نوح

تبعه سيدنا بن ادريس . ونحن نعلم نذرة على الخدارا حتى تصبح
مداء . وصور على احرار بنى يقصص عن بحرى امعده عميق . يتقدم
دنياً بعم أبو صيوس . بنى بنى انبياء بنى مكان فى حوتها . وقف فيه وقب
رأسلوه نيكه هي وزوجه نرجه

انظروا بنى منحوة عثرة فى السقف . وثمنوها جيداً ماذا تشه
يد ترى " نحن فحقنا مصر فيها وثأملهاها . ولكن الله لم يمتح علينا أن
نعرف كثر من بنى فحود كبيره فى دحل امعده .

وأخبرنا من بنى أبو صيوس . بن هذه المنحوة هي طوبوش سيدنا
نوح بن النشيد . عليه السلام . وقد سبه فى هذا الملك . يوم أن كان
ينم فى ليل . قبل أن يصنع فمكه استعداداً لاستقبال الطوفان ، ولكنه
تحرر وحده يكبر مرور الأيام . وصار كمن تشهدون . معره فى قلب امعده .
صحت جميع الخصرين من حفة روح بعم فى صيوس . ومن مقاديرته
على سرد نوقع . انى كان يمسها من لحد . ومن تعمله الطريف لهذا
الشعوب

اخترنا بعد ذلك ممرت أخرى كانت تصيق جيداً وتسمع جيداً آخر .
بنى بنى لعد مكاً . ينهى باب حديدى كانت فيه نهاية تطولها فى داخل
هذه امعده . فعدا من حيث أتت . وصوت هدير الماء يصم آذان

وبما وصلنا إلى باب المعصرة . ملأنا به ماء كان معاصر حوص الماء الواسع فيها .
وأفرغناه في حوض . وقد هو مشحون عذب .
وتمت معصرة قديش إلى مسافات بعيدة تحت الجبال لم تكتشف بعد .
وتعني الحكومة اللبنانية سوء عناية خاصة تمثل هذه المعاصر . والإفادة
من مائها . فائدة لا تقتصر على رى الأراضي محسب . وإنما تتعداها
إلى الانتفاع بها في الأغراض الصناعية الأخرى . على ضوء التصريبات
العلمية الحديثة . التي يدرسها في جماعة من المهندسين معه وبه بعض
رجال الماء والأعمال

إهدل

ودعنا الأرز ووادي قديش ومعصرته العذبة محبة . وابعثنا لمشي في
رأت . وطلعت مسيرة في طريق ممهدة إلى إهدل ، فرحنا فسائل أنفسنا في
أثناء الطريق . هل يتاح لنا أن نعود مرة أخرى إلى هذه بقعة المدركة
من لبنان . فصلاً غريباً من حبيبنا . وشجعنا رثنا من اسمهم المجدل
الذي به عليها . وصنعنا ضحكاً من ماء السرد العذب حار في واديها
حقاً إذ مثل هذه التصورات قد حلت في حصرنا . وتركنا أسرى
تلك المناظر الخلابة . وبما أشرفنا على إهدل جرة الأرز الوافقة على سطح
جبل المكمل . كميل إلى الجنوب بين الشبة الباقية من أشجار الخور التي
كانت تكسوها في الماضي . وأشجار الشربين . والصنصنف والسندلين
()

بدت لنا منذرك الحمية . يتوح بعضها انقريمد لأحر . وحدائقها ايانعة
 لى ترينها . وكرومها التى تتلأأ فيها عناقيد العنب . ورأينا فى الجهة
 الشمالية من إهدن . آثار قنعة أثرية ، قيل إن سيف الدين قلاوون سلطان
 مصر قد هدمها عند محاصرته لها ، عقاباً لأهلها على مقاومتهم له . كما
 صهر لنا فى الجهة الشمالية الغربية قمة شاهقة تكاد تكون عمودية فى ارتفاعها .
 بدت لنا منها عند ما تسلقناها المدن الساحلية العاتية . وأسر الفنى الرائع ،
 ووادى قديش الرهيب ، والغابات الكثيفة النظرة التى تحيط به وتقرى
 الصغيرة المتناثرة حوله .

ليس هناك أمتع من مصر البحر ساحبه المتعرج الطويل . والحبل بألوان
 صحوره . وهى بين بيضاء وصفراء ورمادية وبرتقالية يكلل بعضها العادات .

كنيسة فى حصن

ويقوم على هذه القمة السامقة حصن قديم . يرجع تاريخه إلى العهد
 الرومى حوله الإهدنيون إلى كنيسة صغيرة ، تعرف « بسيدة الحصن » .
 كدت إهدن فى الماضى تنقب بيهدن الخور ، لوفرة ما كان فيها
 من هذا الشجر المعمر . غير أن القوم قطعوا أكثره ، وزرعوا مكانه أشجار
 المدكهة على اختلاف أنواعها ، وأشهرها التماح المعروف بطيب رائحته .
 ولذة طعمه ، وحسن منظره .

وقد وصفت أحد الأدباء تماح إهدن فقال : بياضه لى ، وحمرة

ياقوتية ، وحضرته زمردية . ورائحته مسكية
لقد صدق هذا الأديب في وصفه لفتح لبنان .

متنزهات إهدن

وتحيط بإهدن المتنزهات الجميلة ، والعادات الكثيفة ، وأشهرها
انغابة الواقعة في الجهة الشرقية الشمالية منها وهي متنزه راثع . يقصده
المصطافون ، لتمتع بمطر الأشجار الناسقة من سرو وشرين وصنوبر
وسديان وسوط وأرز . وتساقب في هذه المتنزهات المياه العذبة الباردة .
تحويلا في المساء في هذا المصيف الفاتح ، وقد أحلت الأنوار
الكهربائية المسعنة من كل مكان فيه ليله الدامس ، إلى بهار واضح
باهر ، فلمنا روح المرح واسرور تصفح على وجوه القوم . الذين
اكتظت بهم الطرقات . وصاقت بهم المقاهي والمحال العمومية على رحبها .
ولما تقدم بنا الليل . وكادت الشوارع والطرقات تقفر من السابعة ،
عدنا إلى الفندق البارلي في حيث قضينا ليلتنا .

الإهدنيات الفاتنات

ولما كان الصباح غادرنا الفندق ، فطفنا في أسواق إهدن وساحاتها
الرحبة ، وكانت تموج في مثل هذا الوقت بأسراب العيد الحسان من

إلهيات لغات . ميساب شد . رشيدات مواء . وقد حتمت
صبيحة وجوده كى سدر فى سدره لينة نداء . ووحدت يعر النور
من رؤيتها . وعيوب كآل شيون بها .

كأن عجبنا بأفست إلهيات خميلات وقد يتفلسف من حرف
واعتدلت خلفه بين بحشه ونور . ليس نطق من عجب لآسة سلوى
من . عجب رسته . تهن . يتفلسف صده يشيع بعرب . لأن كرم الصياد
من شمسها

دخول حواء فأكبه فداء رمت شجرة على وحشها ورد من . فتنه
من تدح أحر حابين . ثم دشت إلى حوت آخر هذا المنصب منه
بعض ما كتب مصبوعة من حش لآر رضىب من عبيدة للإيات

سبع مار سر كيس

منقصب سبارنا إلى سبع مار سر كيس . موقع في حش حال يتفلسف
مأوه سار العبد منه في بقوة من أحشاء صبحور صماء لتعنى الراحة .
فإذا هو من لروحة وخلاص فكان . يعلوه شجر الشرى من كى الرائحة
وقد قيمت على امتداد بحره المدهى والمضغم . وكانت تكتظ بالدين
احتوا كى بقعة حوله . وبعد حش شديد . عثر على ركن حال معبر
تصبه شجرة شرى تعاقب أعصابه شجرة صبور متفرعة لأعصاب .
وحسب تدور صدها من كى الية . التي قدمها بنا انطعم . على نعمات

حرير الماء . ورقه خمس اذواء . وتقع العين حمار مصر التي تحف
 بها . ويشف آفة سماخ عريد لحسين خجلة تسكن تنقل فوق الأوس .
 وقد أحضر له حازه لمصر في مهية مصر . مصحة كبيرة على
 طبق . تشنها من بحر سم . وقد فنتها مؤد في فنتس . أشدة برودته
 وكلها تشبهه . إن « الكهنية » هي كذا من اوصية

يوسف بك كرم . صل بصل

بعد أن أخذ . حصص من راحة في صل شجر سم مر مر كس
 عذراء في كيسة عذيس حرجس . لريدة صريح صل شجر .
 يوسف بك كرم . قلب وصلا في راحة التي تحيط به كيسة . صهر له
 تمثله . وقد أقيم على نصب منفع . وهو بريد عربي الأيق . وهو وشه
 المعربي الصريف . تمتص صهوة حواد عري فصيل . ومنطق آخره من
 الكشمير . وقد حرد سيقه من عمده . كانه ينشأ بصعد
 وقفنا أمام هذا التمثال برهة مبهوتين تتأمله . فأعدت إلينا رؤيته
 ذكرى صاحبه العظيم . وما أقترن به تاريخ حياته من أحداث حسام .
 سجلت له بصوته حروف من نور

حدث كيسة وكنت عاصمة بالترترين . وقترت من صريجه وشهدت
 حسامه انظار مسحي في داخل تدوت له أعضاء من رجاح . وهو بزيه
 العربي . وقد بدت على ملامح وجهه بعض التعبيرات الصنيعة . وبعد أن

صلينا على روحه الطاهرة ، عدنا إلى الساحة ووقفنا أمام تمثاله لنستمع إلى حديث العم أن طوس عن تاريخ هذا البطل العظيم فقال .

- في أواسط القرن الماضي ، هب أسد الشمال من عرينه ، وشن على الدولة العثمانية حرباً عواناً ، ظلت مستعرة الأوار زهاء سنة ، عجزت الحشوش العثمانية في حلافه عن الفتش به . أو النيل من رجاله الصناديد الأبطال . لما كانوا يأتونه من صروب السالة والبراعة في هون القتال ومن عمله باهرة أنه انتصر بحيشه الذي لم يرد عدده عن أربعمئة مقاتل في قرية شعي . على عشرين ألف مقاتل من الأتراك ، فهرمهم ولكنهم ففروا مدعورين في تلك الحساب لا يلوون على شيء .

وفي الوقت الذي كان فيه بطل اشهار ورجاله سائرين إلى قطع بيت شب لخصوص آخر معركة مع الأتراك ، وهم في صريقتهم إلى بيت الدين للاستيلاء عليها . توقف عن القتال فجأة . ساء على دعوة تنقذها من نابليون الثالث بمراصور فرنسا . يرحوه فيها الكف عن قتال والسهرة إلى فرنسا . فأعد كرم العدة . وبعد أن ودع رجاله ، شد رجاله إلى باريس في ٣١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٦٧ على ظهر الباخرة « له فوربان » تاركاً حساب لبنان الحميمة . ومسقط رأسه إهدن ، ولما وصل إلى باريس قبيل نابليون الثالث . وتفاوض معه في مسألة تحقيق استقلال لبنان ، وطن هذا البطل اهامام ينتقل في عواصم أوروبا ، يدافع بجميع الطرق السمية عن قضية لبنان العادلة . وهي استقلاله التام . إلى أن وافته ميتة في السابع من شهر نيسان (أبريل) سنة ١٨٨٩ في مدينة دبي . وهو

ينقط اسم لبنان الحبيب وكان له من العمر مئة وستون سنة .
 ولما وصل حبر وفاته إلى لبنان . بكاه اللبنانيون قاطبة . وقد نقل حثامه
 الظاهر من نابلي إلى مسقط رأسه إهدن في تلك السنة فبلغ طرابلس في ١٣
 سبتمبر ، فقابلها الجماهير التي احتشدت على طول الطريق بالبكاء
 والحبيب . حتى قرية زعرتا . ومنها استأنف الموكب سيره إلى إهدن
 مسقط رأس الفقيد . فقيم له مأتم حافل ، شهدته جميع أحياء الطائفة
 المارونية الكريمة ، وآلاف من اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ،
 وكانوا قد أتوا من كل حدب وصوب

وأودع بعدئذ حثام النطل الكبير في كنيسة القديس حرجس الكبرى
 بإهدن . وفي سنة ١٩٢٢ نقلت في تابوت له غطاء من رجاج يتسنى اليوم
 للجميع الراثرين رؤيته

وقد اشتهر أهل إهدن بالبسالة والشجاعة وعزة النفس وكرم الخلق ،
 كما عرفوا بالنطق والظرف والوداعة وحسن معاملتهم للعريب .
 مكثنا في إهدن يومين كاملين . اختلطنا فيهما بشيخها وشبابها .
 فلمسا فيهم جميعاً روح الوطنية الصادقة . وحبهم للبلاد . وعيهم على مصالحها .
 وقد صرح لنا غير واحد من شبانهم الذين تحدثنا معهم . أنهم على استعداد
 في أي وقت لنذل الأرواح في سبيل إعلاء كلمة لسان والعرب . وهذا ليس
 بعريب عليهم وهم من موطن نطل الشام المعوار .

إن شبان الشام هم عدة لسان وحماته من كل عدوان . ويحافظ أهالي
 الشمال على أراضيهم بحفاضة البعيل على درهمه . ولا يفرط الواحد منهم

بشر بها ولو دفعت له من قارون .
 في الأيام القلائل التي قصيدها في أهله حنة لسان . وعروس
 الشبان . ويصفون عليها « حنة مردوس » لا تقدر بهجتها مع عمر
 الزمن .

في طريق إلى رغوتا

انصرفت ما السيرة في الصباح لكر من إهدن . ونحن نحملها
 ذكريات عذرت . ما لاقبده من لصب أهله . وصرهم . وترحيهم
 بالعرب . فأحدث نظوي صرف ماره بقري معمورة . لأشجار الناسقة .
 التي تروى في ميد شيوخ متسربة في حوف الأرض . في أن حطت رحاها
 في عرت عرقه بين حقوب اريون . فها هنا أن برها تكاد تكون مقلدة من
 سكرها . برعم كرم مسحتها . وحب دورها . وانتشار رقعة العمر فيها .
 فسأله عن سر في ذلك . فقبل له في السود الأعظم من سكرها
 به كوي في الصيف ويعتوب هصب إهدن ويعودون إليها بعودة اشتهاء .
 فعجسا من هذا تعبيل العريب . لأن مباح رعت خفيف . وجوها جميل .
 تحيط بها اعداء الكشيمة التي نصف من درجة الحرارة فيها كما تجري فيها
 يربيع لمية ابردة لعدة التي تسرب من أعان الحلال . وتروى جميع
 مصطفة شهاب .

سهل الكورة الحصب

وبها نحن نعرف قري آمنة بالسكن . سقطت على هومش خيل .
سارت سيارتها في طريق تنوسطه حقول أشجار ريتون أرض صلبة أشعة
الأعصاب الرقيقة في مكانها عند مذاب السي . ترفق شامس
وتودح الرحلين . يوضع أوراقها أرض صلبة ألون بعدد إلى شدة الريح من
صحور الرمادية ألون شمسها . فتستقر عليها . وفي عاصفها إلى
أل يأتى الشتاء . ونسكى عين السماء . فبعسها وتلدو عين ألون ألوندى
بلا مع وفاد جعلت عليها مياه الأمطار مسحة من حمام .

أحراش القموسة

بد له عن بعد سهل عكر الحصب . حيث تقع حرج القموسة
القائمة . وتعد عن بيروت بمقدار ١٤٠ كيلو متر . قدسيت بالهرة
إليها وإداهي تشرف على مناظر ضييعه على حاش عظم من الروعة
والحمام . تمتلئ بأشجار السدين إلى يلع عمر بعصه مذات السي .
وحيط بها حاش حرداء صحورها متعددة ألون غريبة شكل رائعة المنصر .

سير الضنية

ولما عدنا من حراح القموعة ، أزحى ركابنا إلى سير الضنية مصيف طرابلس ، في طريق معبد كثير الالتواء . وتعلو سير عن سطح البحر تقدر ٩٠٠ متر . وتبعد عن بيروت بمقدار ١١٤ كيلومتراً مناخها صحي وهوؤها عليل . وماؤها عذب بارد . وهي مشهورة بحدائقها الياض ، التي تنتج التفاح والخوخ والكمثرى . وعشبها الكثيفة . وينابيعها المعدنية ، التي فيها شفاء للأحسام وصواحبها البدائية التي تدبر رجاها مياه الأمطار التي تسدر إليها من حمار الشمال .

قصيا بقية يوم في سير . رربا فيها قبة سفيري الشهيرة . وهي من بقايا الصليبيين وسواها من الأماكن الأثرية الأخرى ، كما نعلم بيعة هادثة أمصباها في مدق كما فيه موضع الحفاوة والإكرام من المشرفين عليه

طرابلس

رحنا عن سير الضنية مع الصباح إلى طرابلس . ويرجع - رريح تسميتها بهذا الاسم . إلى نظام الحكم القديم . الذي كان قائماً فيها ، يوم أن كانت بلاد عينية تابعة لبلاد فارس ، فاجتمع مندوبو المدن الثلاث - صور وصيدا وحريرة - رواد - ملتشور في شؤون حكم هذه المدن الثلاث

في نفس المكان الذي توجد فيه مدينته طرابلس الحالية . ولذا سميت باسم «تري بوليس» أي المدينة الثلاثة . وقد حُرِفَت العامة هذا الاسم مرور الأيام . كما حُرِفَت أسماء غيرها من المدن . وأطلقوا عليها اسم طرابلس المعروفة به اليوم .

وتبعد طرابلس عن بيروت بمقدار ٩٠ كيلومتراً تقريباً في طريق يمتد على طول الشاطئ الصبغي الرابع . يربطها بها خط حديدي . وتعتبر طرابلس من أهم موانئ لبنان بعد بيروت . كما أنها مركز صناعي وتجاري هام ، تكثر فيها مصانع دق الخلود . ومصانع صابون الحديثة الآلات . لوفرة زيت التي تنتجها حقول الكورة القريبة منها وسهل عكار الخصيب . ومصانع تقطير الروائح العطرية . وماء الزهر . الذي فيه شفاء للأحسام لكثرة حداثق الأزهار فيها .

وقد راد في شهرة هذا الثمر في السنوات الأخيرة . إنشاء معامل تكرير البترول الذي يصددها من كركوك في العراق . بواسطة أنابيب خاصة . ويصب في مرفئها الذي أنشئ حديثاً لهذا الغرض .

أحياء طرابلس الداخلية

قمنا بجولة في هذه المدينة القديمة . وزرنا كثيراً من أحيائها . قرأنا بعضها ما بقي يحمل طابعه القديم رغم أعمال التحديد التي مست أرجاء هذا الميناء الهام ، حتى امتدت إلى ضواحيها الدثيرة . حيث الساتين

العمره أشجار له كنهه . من برقص . وتنج . وتكون . ومور . همد عدا
حدثق الأبريدر المحتففة الأشكن والأوال

ما مساحد طرائس . ويرجع تاريخ إنشاء بعضها . إلى العصور
الأولى . ولكن ليس في روعة مساحد القاهرة ودمشق . وما تتسم
به من حسن في هندسة مباني . ومآديها الساعقة . وإنما قدمها حلق عليها
رداء عداسة ونهاية والحلال . .

وهذه قيمت من حدى شيوخ صربس مروشه . استغلت ومصاعة
دكهر . الخوايت سحمة . ومكبب القيارة . وسدادى . ولقد هي إلى
عص بروده

طرائس وخصبيين

أعادت إلى محبت ريزه صربس . ذكرى الخصبيين . وه تركوا
فيها من آثار . وما حشوه ورءهم من فلاح حادثة . وأتمها قلعة كوت
صولور ريمون دى سان جين . أتى تشرف بروعتها على ودى طرائس
الحمد . وشصى سحر أمتى دعت فيه ذكريات الخصبيين . الذين
مكثوا في هذه النقع دحاً ضويلاً من الرمن . إلى أب أرعمو في الشهية على
الرحين عم . ولسان حديم يقول

ب حما شوصى لسان . منسطة تحت أقدام صخور حاله
الشحمة . وما يخيص . من نقع . قد ألتسها يد الطبيعة حلال الروعة والحبال .

يعدب أفندتا . وذكر سمها يهني سمع من حيوت . ثمى نعود إليث
آيتها الشاع الحميلة . التي رسم تلمذ مصيرن ثم على كل شير من أرسيلث .
ولكن هيات ما يخلعون به . فرب صراس سدب في لسك وإلى السديس

تكية مؤوية

سمعت عن تكية دراويش أرقصين . المعروف بمؤوية في أشء
إقامنا انقصيرة في طرباس فوحيه . يها في أفسح . فرب هي تقع عند
سمع مصب هر أنى على . ندى هو فرج من هر قاديث . تحيط بها
الحدائق الغناء ، فتخلع عليها حلالا فله نعين فرب لسك العليدة
التي على طوار القاب أتركبه . هرر من سنوف مدس . وثى دحل تكية
عرفه واسعة برقص . فرشت بالصفى الأثره . يتبعون فيها حلالا . هم على
نقر الذهب وفتح المرمز

وينساب حلال شجر الصنصاف شامخ لأرعاع . ويرف صل .
وهو رية المك . مدس في محرى ننت الأعشاب على حافتيها .
فترويه . ذكرى رؤيه هذه تكية . وما حوته من صروب المعة . تكية
المكشبة في حبل المغورى في مقبر . وهى قصعة من الحنة تد حوته من
حدائق عد . كست أرضها الحصرة مصرة . لتي يستريح إليها النظر
وتهدأ لرؤيتها الأعصاب المكبودة .

وقد علمنا من شيخ هذه التكية أن مؤسسها . هو حلال الدين الرومى .

في قونية في تركيا . غير أن الغريب في أمر هذه التكايا . أنها قد زالت
في أماكن بنائها . ولكنها ما فتئت قائمة في بعض بلدان شرق .
وطرابلس عامرة بالمدرس . من أجنبية ووطنية . وجميعها تساهم
مساهمة فعالة في تقدم لبنان . من الوجهة الثقافية .

مكتبة آل عمار الشهيرة

احتضنت في أثناء إقامتها في طرابلس بعض الأدياء . فعلمنا من أحدهم
أنه كان في طرابلس مكتبة قيمة ثمينة لآل عمار . صاحب نقصى الفاصل
أبو الحسن طاب . أسسها في انقرب العاشر الميلادي . وكانت هذه
المكتبة تحتوي على كثير من الكتب العلمية . والفقهية والدينية ،
كما كان فيها كثير من كتب ليونان وخرس . ويوجد من رواية صلي المؤرخ
العربي . أن هذه المكتبة كان فيها أكثر من ثلاثة ملايين محمد . كان
صاحبها القاضي أبو حسن طالب المتوفى على صرابلس في ذلك الوقت ،
يبعث الرسل إلى الأقطار . ويدفع نهط الأثمان في سبيل الحصول على
على الكتب القيمة البادرة .

أبوالعلاء المعري ومكتبة آل عمار

وكانت هذه المكتبة كعبة للعلوم . يحج إليها العلماء . والمشتغلين
بالأدب . من جميع الأقطار . فيطلعون على ما يريدون من الكتب والمصنفات

والخطوطات ، فكانوا يعملهم هذا . يستفيدون ويفيدون وكان أبو العلاء
 المعري شيخ الفلاسفة القدماء ، من ضمن الذين كانوا يترددون . عليها
 فاستفاد منها ما شاء له ذكاؤه وسوعه . ولكن مع الأسف الشديد
 لم يدم الفيض العلمي طويلا ، لأن جهلاء الصليبيين عند استيلائهم
 على طرابلس . قد أحرقوا هذه المكتبة القيمة الحقة بأندلس الكتب .
 وبأحراقها ضاع أكثر كبر أدنى في طرابلس . غير أن رواية لإحراق
 انصليبيين هذه المكتبة . تحتاج إلى ما يؤيدها ، لأن بعض لكثرة حسب
 ما قيل لما ينكرون ذلك ، والله أعلم .

دير اللمند

كما قيل يظهر نزهة إلى دير اللمند . الراس على رابية تشرف
 على طرابلس . وعلى الشاطئ . ويقال إن منشيء هذا الدير . هم رهبان
 القديس بربروس سنة ١١٥٧ ووضعوه تحت حماية سيدة « بل موت » ،
 وهي لفظة فرنسية . معناها بلحس لحسيل . غير أن العمة قد حوت هذا
 الاسم تنوالي الأيام وصار يعرف بدير اللمند . كما أن بعضهم يقول إن
 بانيه يد موت صاحب طرابلس .

شهدنا في هذا الدير ، الذي هو اليوم في حوزة رهبان الروم
 الأرثوذكس ، مكتبة حافلة بالكتب التي أثبتت عليها يد الأيام من العث
 أو الصيغ ، فلم يتسع لنا الوقت لنطلع على كنوزها الأدبية الدفينة . غير

وركبها . وأحدث تهبط ما في الشصى مرة ثانية وكان يريد في جماله
 منظر الملاحات الممتدة على صولة . وحوارها ثلاث من منح الماصع يبص
 حتى كان يجيل إلبا أن تلح قمة صهر نصيب . قد تنقل إلى الشصى
 الحسين . يرملة ساعم كخرير .

الفصل الثامن

في الطريق إلى كسروان

بصفت على الكاب أن يميز بقعة عن بقعة في لبنان . أو أن يحص
قرية دون أخرى بالحمام . فجماد اصغر في مقاطعة كسروان ، يتسم
بظابع حصص . تتحلل فيه العظمة والروعة والخلال ، لحسن موقع تلك
النفخ . وصيب ماضيها . ورقة هوش . وعدونة مائها وبرودته ، ولا يرى
هد الحمام إلا عريب الدر

واسم كسروان مأخوذ من اسم الأمير كسرى . أحد أمراء امردة .
الذين حكموا لبنان . وصاحب القصر اميف لدى ما فتئت آثاره تشهد
في سكنت عند منحن جبل صبير .

ثم إليها في التديم كانت تسمى العاصية لشجاعة أهلها .
وعصم شوكتهم واضعونة مساكنها وحفا الوعرة

أنحنا اسم نوسوس هذه المقدمة . عديم بنما حويه ، في
عودته من شهاب لسان . ليدكي في تنوسا در اشوق إلى رؤية مصيف
كسروان . وكما قد سمعنا عنها وعن أرحمتها الممتدة قبل أن نراها .

بكركى مقر البطريرك المارونى الشتوى

أحدث السيارة من حوية نرى طريقاً حديقاً معداً للاستفلة . شق على هواش صحور صلدة . ومرتفعت تشرف على اسحر هدى سائر فوقها الدور الحمية ، تحيط بها لحدائق اعداء وقد ناست فيه بحرى الماء . ولا بعدا بكركى لمقر الشتوى لعطة البطريرك المارونى . تركنا سيارتنا بجانب الصريق . وزحنا فى معبر صيق . بين صميين من الأشجار ، تدلت غصونها فوق السابلة وقامت أجوف الطيور فوق ممر مرعة ، لحن هى فيض ، فى دحلها من طائفة وأمن . تحدها على حرمه لمكان .

وول شىء استرعى نظرنا عند وفود أمه . ففصر بطريركى المرحم . العبارة نى حصت على راحة الحرجى فى إصدار جميل « محمد امان عصى له »

أحل . إن محمد امان قد عصى لسيد امان . المتربع على كرسى المصيريركية المروية . الذى تروا إليه قلوب المورث فى مشارق الأرض ومعربها . فله يستمدون قوهم الروحانية . ويستنهضون سير فى مسالك هذه الحياة ملأى بالصعاب والعقبات . كما أن جميع ساسة امان . على اختلاف مذهبهم . وعدد محلهم . يقيمون ورناً لأراء سيد ليدن السديدة . ويعملون له حساباً فى توجيه دفعه سياسة الحكم فى ذلك الجبل الأشم ، مريض الأسود الذى يستمد روحه قوتهم من سحر مناصره الطبيعية . وصلابة حذاءه وروعته .

تحولنا فى هذا المقصر برفقة كاهن فاضل . أخذ يشرح لنا تاريخه

وما قتر به من أحدث حسده . ويحدث به فقة عن شخصيات الكهنة
الأحبية ونوضبه في رده في شتى مناسبات . وقد تمش أمانا في أثناء هذه الزيارة
الحصه . شجع حرب كبرى لأول . يوم أن سجد جمال باشا لقائد
التركي سلف بقية على الصيب لذكر ضرورت ياس اخويث ، الذي
كان مصاف في هذه عرس في تلك الأيام . كما تمش أمانا جوع
مسيحين . ليس كمن يتصرف من جميع أنحاء لـ . إلى المقام البطريركي
ويقيم وراء الباب حذائي . في ذلك الوقت لست أرى جوع . إلى
فنتك بآلاف مسيحين . شمس نمت لأ . سود في كـ . كثير موق جوع فيها .

حريصا وسيدة بيل

دُعيت في سيرة في حريصا . تقريبا هذله . تعلقة فوق منحدرات
هي آية في برودة وجمال . برده لا تمش سيدة بيل . عكس شرف
سلام . وقد أقم في أرمال هذه الحرب على رأس جبل فوق نصب محروطين
شكل . راحة عشرة م متر . في تسعة عدته معد صغير . هو مرر
جميع . وفيه في حريصا

رغبتا ساهم سيدة هبة لأحبار . ونحن نعتمد على حاجر حديسي
حتى بعد فعدة تمش . وبين نحن نحن أنصرف من فوقه . تعلق بصرا
بأديره عدته قد حرص . بين شدوها في المضي . على أن تكون على
هوامش حباب السحابة . وفوق ارضي وآكام . وفي وسط الأحرش والأدغال



سینة لبنان شاخه کأرزه

ليكونوا بعيدين عن الناس ولعلم . قريبين من الله ومن الصبيحة وما فيها من
جمال . حيث يحلم صندء الحو . الذي هو صنداء لشموس . ثم يدل لاجتماع
حويته الثاني . يختص برفق مرفأها هادئ الصغير . الذي كان هادئاً
كبير في الماضي . وتعني نغماته كثير من الكتب وأشعراء . الذين رروا
ابن . كما بسطت تحت أنصارتها قرى كثيرة عمارها المسببة . التي
تجمل صنداءاً حصياً . تتر به المني في قرى لسان .

هبط من على هذا المنصب بعد أن أسكرت حلاوة نكت المصير .
واحد من محلساً في الحرم الذي نحت . فوضع ما معاً من طعام على
أديم أرضه . التي كنس أورث لأشجار حشيش . فأكد بشبهة بين
أخصب أمه الصبيحة . التي تمبض برفقة وحيد . ثم استنقبت على الأرض .
ومستلمت لسه الكرى رعم نوب . لأن سيم الليل الذي يداعب أعصان
لأشجار . ويحدث حشياً له وقع الموسيقى في الآذان . أسكرت حلاوته .
وحذر أعصابه برفقة . فأحلدت مريحة واليدعة بعض الوقت . ولم يوقصا من
عنوننا العذرة . سوى ربي حرس الدبر . ففقت وتبعها سير في صريق معبدة
مدساء . تعددت محبته . وكثرت أكواعها . تشرف على وهدد بتعقبة
ورود غميمة . كنس لأشجار المسفة ونبت في حدود المرووعات ابنة

مصاييف كسروان

قبل أن يستقل في دحل كسروان المذمنة لقدمته في دروة الحبل . حيث

تستظم أشجار السنديين والبلوط والصنوبر على صدر أصبعه خنوق . ونكثرت
 حداثق الداكهة في محيط كنه متعة لده صفوفين . تشيع فيه أساب شدوه
 والراحة . أنسب نلعم أنى صومس رعبة ملحة في ك تمر على كثر عدد ممكن
 من القرى الدسائية في كسروان . لئأحد فكره عذمة عن حمدا . وبساطه
 بيوتها . التي تكثر متصفها . وعن شلاح نايه في . الذي لم تسهوه لمديه
 الرائقة وعن حبه لأرضه . وتندبه في العمل فيه . وهينه بن امتام .

غسطا

كادت أول قرية صادفنا سست . وهي ذائمة على روى ونلاب .
 تذاثرت فوقها الدور المتواصعة في شكمتها . المسبقة في مصهرها . وقد أنسجت
 والحرب التي حوفا . وقد عرس فيها قصورها أشجار الداكهة . والخصروت
 وما وصلت سيرتها إلى رنية عالية تشرف عليها . أحبا تشرف فيها فحين
 إليها كأند أدم قطعة فيه . رستمها يد هناك حادق . ووضعها في يصر
 يصرب لوبه إلى ررقه . فريدها حملا وروقتا

دلبتا

انتهينا بعدئذ إلى دلبت . وقد سميت كذلك . لكثرة شجر الدلب الذي
 كان يكسو رماها . ويرين يشكله بخيل رماها . وقد فتعت الأمصار

لغريزة التي هضت سنة ١٨٦٢ أكثره . كما قطع الأهالي أكثر لما في
من هذا الشجر الحميم . للاستعمالة في أغراضهم المنزلية . فتركت تلك
الأشجار مكافأة فرعاً . آتت رؤيتها . وتعدو دابة عن سطح البحر بمقدار
٧٥٠ متر وهي قابعة في وادي ليس بعيد . يتدر بوفرة ماضيه صلبة
ومسح دس حيد . وهه غريب . وهله يرحوب . غريب . ويحونه بينهم
على رجب والسعة . شابه شأ جميع أهلي كسروان بلدهم . في دلت
حرب ماض في بلادهم . وما ينسبون به من ماضه الغبطة والسرور

عشقوت

كذلك السيرة تسمى به مسرعة في طريق شفت على حوشي الحداد
الشام . سرب عشقوت . شربة الخند في معظم بين حرب صحريه .
متعددة الأشكال . مسربة لأوب . نحيط به من جهة السلات .
وسحب فوق شجر السدر والموط . ونضوب كروم حب . كما
تصل من جهة غرب على البحر الأبيض المتوسط . وشطته التي من
وقد هتت هذه الشربة في بعض سطح البحر بمقدار ١٠٠٠ متر .
وسعد من بروت بمقدار ٣٥ كيلو متر في اسوت لأخيرة . عرس شجر
الأكهة في جميع أرجائه . اتصال مبدع مع بعض الشجر حرت بها . وشرقت
في جميع أنحاء . بعد أن حنطو من أكثر شجر أوب . بسبب كساد
موسم الخرب في ساد

ولمطة عشقوت معده صعبة . وهي مشتقة من سم الإلهة تيسيفية
 أشقوت . شقيقه لآلهة رينوب . رينوب . وعجوب . تلت اقري الحبيبة
 السحرة عشقوت وقد سبق أن ذكرنا نسورها .

أسطورة الإلهة أشقوت

ورما أسيرة نسب في صريتها . راحت لها آثار فعده قديمة .
 في معبض من لأرض . شرق سرير . مغربة في عش في ريد
 الفيلسوف عيسى . وكتب في كتبه « حيدة يسوع » فرح انعم بصوص ،
 يحلف كعادته بأسطورة صريته . تمت بقصة إلى عشقوت قد
 كانت إلهة أشقوت ذات أخلاق صعبة . وصاح شرسة قصة . فكذب
 تصرف عدا بكل ثمة وكبرياء كل من يتقدم . به من لآلهة قبل يدها
 للروح . بعد أن وجدت مسأله شهورها الخبيثة . إلى قلب إلهة كينوب
 الحبيبة الصورة . وقد بلغ من حرصهم ٤ . وهيامها به أن سب به هيكل
 فحما في هذه الشاع . مائة مئة في كرمه . وعودت إليه . يعطى عليها
 سطرة من نمرات عميه السحري . ووصلت لإلهة أشقوت هذه شكل بقصة
 قديمة جداً بواسطة سراديب حفية . تمت تحت لأرض تصبها بتقصر عشيقها
 كينوب ولد أشقوت على عشقوت نصاً أعشقه .
 وقد عمت اليوم آثار هذا حبل . وترس معده . وبثيت آثار
 القلعة التي تعرف اليوم بقلعة معرب . بساء إلى سبها من معرب التي

شيدتها على أنقاض حصن قديم من بناء الميسقيين . بداين العثور على
حجارة في هذا الحصن . تحمل كدبة فينيقية تدل على أن ربه هو لوكي
التيبني

كما يدرك ذلك بلعنا عشقوت حميد . وكان اسم على وشك أن ينسا
بسلامه . فتلصصنا به . فوجدنا قصيدته فيه أيلتنا . وفي صبح يوم اتالي .
حسب حلال صرقاتهم المعداد . لأستلت . وحسب في مترهاتهم الرائعة التي
أوحدها الطبيعة فيها

فبادق عشقوت ممدرة . وهؤلاء سحدر إليها من بيع لعسل بارد عذب .
وهؤلاء عبيد معش . وماحها صخرى حاف . وأناس . لصيقو المعشر .
وقد شاهدنا عند كيسنها سديانة قديمة الأيام . قد مدت فروعها
فوق الساحة المعروسة فيها . قبل لنا إلى تلاميذ هذه القرية في الماضي .
كأنهم يتمتعون علومهم تحت أحل إن تنق العلوم تحت السديانة . أو
الصورة في أحواء الصق . أمام العديد . كان شاعراً في قرى لبنان .

ميروبا

تقلد إلى ميروبا القرية العالية الثابتة في أطراف الجبال . وتعدو
صصح البحر بمقدار ١١٠٠ متر . وميروبا لقطعة سريانية معها الماء لغيرير .
حقاً إن الماء في هذه القرية وثير .
وتندر ميروبا العارقة في وسط الحدائق العناء . التي تنتج لفتح المديد

الطعم . الدكي الرثحة . الحميل المطر . بأب مصيف هادئ . مسحا
صحي لا أثر لمرطوبة فيه مطلقا . وقد شهد فيه مصر كثيرة رسمتها يد
الطبيعة فأجادت وندعت في مفاصله .

فاريّا

وبعد أن استرح في ميروا بعض الوقت . تركها في وادي حتى
يرويه نبع العسل فسرى في صرب مسخرة كثيرة الملحيات . عثقت
يد الطبيعة ما يحيط بها من مناظر تنير البهجة والمرح في نفس .
ولم يكاد يصل إليهم . حتى شعروا بمدح المصحى . وحده خوف .
وسكوهم الشاهل . الذي يحمل من يلتمسون هدوء الأعصم بهم مكادودة .
والراحة لأبد . منهم متعبه . بعيداً عن حله المدن وصوصها . على أن
يقصدهم في فصل الصيف . وينتمون بقوكها للبيدة . وما أعدد .
قضية فيه يوم في هذه القرية القامته . ونحن ننقل في أرحابها .
وقد ثلثت أبصار من سحر ما رأيت فيها من حرم . أنساب ملاقيده من
تعب وعناء .

رحلة إلى نبع العسل

عبرنا حب الطبيعة في لبنان . وقتنا تلك الصور الأحده التي وهم
الباري لهذه الأرض من بفتح كسروا . فكما تركنا قرية مستقبلنا

أخرى بسحرها وحماها . وتنبها ودلاها .

فما في الصباح - كمر برهة إلى بيع لعسل في أعني الخبار . سيراً على الأقدام . في طريق جبلي . تحف بها اساصر لطيفية اثنتان . فمن حدثن عناء يتدن من شجرها تمتدح امورد الحديد . إلى عدت ياسقة لأشجار يموح منها عبير دكي . إلى وهدد يجرى فيها ماء نحر . وقد تنصت على حديثها أشجار الخور الرشيقة ولباب عصرة . وقد قصع اليوم الغيوم أكثره . من مرتفعات قد تعلقت فوقها قصود الماعز تفرص لكلاً الماشف . تحرسها كلاب صحبة قد كشرت عن أنيابها رأساً . ولم يخلص من شرها . سوى عقبة لراعي ورحله ها . وكان قد هرج لمحدث عندما استعشنا .

كان هذا الراعي حالاً على صحرة مرتفعة بيضاء . في صل شجرة فيحاء . قد صعب من ثوبا ذلك الصخر الأحرد . يسلي نفسه بنعمات مرماره . التي كدت الوديب تردد صداها . تاركاً حرسه القطيع إلى كلابه المتوحشه . لأن الرعاة في الحب . يعتمدون على مثل هذه الكلاب في حراسة قطعانهم في سبل وأهاز من الحيوانات المفترسة وللصوص وبعد ساعتين من الزمان . ونحن بعد سير حياً . واستريح حياً . بعدما عبتنا ووصلنا إلى سح عمل شهير . لدى حاء ذكره في انورة . فوقنا أممه مدهويين . وقد في ثنسب أخذنا تعبنا وحشنا إلى هذه البقعة الدثية الخرد . المشحنة المعبده عن عمران لشاهد ماء أيتنجر من الصحور^٢ وهل حقيقة شرب ثيون آده وثم حواء من هذ السبع^٣ . ما كان أعاد عن الخبيء إلى هذه البقعة الدثية في أعني الحان . ولكن حب الطبيعة في لبس والسعي

وراء ما فيها من حر هو الذي دفعني إلى تجشّم صعوب . أحلّ إنه بحر
الصبيغة دائماً في لسان !!

دقنا ماء هذا السبع . الذي يتدفق بمرارة من ثلاثة موضع هذا
هو بارد عذب . تعرى شدة برودته وصفائه على المرید من شره .
وتحجب بهما السبع . مضطر من أمدع ما صنع الدرّ . حتى حلت أنفاسا
في أثناء تجوينا في تلك المقاع . أنا نرتع في الخلد . لا في بقعة دثية من
نقاع لسان . وقد لاحظ أنه تكثّر حول بحرى هذا السبع الذي يأخذ
بالإتساع في أثناء إحداره من أعلى الخلد البستين الغماء ويردّ من خصره .

ريثون

عدنا من ريثونا لسبع العسل . إلى ريثون . وكان اميل على وشك
أن يسقط طيه على الكوب . وتعد ريثون من أجود مصيف كسروان .
حسن مباحها . ورقة هوائها . وعذوبة ماشها . وهذوئها . فقصيد فيها ليس
في صدق سبع العسل الحميل . الذي يشرف على مساطر هنته ونحس على
أشد ما يكون من انتع . فكما نسمع في أثناء اميل عواء لندب وندب
آوى . وقد حرحت من أوجرها في طب انفرينة تلك لأصوات
لا يألها انقاطوب في اللد . على أنه برعم . خا من وحشه فقد طب لنا
سماعها لأنها كانت تشعر أنها في لسان رص سحر ومرتج الحمار .
طب في اليوم شلى في رحاء هذ مصيف الحميل . علم نلق من أهله

أيس جلد سوى الترحيب والتأهيل . فمقطة « نكره » يحسب الغرب
مرتفعة على اوجوه . قبل أن تصب بها الشفاء . وهذه صفة من الصدمات
للمصابة في شمس مديني

وتشرف ريتوب على حد ووديان . ملأى بالأشجار . شأنها شأن
شبة قرى لسان الحنية . ونحو من سطح البحر بمقدار ١١٠٠ متر وتبعد
عن بيروت بمقدار ٣٨ كيلو متراً . وقد شهدنا هناك تسلق رابية مائة
في مرفأ بيروت . وقرى ناصح ببيوت الحنية

وردد في هاية بطوف في هذا مصيف دبر الآباء عرريين مسكور
وهو مركز اصصيف وس يقصده طلاب من حسين بقضاء فصل
صيف فيه تحت إشراف هؤلاء الآباء لأفصل .

القليعات

ويعتبر صديق الكروم الذي يربط ريتوب بالقليعات . من أروع
مناظرها . درجت في السيرة فيه هوب إلى القليعات القرية التي تندر
حسن موقعها وجمال ما فيها من منظر طبيعي فائقة . وتقع على رابية وسط
جبال اكتشفها من جهتها الثلاث نستقما هضبة عادية فيها . فحيل إلينا
أما مخلقون في صائرة تشق عند السماء . كما مدت أبصارنا إلى البحر
الذي يسط تحتها . فبدأ بأمواحه تزعج لنا . كأنها قطر مسوف أو
قصيع عم ثور ورعه عاصفه من العدر يا ذا من مناظر رائعة كانت
رؤيتها تثير إعجابي وتركها أسرى بها !!

فيطرون

أولاً عم أبو طموس في ثناء سودنا من القبيحت إلى السائق حسن .
 أن يذهب إلى فيطرون . فسرت في السيرة في طريق معدة . لأستل .
 شقت وسط الحمار . تعمدها الماطر الصبيعية . الخيمة التي ما صست ٥٠
 على أية بقعة من بقاع امان

وفيطرون مصيف جميل . مسجده صحي . وحولها حاف . لا عيوم
 فيه وهما ررد عذب . يرتفع عن سطح البحر بمقدار ١٢٠٠ متر ونعد
 عن بيروت بمقدار ٤١ كيلو متراً .

متحف الصخور

لاحظ الدكتور حليل في ثناء نحونا في صواحي هذه القرية . ٥٠
 تقوم على بقعة بركانية . تقدر بصخورها المعروفة . باسم العبدى
 « الدوميت » . وهي ذات أشكال رائعة . كأن يد من قد نحنتها فيه .
 فأخرجت منها . تمثال من أحمل ما وقعت عليه عيوسا .

وهذه البقعة من فيطرون هي منتهى جميل . رأينا فيها قبيل اعروب .
 كثيراً من التيت والفتيات . وقد استهوهم متحف الصخور . وانعزده
 في تلك البقعة اخادئه . وذهبوا إليه يشدون الرحلة في ذلك الجو الساحر

مزرعة كفر ديبان

حدثت في ثمر الكرم عن هيكس فقر في سيق الأسطورة التي
 قصها سيد العم أبو ضوس في معرض حديث عن حديث . وما قد
 بلغنا في تصوف مزرعة كفر ديبان . فخرية هائلة . المعينة عن الحلة
 وخصوصاً . ثم بعدة موضع وروى حيلاء في سطح جبل صين العقيم .
 على ارتفاع ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر . فريد ربما عينا أن مرور فيها
 بعض صدقة وأسامة . عرفهم بقدرة . فخرية . ودعو في
 كرم . وأحو عيب أن نصفي ليقا في فريتهم لثانية . فلم يسعد إلا أن
 فضل المسودة شكري

قبة فقرا

ما كان نيل يصير أدرك الضلوع . ويرفرق العصور فوق الأهد .
 حتى لا يحل البحر . فقام من يوم . وبأساسا رحلت إلى قبة فقرا . وتقع
 في نجف جبل صين . في شرقه في أعالي الجبل بين أرياح السمكة .
 وأعداد منصرة فوق مزرعة كفر ديبان التي بعد عن بيروت بمقدار
 ٥٦ كيلو متراً وهذه القبة من الآثار الحديثة التي شاهدها الأوروبيون . على
 أنقاض هيكس فيني . كان آية في مزرعة والحساب . وقد رأيت فيها دهير

ضبيقة. تتصل بحفرة صغيرة. كانت تركب فيه لتحشاء إرصاد الأكلة ويتحد
عدة تلك الجهات يوم سردب هذه شعبة ودها يرها ماضيهم ولتقطعهم
ويقوم بفرب قلعة فخر هيكل بمرمرة. يستل من شعبة السقية
على ارمس على أنه كان على مسع عظم من عصبه وحلال

نزهة إلى نبع النام

تركنا قلعة فخر في ذلك مكان مغرب. ووصلنا سردب إلى نبع النام.
ورتماعه عن سطح بحر ١٦٩٠ متر. في طريق نجف به ماضر نصيبه
عبيده. إلى نأخذ جمع صوب. ويهيئ تحرف على شمس متعشبه
إلى رؤية مثل هذا الحمار. نأخذ حجبته اندس عن نبع. ولا صرنا
إليه. شاهدنا ماء عرب يندفئ شده من فج حفرة عميقة. وقعد بين
شقي جبل ليس م جمع. ثم بقى في هوة شديدة. نأخذ بصحور نأخذ
فوقها عن عرب. وكتب. سمع صوب هير ماء. وهو يمحلى بشوة
في تلك هوة سحيقة

دقاهم هدم مع. وقد رسته ضبعة. وداووه مئة ربيعة. ذلك
ولا عجب لأنه كان أحد الأهرام التي توجد في حرق عر وجن في حدة
عند. ليشرق من. يكون آده واند حواء. وكانت حدة في تلك الشق
كما قيل له

جسر الحجر الطبيعي

تركنا تلك المنقح الممتدة سري حمالها . ولم نكن نقوى على معادرتها
سهوة . لو لم نداعد رعمة ممتدة في رؤية جسر الحجر الطبيعي الواقع
فوق نبع المن الذي سمعنا عنه قبل ن بره . فأخذنا نحد المسير قبيل
الأصيل . متبعين بحرى ماء المسب من نبع المن في واد يتسع عند
احداه . حتى بعدنا فنصره عحية في شكها . عرية في نكوبها .
قائمة مشكل بصف دثرد . فوق ود يأخذ الانساع رويداً . حتى يصل
إلى هذا الجسر . الذي تنتصب على بنية صخور معلقة بالتصاء . رأينا
نحب قصود الماعر نمتاً ضنها

وقد ماء هذه المنطرة دهش . مسحين حمم من أوجدها على هذه
صورة . حقة ب هذه المنطرة عحية . لأها ليست من صبع نساك .
رأينا فلاحاً شيخاً وأكبه بقوة الشاب . يتلح الأرض التي بالقرب
من هذه المنطرة مخروث دثري . فوقها تنميه . ويعجب من حفته
ورشاقتة . وبصرة وجهه . ونضفة جلده . الذي لم يسم من كثرة الرقع
فيه . إلى أن تبه لنا وحيلا من بعيد . المتحية انسانية التألوة مرحباً ب .
فدلنا إليه . ولما اطلنا إلبا واضمأب إليه . سأته سوي عن هذه المنطرة
عرية . وعن تاريخها . ومن صعبها كك سؤا سوي يطوى على
مداعية بريئة أرسلتها إلى شيخنا . غير أن هذا كك أسرع منها في هذا

الغن . فمن امداعبة ادى حقه في غنى الحب . إذ ما كاد يسمع هذا السؤال . حتى ارتسمت على محياه ابتسامة لا تحلو من السحرية . وكأني بلسان حاله يقول :

هل يوجد في العلم من لا يعرف تاريخ هذه القنطرة الشهيرة .
جلس فلاحنا الشيخ على حجر . وحلما نحر على لأرض أمامه . جلسة التلاميذ أمام امدرس سواء بسواء يستمع إلى حديثه . وهو يقص علينا قصة هذه القنطرة العريقة فقال :

- إن سياد آدم عليه السلام . بعد أن ضربه الشاري تعالى من المردوس الأرضي الذي كان يقع في هذه المدح . لم يعدر اسن . بل أثر لإقامة فيه يتعهد أرضه . ويعني حيورته . إن أن بي له هذه القنطرة العجيبة في ارتفاعها . المصحمة في تكويم . وهذه القنطرة تعرف « بحجر الحجر الطبيعي » طولها ٥٢ متراً وعرضها ٢٥ متراً وارتفاعها ٥٨ متراً . أعجب الحديث عن هذه القنطرة من شيخنا الفلاح . كما راعى ماء المتدفق بقوة من تحتها وقد حطط في أثناء الحدرة من غاب الحب . الأرضي التي تحيط بها بشكل يدعو إلى الإعجاب والدهش . ويظهر ذلك بوضوح من انواء السروب ومسالك . ويعرج الضرقات ولما بر القنطرة على حوشى الأودية . التي ريب الكثير منها في تلك النقع الماتة .

غير أن امدكتور خليل لم يقتنع بتعبيل شيخنا الفلاح فقال :

- إن العوامل الطبيعية يا والى هي التي أحدثت هذه القنطرة وأوجدتها على هذه الصورة . وسيدنا آدم ليس له يد في صنعها .

لم يرق هد الكلام في نصر شيخ العلاج . فأظهر استعداداً منه .
ورمى الدكتور حينئذ بعض الحقائق وقال :
— أنت عريب عن هذه الديار . تريد أن تكسب وتكذب أحدى
الدين ندقلنا عنهم قصة هذه القنطرة *
فهم يسعدنا في النهاية بعد أن لنا عصاة شيخنا علما . إلا أن سلم
بصحة قوله . ويصيب حظه . ويعتبر له . ثم ودعاه وصرف وكانت
الشمس على وشك أن تصوي خيوصها لذهبية ستعد دأ للرحيل

عجلتون

قصبة ما بقرب من أسوع تنفس في مصايف كسروان ، من شماها
إلى حموها . ومن شرقها إلى غربها . وقد ملكت على قلوبنا مناظرها
الطبيعية الخمينة . وكانت كل حصوة يحصوها في تلك القلاع تعكس
على نفوسنا ما يقع تحت عيوننا من بحر وجمال . إلى أن هبط إلى عجلتون
وترفع عن سطح البحر بمقدار ٨٥٠ متراً . وتبعد عن بيروت ٣٤
كيلومتراً . في طريق مشروش بالأستل
وتحيط بمحاطب عدت دت لأشجار لاذكية الزخمة . يشرف عليها
جبل صين من علياء محده . ويحيط تحتها لشاطئ بحماله وروعته .
، أحملها صورة . حين ترى شمس صين ترحف في الصباح الدكر
فوق تلك الرق وهصب . فتسم هذا الطسعة . نتي نشترك في صبح
هد الجمال . اسن يعبر من رسمه أعظم هد !!

عيسطورا

ولما استقرينا بعيسطورا لوقعة بين عيص . وسط الحلب متوسطة
الارتفاع . زرنا فيها مدرستهم الشهيرة . التي أسسها آراء يسوعيون الأفاضل
في نهاية القرن السابع عشر . ثم حل محلهم فيها سنة ١٨٣٤ حضرات
الآباء اماريين اخترمين . الذين ما فتئوا يواصلون جهودهم في حقن
الثقافة العامة في لسان . وقد تخرج في هذا المعهد احرار . اسي أكسب
عيسطورا شهرتها . وحيد اسمها بحروف من نور . كثير من نواع البابائين .
وعبرهم من الذين صرنا بسهم واحد في شتى ميادين الأعمال . وقد اصعنا
على سجل كبير . يحتوي على أسماء شخصيات كبيرة أجنبية ووطنية
ررت هذا المعهد . وينحدر هؤلاء الآراء الأفاضل الذين تعهدوا خدمة
العلم والدين بهذا السجل . ما أحمل الدين والدين إذا اجتمعوا !!

قرية الدوق

واصلنا سيرنا بعدئذ إلى قرية الدوق محلة بين لحيا . ذات الأشجار
اشاححة . وقد اشتهرت بتطهير الأقمشة لخربرية ورر كشتها . انتصب .
قد أعجبتنا كثيراً هذه الصناعة المروية في الحبل كالرفقة بين الأدع .
ولتي يجيدها فتيات هذه القرية . إسن حق قدمت مهرب درعات .
قد غرس في نفوسهن حسن المصادر الطبيعية في لسان صوراً من صوف

الحمام . يحبكوها بحبوس كيما يشاء من الحبس . هي حبوس نجد . وعروب
 فحر عن حبس الدوق لقربة الودبعة .
 ولم نشأ أن نعاد الدوق . دون أن نتاح منها بعض تذكرات .
 تأتد تعتر رهبة . إذ قبست دامن رفيع الذي يتحنى في كل حيط
 من حبوط تلك المسوحات . نحن ، لقد ذكرتنا الذوق في لبنان وأقمشتها
 مرر كشة الحميلة لأشكال انتبيه الأولى . نحن الحبس في مصر . الذي
 ون . يدع إلى المسوح لأحس عندما يهبط في مصر استع منه
 مسوحات شرقية . تأتد رهبة . هي شديدة أشبه بالمسوحات التي
 يحكيها قبات دوق الرشيدات في لبنان . كم من المسيحيين . أو للبهديين
 المعتزبين الذين يحضرون في لبنان . ولا أقول المساحين لأحاط .
 برورق قربة الدوق ويشتعون تذكرات من مسوحاتها الشهيرة الجميلة .
 إهم قد على ما قيل لنا . جدير بحكومة ناسية أن تولى هذه الصناعة
 عديتها . وتمتد يد مساعدة لأروها . ونسعد على تصدير ما ينتج منها
 إلى الخارج . لأن مسوحات كهذه تحسن صوراً من لبنان هي دعوية
 طيبة . من واقربة الدوق الصغيرة

إلى يحشوش

اتجهت بيتنا عندما بلغنا عرير في ثناء عودتنا من كسروان ، إلى
 أن نشد رحاب إلى يحشوش . لشاهد عن كثب . السنيانية التي كثيراً

ما كان الكاتب الكبير المرحوم داود بركات . رئيس تحرير الأهرام الأسبق يتعني بها . إذا ما هره الشوق إلى لسان . وهددهه الحنين إلى الكتابة عنه . ويذكر بأنه تلقى علومه تحتها . يوم أن كان يتعلم تحت السنديانة أو الصنوبرية في اخواء الطلق شائعاً في قرى لسان . فأخذوا نصعد في طريق شق وسط الحمار . تحف بما الماطر الطبيعية التي كانت رؤيتها تهر أعطفا . وانصر إليها يملث عيب أفندنا وكنت تراقنا في أول الطريق أسراب من الطيور تحلق فوق سيرتنا . وتشف آداسا تعريدها اشمحي .

قرية العيني

ولما بلغنا قرية العيني التاريخية . وتبعد عن بيروت بمقدار ٤٣ كيلومتراً شاهدنا نقوشاً على صخرة فيها تمثل حيواناً برياً يمتزج في . قيل له إن هذه النقوش ترمز إلى قصة مصرع أدونيس . إله الحب . وقد ذكرناها عند الكلام على نهر إبراهيم . كما رأينا في جهة أخرى من الصحرة صورة امرأة قبل لها بها لأفروديت تبكي عشيقها .

مغارة أفقا

استرحنا بعض الوقت في هذه البقعة التاريخية . نستعيد في أذهاننا ذكريات الماضي ثم واصلنا سيرنا إلى أفقا . وهي قرية صغيرة . كان ها

شأن كبير في المصطفى تقع على بعد ٨٤ كيلو متراً من بيروت . ورؤيا
 على مقربة من معازنها الشهيرة . المعروفة بعمدة أفق . التي ينسج منها شهر
 إبراهيم . هيكل قديم . كان مكرساً للزهرة . تحيط به حداد شائخة
 الارتداع . يحمل مظهرها على التامل المصطفى السحيق . الملىء بحلاوة
 الكريات . يوم أن كانت هذه النقطة من لسان . مسرحاً لاحتفالات
 ديسة ومراراً هيكلها . كانت ترنك فيه جميع أنواع المحرمات إرضاء للإلهة
 الزهرة التي ما فتئت تتردد على بركة هذه المسح . ذلك هو اعتقاد نفوس هناك
 نعت سيرتها سيرها حتى بلغا بحشوش بب التخصيد وكان الوقت طهراً
 وبحشوش فريه هادئة تقع في أعين فتوح كسروا حواصحي حاف .
 ومروها برد عذب . وهوؤها عليل . وأهلها اصبتو لمعشر برحوب بالعريب .
 تحوسا في بحشوش . فنبه فيها كل شيء حمل . بل تحمل ما
 فيها السليبية التي تعرب فيها لمرحوم داود . وسفها . الأسماء بر تحبها
 تلاميذ . يتنعمون العبر . ويسة وحوو نسيمها عليل . إن همسات أعصا
 شجر سديان . وهي تتمايل مع حطرت نسيم . تنقل إلى لآذان أعذب
 الألحان فيتردد صدها في كل مكان
 وكم تميب لؤلؤ لاس بحشوش داود صرحاً مجمع من حقوق
 باقة زهر . وبصعها عليه . اعترفاً على أسداه ذلك الكعب الكبير من
 حداثت السليبيين عامة . ونقبين منهم بالقطر امصري خاصة . إن
 باقة زهر رمزية من حقوق لسان . يصورها ابرقر بالحميل . طي أقل
 شيء يهدي إلى روحه لصهرة في هذا مقام رحم الله داود رحمة واسعة

القرية المسابية

أخذت السيارة بعد أن تركنا بحشوش ها طريقاً في دروب ليست
بوحشة طرق الشمال وصعوبة التصعيد فيها . وكان وقت قليل
العروب . فصادفنا فلاحاً يسير أمامه . مرفوع الرأس . موهور الصحة
والعافية . يحمل على منكبيه عدا ثقيل أسبين التي رعد قد حاورت
الستين . محراثاً بداًئياً . ويدفع أمامه ثورين في عيشتهما نير . كب يحثهما على
السير من حين إلى حين . وهو يتبعه . لأن شيد العديبه يصدر
مشرح وابل مطمئن

التفت إلينا اعم أبو صوس كعدته وقال .

— انظروا إلى هذا الفلاح . به مثال ناسي الحقيقى . فأخبره

هم المدين فقتوا الصحور الصلده القاسية . شجيرة بقرهم وحوروا . في
حلول خصبة . عرسوا فيها الأشجار . ودونى عيب . فالفلاح ناسى .
في حرب دائم مع الطبيعة القاسية العذرة . التي تصفه اعداء دوماً .
فتراه متى تمكن من أن يختزن حفنة من تراب حرقها مبه الأمطر
الصلحة . واستقرت بها بين سلاسل الحد . أو فوق رلى والخصب .
أو على هوامش الدروب وحوشى معبر طرقت . ووديان راح يررعها
يفنه . ويتعهد بها بعذيته . يعرس فيها دونى العيب . وأشجار الكهنة .
وبدور الصوبر والسديان وسوط والخروب وسواها من الأشجار التي

تبيت في رنى لسان . إن هذا الملاح هو الآن في طريق العودة إلى بيته
بعد عمله أيومي المصنى الشاق . في حقله . أو في كرمه .
ويحفر الملاح نسي على أرضه التي يرويه بعرقه . كما تحنو الأم
الرؤوم على رضيعها الذي تسقيه قطرات دمه . ولأرض بالسنة له .
هي أحب شيء إلى قلبه بعد ربه . كما أن اعتقاده برحمة ربه . يصارع
إيمانه بفائدة أرضه . فهذه المصبران المذنب يعثان في نفسه روح
الأمل . ويصفين عليه اطمأينة في العمل . ويشيعن في معيشته
سكينة واخذوء

استأنفت سيرتنا سيرها في أثر الملاح بعد أن كنا قد أوقفناه مدة
في جانب الطريق فأردف لعم أبو طنوس ما تقدم قلنا .
- بخرج الملاح المسافر من بيته . واضطرب وكسها . ويعود إليه في
مثل هذه ساعة . فيلقى امرأته في انتظاره . وقد أعدت له الماء ليعتسل .
والملاسن المظيفة كي يرتديها . وهبات له أذراع الطعام الشهى . على
مائدة بسيطة . يحسن أمها ومن حوله أولاده وأمرأته . يأكلون ويتسامرون
فيسرى جميع المتاعب التي لقيها ضوب يومه .
ولا يترك الملاح المسافر من الأرض دون أن يستفيد منه . فهو
يزرع أمام بيته المتواضع حديقة صغيرة . يسد حاجة أسرته من فواكه
وحضروات .

كان الملاح يسير أمامنا ونحن نقتنى أثره بسيارتنا سطاء . في كل من
نقترب منه حتى نسه لنا . فأفصح الطريق أمامنا . فتقدمه بضعة أمتار .

أوقفنا سيارتنا بعدها في جانب الطريق . ونحن في أشد الشوق إلى لقاءه والتحدث معه بعد أن شاق حديث النعم أي طوس عنه فلما مر بنا ، حياد بالتحية المناسبة المألوفة قئلا . العواي يا شهاب .

فرد عليه النعم أبو طوس قئلا : عفاك الله يا نعم .

- قال الفلاح : يظهر أن اشباب عراء .

- قلنا نعم . لقد جئنا من مصر إلى بلادكم الحميلة للاصطياف

فقال . أهلاً وسهلاً ومرحباً . كيف وجدتكم لسان ؟

- قالت سلوى إن كل شيء في لسان جميل

- أجاب الفلاح نعم يا ابنتي . ومع ذلك لا يرى أسوء هذا الحميل .

فيتكلمونه ويهاجرون إلى الأقطار الأفريقية . أو الأمريكية وسواها من

بلاد الله الواسعة . كأن لسان صاف على راحته شائه . كان عدد سكان

لسان في الماضي يريد عما هو عليه اليوم كثير جداً . وكثروا يعيشون

معيشة ملاؤها الفسادة والرصا . وفي قبايعهم كان عداهم

قالت سلوى . صدقت يا عمي فيما تقول . ولكن أم فكرك وأنت

في صدر شمالك . أن تهجر لسان في يوم من الأيام . وتحدثوا حدود

بني عشرينك وأهلك ؟

هز الفلاح رأسه وسكت برهة وقال :

- كنت أملك في صواحي بيروت ستناً كبيراً أتعهده بنفسي .

فركب شيطان الطمع يوماً رأسى . فربح لي أن أبيع الستار . وأشد

رحالاً إلى أفريقيا بعد الحرب الكبرى الأولى عند ابن عم لي . حيث

مكنت زهاء ستة واحدة . تدرجت في بعضها فشلت ، ومرضت مرضاً
عصلاً في سمية الدقية منها . ولكن الله أحد بيدي وشفاي . بعد ما
فقدت كل رأس مني . ففقت في نفسي العود أحد . فركبت أول
بحرة ، وعدت ٢٠ من لسان الحبيب لأشتغل في مهنة أحادي التي
هي الزراعة وبصلاحه . وفي والله الحمد كما ترون سعيد في معيشتي ،
قانع بخيرات أرضي . أعيش مع أولادي معيشة ملؤها اهناء والسرور .

وبت سوي : احجرة بدن وب على لسان .

وفي ويات أولاد سياتي هذه الأيام وأنس الحكومة بيوم تعي
عدية حذبة تحته مغتربين . وترغبهم جميع الوسائل في العودة إلى
لبنان فليس لا يعمر . ولا تقوى له قائمة إلا سكره .

دعد علاج . وقد عرفنا أن سمه أوبوسف . إلى داره في مشارف
القرية . فقد الدعوة شاكرين . فركبه معاً سيارته بينهما كان الثوران
يتقدم في طريقهما إلى بيت .

ولد وصعد إلى داره . وجدنا امرأته في انتظاره . وعنى ثعرا التسمية
رصى و سرور . بعوده روحها إليها

فقال له هم أوبوسف . اضروا . إلى هذه التسمية تسمى متاعب
اليوم كنه . وهي في نصري أثمن من كمور لأرض التي بها حرق سبلها
اللبانيون .

تركه سيارته حياً في الطريق . وأحدنا يصعد في حلوب إلى البيت ،
فقايتا امرأته بالرحاب . كما انتف أولاده حولاً ساعة منهم في إكرامها .

قصينا ساعة مع العم أن يوسف طرعا فيها موضوعات شتى وكان اعم
أبويوسف يصول ويحول فيها معاً . ويحدثنا بكل شيء حديث
الخبير العارف . لأنه كثير الاطلاع . ولما سأله الدكتور خليل في
النهاية عن نوع السماد الذي يستعملونه في تسميد الأرض . دهش اعم
أبويوسف من هذا السؤال وقال

- نحن لا نستعمل سائلاً قط . فطبيعة هي التي تتكامل بتسيح
الأرض . إن أرضنا والله الحمد طيبة . وترتها حصنة جيدة .

- قال الدكتور خليل . إنك على حق يا عم أبويوسف فيما تقول .
دعني أشرح لك كيف أن الطبيعة في لبنان قديمة بتسيح الأرض

العوامل الطبيعية التي تؤثر في خصوبة التربة اللبنانية

قال الدكتور خليل .

كان الإنسان فيما مضى يعتبر حدوث البرق . الذي يعقده قصف
الرعد كأنه كارثة من كوارث الطبيعة . تهدد حياته ودماءه . فكان مجرد
سماع الإنسان قصف الرعد يثير الرعب في نفسه . ويتقاعز في قلبه . غير أن
اعم الحديث قد أثبت أن البرق ونصواعق فoudre وتأثيره فعلاً في خصوبة
التربة . فاحسبك اليوم بعضها بعض ثم احتكك بها بالأرض . يحدث
شراعات كهربائية تكون نبيحتها تحليل لغار الموجود في طبقات الجو
إلى عناصره الأولية . فتتفصل ذرات الأكسجين عن ذرات النيتروجين

الموحودة بكميت وفيرة في هذه العار . فتهبط مع الأمطار إلى الأرض ،
فيصيب كل كيلومتر مربع منها ما يقرب من ٣٠٠ كيلو جرام ، تؤثر
تأثيراً مباشراً في حصوية التربة وتجعلها صالحة للزراعة .

ويؤكد علماء انصيعة والكيثيون . بأنه ينتج عن حدوث هذه
الطاهرة صعيقة أكثر من مائة مليون ص. وتروح سنوياً . تستشعرها
الأرض بانترحاب . وتكون من أكبر العوامل على إحصائها . ثم إن
لسان طبيعة موقعه الجغرافي . وكثرة هطول الأمطار فيه في فصل الشتاء ،
وحدوث البرق والرعد . لا يشهد عن هذه العاصفة . هذا هو التحليل
العلمي بكلامك باسم أبو يوسف .

أعجب العم أبو يوسف بكلاء الدكتور حليل . وتعبيله العمى المفيد .
وبعد أن أحسن قصصاً كبيراً من الراحة في دار أبي يوسف شكرنا له
ولامراته العاضدة حسن صباقتها . وانصرما .

إلى دير مار مارون عنايا المسك القديس

كنت الشمس ترحف متناصلة في برحها . بشرة شعث لذهبية
فوق رنى والآكام عند ما أحدث سيرنا بعد أسير في طريق معبدة
عديتها دير مار مارون عديا لريارة صريح المسك القديس لأب شريل
محوف . لدى يكرمه جميع الدين على اختلاف مذاهبهم من مسلمين

ودرور ومسيحيين ولدى يعتر حس مدقق سيرنا بصورة الموضوعه أمامه
في السيرة ويستشر بها حياً .

وكما نقبل أثناء سير السيارات المنحمة عاديات رائحات في هذه
الطريق وكانت بالأمس مهملة لا يقرها إلا رعاة الماعز . ولا يخوس
خلالها سوى الملاحين .

ولما أشرفنا على مدير كنت ساحتة تعص السيرت . ونظفح
الناس . وقد أنواريرة صريح رحل الله الذي يعمل كثيراً من المعجرات
قصداً صريحه الظاهر . فوجدنا أمامه جوعاً من صلاب الحاجات .
وقد وقفوا خشوع مرفوعين شلوهم إلى أعلا . فوقهم بيهم . وشعره نقررة
نموس ك يشعر به هؤلاء الناس .

وبعد أن تحول في أروقة مدير بصحة رهب كان يشرح لنا كل
ما تقع عليه عيوب . صعدنا إلى خمسة حيث قضى السك شربل حياته .
هذه هي تقع فوق ربة سانية . يمتد النظر من فوق نقيع عيادى .
فسيح الأرض حوى صوراً شتى من أول الخرب . وخيبه هذه خمسة
أشجار سديان وتسعد تحت بلاد كسرون . وتقوى في وهادها وودياها
عداات السديان وموط . وحوو خمسة كروم لعب نتي كان يتعهدها
لذلك شربل بعابته

وتأف هذه خمسة من خمس حجرات صعبت . أقيمت على جاني
ممشى ضيق ، وما أن وقفنا أمام حجرة من تحتها أراهب الماصل وقا
في هذه الحجرة كان ينام الأب شربل . وكان فراشه من ورق

شجر السديين . وكان يتوسد فصعة من خشب .

وبعد أن مكث مدة في ذلك بجو الساحر يعيش الدكريات مع
الأم شربل المسك القديس عادوا تلك الشقة الضاهرة التي اكتسبت
شهرتها من دسكها وبحر بحمد شافي طيرت قلوبهم لهم الدكريات .

الفصل التاسع

في الطريق إلى مصايف المتن

أنطلياس

أنطلياس ضاحية قديمة من أحمل صواحي بيروت عدا فيها من سائين
يانعة ، ذات مناظر خلابة فانه قرية من شاطئ البحر مكثنا فيها
يوماً وبعض يوم ، بعد عودتنا من كسروان . تحويها في مترهاتها
المشورة ، وحسن حلال سائين العمرة أشجار البرتقال والليمون والتفاح
وامور المشيكة الأعصاب . وقد عرست بشكل هندسي يسبح معه
زرعة المحصولات في مسافات الشجرة بينها . فكان الدرس في هذه بقعة
من الأرض أرادوا أن يستعملوا كل شئ فيها .

نبع الخوار

ويقع في الجهة الشرقية منها . نبع الخوار الشهير . ونسب مياهه من
رمان بيضاء اللون ، ترتفع في الخو على هيئة نوافير . ثم تهوى إلى مستقرها ،
وتحرق في قنوات وهي تترجم بين الأعشاب النامية على الجدران . وتهب من
مع الحصى الصغيرة حين تدفعها أممها عند انحدارها . لتروى الحدائق

والساتين . باثرة ردادها في ادواء ذات الشمال وذات اليمين ، حتى ليدنو
 كأنه لؤلؤ مشور حسنا في المصمم انقاء أمام هذه التوافير الطبيعية التي
 ليس للإنسان يد في صنعها . نتمتع العين بروعة المصدر التي تكتنف ،
 وتداول ما تيسر لنا من طعام في ذلك الجو الساحر ، حتى إذا انتهينا ،
 عاودنا امكان وسكك ضرباً بوصول إلى رابية عالية مدت لنا منها ساتين
 أنطلس . كسوط أحصر النون . رصعته يد الطبيعة حيوط من حين ،
 وورشته على أديم أرض نصرب إلى الحمرة في لونها . بورة م فيها من
 ساتين نحاور بعضهما بعضاً ، ينحطها محاري امية العسبة التي تعديها
 وتترجح في كل شر من أراضيها .

التساوى الجميل

هبط إلى الشاطئ ، مدى ببسط تحت أقدام هذه صاحبة الفاتنة
 ويمتد في الطول إلى مسافات بعيدة . فلم ير مع الأسف الشديد ، أثراً
 للحياة فيه . فقد تركه ولادة الأمور على بيته وأهملوه . ولم يمدوا إليه يد
 الإصلاح والتهديب . يقدمه المقاهي عليه وإنشاء المطاعم في ضواحيه .
 ليصبح منزهاً عاماً . وشاطئاً ملائماً للاستحمام يؤمه الناس في الصيف
 وشتاء على السوء . لأن منطقة أنصياص وما حاورها من المدن الساحلية
 من أحسن مشاق العام . لا اعتدال الطقس فيها في فصل الشتاء ، وكم ودنا
 لو أن هناك مقهى أو مطعم نحلس فيه ، لتداول شيئاً من المرصبات ،

أمام زرقة البحر ومياهه اهادئة ، بل اكتنبا بالحوس فوق كسان الرمل
اساعم ، نسرَح الطرف في جماله اساحر . وشاهد مراكب الصيد ،
تنقل فوق سطحه وشاكها خلقتها . وبحارتها من فوقها يشقون بحمة
ورشاقة . كما تنقل الطيور فوق الأهدال .

وكانت الأمواج تتسرب إليا حنة من عمرات الماء . وتسرق
إليها ، وهي تهم بأن تسر ردها المصطفى عينا . تريد مداعبتا ، ولكنها
لم تفعل ، بل كانت ترتد عما إذا دب ما . حتى لا تعكر عينا صفو
وحدتها وبحر فتعد في محراب فتون إليه البحر

أيها الشاطئ ما أحملك بمرمك الناعم كاحرير . الذي اقتريه عريت
حنية البحار في غابر الأزمان . وتفتريه اليوم أحسام الحسان ، تحت
أشعة شمس لسان !

أيها الشاطئ . ما أبهك بصحورك التي تتوح هامثك وهي تتحدى
الأنواء والأعاصير . وتهزأ بالرواح ولعواصف . فلا تفوق هذه جميعها
على ليل منها . بل ترتد عنها كنية دليلة . لأن في هذه الصحور الصلدة
العرم والقوة ، وفي شموخ قممها آيات الليل والعصمة ' ' ما أروعك أيها
الشاطئ بجلجالك التي تنامي سائر خلجات العالم بشكلها الرائع .
ومنظرها المهيب ، وهي تحتضن مدد لسان الساحلية . ويتردد فيها نسيم
لطف يزیده طرباً صوت أمواج البحر . التي ترتطم بصحور هي القية
الباقية من جبال راقدة في سفح حل لسان . وكأني بهذه الأمواج تعرف
على تلك الصحور أنشودة الخلود على معرف الطبيعة ' '

أيها الشاطي أنت حقاً حيل بحيل لسان الذي يشرف عليك من عل ،
 بما فيه من مناظر حلالة فاتنة .

جورة الزيتون

كانت سيراتك رائحة من الشص . فأنتصيناها . ودرجت بنا في
 طريق تحف به الأشجار وساتين . ومجاري المياه على الحدين ، حتى
 بلغنا الساحة العمومية بعد دقيقتين . أحدثت سيراتك بعددنا تمر في طريق
 متسع معد للاستل . من أن ستمت حوره الزيتون ، فسمعنا لأول
 مرة نكت الموسيقى الصبغية التي لا تشف آد من لا بألف سماعها .
 موسيقى صرير الخدود المستوية فوق أفان العصور آمنة مصممة كانت
 ترن ولا ترد . وتسمعنا صريرهم رعم نون .

ويضمن سكان الحد من سماع مثل هذه الأصوات التي بأفهمها ،
 كما يصنعون من سماع الأعاني والأشيد الممتعة . وسماع عواء ست آوى
 وندبات في الحد سواء سواء . وهدير المياه المتساقطة من منحدرات
 الحد . وتعريد الحاسين . ورققة العصدير فوق الأفان . وتلاطم
 الأمواج على شص الحد . وقصف الرعد في أيام شدة . ونقر الأمطار
 فوق الأعصير العارية . ونوقع البرد فوق الحد . وعصف الرياح في
 وديان العميقة . ورؤية الزهر المختلف الأشكال والألوان وهو يتفتح من
 الأكمام فوق الحصاب والنرى في الربيع . دأشراً غيره الدكي بحجل

وحياء ، على حين تنوء أشجار الغاكهة عما تحميه من ثمر في ركامها
الحير والبركات كل هذا من مستلزمات حمار الصيعة في لسان . تصالعك
به بتغير فصول سنة . ذلك هو سر الحمار في لسان

وحورة الريتون ، ولعلها سميت بهذا الاسم لوفرة شجر الريتون الذي
فيها قديماً . هي بقعة ساحرة . يملأ حماف العين . كسارده شجر الصنوبر
الرئع ما بين كبير وصغير . يروح تاريج عرس بعصه من عشرات المسين
يصطف بالنصم على حدى الطريق . كما يقو بعصه فوق مسحاترات
ليست بوعرة تهبط بنصر إلى ود ليس عميق . ونسط أورق هذه
الأشجار الأثرية لتي نملاً رائح المسكبة ادوء ضها نشداف فوق مسسط
من الأرض تستطيع العيون أن تستشف منه ورقة السماء

وقد أحبرنا أحدهم أن الأمر يكون قد أشرو فصعة كبيرة من الأرض
في بقعة حورة الريتون . لإقامه منسقى عليها . فإذا صبح هذا . فرب
أشد من نخشاه . هو قصب شجر الصنوبر الذي هو ربه حرش لسان
استأنفت سيارته سره بعد أن تحولت في هذه البقعة مدة بين شجرها
وصحورها . في طريق متروش . لأسفلت . كثرت محساته كدق صرق
لسان . تقدياً من حوادث الصدام . عرست أشجار صنوبر على
على حاديه . فمررا بقرى كانت مهمة في الماضي لا شأن لها . غير أن
يد العمران اليوم قد مستها بعضها السحرية فأحاطها بحداب . فقد
شيدت فوق رباهها كثير من اسنى الحديثه . كما عرست في رحابها
الحدائق الغناء الملائى بأشجار التندج والكثرى والرفوق والمشمش . وذلك

بفصل أموات المعترين . الدين هجرو وأثرو وعادوا إليها . وآثروا
الإقامة فيها .

قرية الحمراء والتمريكة

ما زلت نطعن إلى أن انسطت عن يسار قرية قرنة الحمراء بسيوتها
الخميدة المعممة بالقرميد الأحمر . ومن حول كروم العنب والحدائق
والآكم المعصاة بالأشجار السقة . ثم ما لبثت أن بدت لما قرية التمريكة
مستقط رأس المرحوم أمين الربخاني الكاتب اللسان الشهير ، ورقيق حبران
وميجائيل نعيمه في لعنة وواحد من ابديين الدين حموا مشعل الثقافة
العربية في المهجر .

وقد أقيمت هذه القرية على شفير الوادي المشهور بمناطره انطيمية
القاتية . وأشجاره السامقة وينحدر تسربحاً حتى -هر الكلب ، فيغسل
فيه قدميه العاريتين .

أصهرت الآسة سلوى رعتها في زيارة صريحه في قرية الشوية ،
فتوجهنا إليه سيراً على الأقدام . في طريق معدة . فلما بلغناه ، صفرونا
إكليلاً جمعاً زهوره من الحنوف المحورة ، ووضعناه على الضريح القائم
عند سفح رابية يكللها شجر الصنوبر الدائم الاخضرار في ظل السديلات
الثلاث التي تصفه . وبعد أن وقفنا أمامه صامتين حو دقيقتين ، مترجمين
على من يحويه . أضرفنا العم أبو طوس كعادته معنا ، بحديث قاب لنا

إنه دار في الشتاء . بين شجرة صنوبر كبيرة قديمة الأيام وأخرى صغيرة في وادي الفريكة . يوم أن رأته أمياً إثر عودته إلى لسان . بعد عينة طان أمدتها أعواماً .

— قالت الصورة الصغيرة لأُمها . من هذا العريب . الذي لا يخاف السكى معنا في هذا الشتاء “

. أحانت الأم : ما هو بعريب يا ابني . بما هو من بيت هذه الأرض وصحورها . ومن سديان هذه الحبال . هو من أُنثا يا بنية . وقد طالما حمته وحمّلت من ثماري لما كان صغيراً ، وضلنا فرشت له من ورق ليستريح عليه . ونشرت له صلي . كي يتميأ . ويريل عنه تعب الجسد وهم الفؤاد ، وبعثت إليه من أرح نسيمي . ما يعيش النفس ويحييها ، ومع ذلك فقد محرواً رماً . وعاد اليوم إليها . ليكثر عن خطيئة محرو لنا ، وينعم في طنا . حبه يا ابني . فبه يحس .

هذا كنت تتحدث الشجرة عندما عاد أمين إلى لسان ، بعد غياب عدة أعوام .

وما قالت شجرة الصوبر الوفية الأُمينة المخلصة ، لأُمس لأمين . تقوله اليوم لكل واحد من المعتزين السائين . لصارين في مشارق الأرض ومعارها . تيب هم : أن عودوا إلى لسان وقد طالت غربتكم . وانحنى ظهرهم من الحزن على فراقكم . إنه اليوم في تتصاركم لتعمروه ، ولتحدوا شبابهم بوجودكم فيه . ولذلك يعود الببايون يتنغول بذلك مثل القديم « هيثاً لمن له مرقعة عترة في حل لسان » .

منضدة ايسنوتيب العربية

وقيل ان بهم معادرة الفريكة . قال له العم ابو صنوس .
 هل تعرفون لمن الفصل في اختراع منضدة اللينوتيب العربية ؟
 انه للساي معترب عن هذه المنفعة . قد غر عليه ان يرى منضدة اللينوتيب
 تصفق جميع لغات . لا لغة الصدد . فاحد يقدح رباذ فكره . وينحصر
 عين خبير منضدة اللينوتيب بصفة الإبحارية . إن أن هذاه فحصة وقوة
 ملاحظته . في اختراع منضدة لينوتيب لعربية . التي يعم العالم العربي
 يوم نواتدها .

هذا الساي المعترب هو الأسوف عبيه الكاتب الكبير المرحوم سلوم
 مكرزل شقيق المرحوم نعيم مكرزل مؤسس جريدة الهدى سيوريكية
 ووحيد من المبشرين الذين بشروا لغة اصصاد في العالم الجديد .

قرنة شهوان

شهباء بعد ريدنا لصريح الريخاني ، في قرية قرنة شهوان . في طريق
 متصدة بين الأشجار . وهذه القرية حائمة فوق هضبة تعلو سطح اسحر
 بمقدار ٦٧٠ متراً وتضل على بيروت . وقد بدا لنا منها مرفأها بدخل في
 الاسحر . كأنه درحة كبيرة تدفع بقوة نحوه تتحجر عذبه . كما ظهرت

لنا قرى كثيرة متناثرة هنا وهناك ، غارقة بين نخمل وأعباص
 وقرية شهون سميت بهذا الاسم نسبة إلى المدعو شهون وقد أقصعه
 إياها أبو نوفل حصص من أعباص حراء شعاعته . وهي مقر كرسي مصراتة
 قعرص زرد فيها المدرسة المسماة بشهيرة التي تحرح فيها في الماضي كثير
 من رحلات لسان بين يشر بينهم بالسان . أما يوم فقد عفا عليها
 الزمن . وشاحت عمرو لأديم . ولا يقيم فيها إلا عدد قليل من الكهنة .
 وكان عددهم في الماضي كبيراً جداً .

عين عار

ولما بلغت ما السيرة عين عار . وهي مركز مصطفى جميل هادي .
 حوها ساحر فانس صائى الأديم . تحيط بها اعدت الكثينة وكروم
 العنب ، سارت في وسطها محترقة لطريق قديم . وقد بلغنا شبيطة بدت
 لما ضيعة بيت شباب المحمية الرضعة فوق صدر وادي مساتيها ابيدة
 وأشجار الخور والخور وصنعصاف التي تربها وبيوتها خمسة التي بعوها
 القرميد الأحمر . قد عانت فيها بعض فوق بعض بشكل هندسي يدعى .
 يمتد في الارتفاع حتى الجهة شرقية منها . فحلق قبي لرؤيتها . وأعرو رقت
 عيسى بالدموع بعد عيب ربع قرن من الزمان عيب من شدة فرحى

بيت شباب

وبيت شباب كلمة آرامية معناها بيت الخيزران . وهي من أكرم

قرى لنك . وعظمها شأ . ومع ذلك يحبو لأهلها ولخيرانهم في القرى
 الخاورة أن يسموها « الصيعة » ، ماؤها عذب سلسيل . وهواؤها أبداً
 عليل . وسماءها دوماً صافية الأديم . أهلها دمنوا الأخلاق لطيفو المعشر ،
 يكرمون صيف . ويرحبون بالعريب

وتحيط هذه القرية البديعة . مستزعات هي آية في الروعة والحمال .
 وتكتنفها عادت ناسقة الأشجار . تزيها آكام ورنى متباينة الارتفاع
 ووصف صاحب دائرة المعارف قرية بيت شباب فقد فيها :

« . صهر أهل بيت شباب المعادن فحسوها أحراساً ، وطحوا
 الرمل فأحرقوه فحرراً . وعزلوا القطر فصيروه نسيحاً ، فدارن حرس على
 قسة جبل ، أو ضل في بص الوادي ، إلا ورددت رباته العذبة ذكر
 بيت شباب ، وما رُيت جرة على كتف قروية ، أو مقلاة يفقق
 البيض فيها إلا ذكرت بيت شباب . وما لقيت صائفة من اللبنانيين
 يرتدون الديما إلا ذكرت بيت شباب . . »

سلام عليك يا بيت شباب القرية المحبوبة ، سلام عليك أيتها
 القرية الخادثة الوادعة المستقرة في بطن الوادي كقفير النحل . سلام على
 مسقط رأسى ، ومهوى فؤادى . وعط آمالى ، ففبك أيتها القرية الفاتنة
 أنصرت النور ، حتى إذا عن الطوق دببت وشببت ، تخرجت إلى دروبك
 وصرقاتك لعت . وتحت صل أشجار حراحك الناسقة في أيام انقيط
 ثقبأت ، ومن مياه ينابيعك العذبة الباردة شربت وارتويت .

دخلنا القرية ، وبحر في أشد الشوق إلى لقاء من فيها ، فقابلنا الأهل

والأقارب والأصحاب بمنجى الإكرام والترحاب ، وأنزلونا بينهم على الرحب والسعة مدة جاوزت عدة أيام رزنا فيها مصانع صب الأحراس ، وصنع الفخار ، وحياكة الديما ، بأنوال بدائية ، فاعجب زملائي عما شاهدوا ، غير أن سلوى لاحظت في أثناء زيارتنا لمصانع صب الأحراس ، أن آل نفاع يفردون دون سواهم في لندن مهده الصناعة ، فسألتهم أبا طنوس عن السر في ذلك .

فأجاب قائلًا . نهردت قرية بيت شمس بسك الأحراس وانحصرت هذه الصناعة في آل نفاع ذلك لأن أحد أجدادهم القدامى . كان أول من تعلمها من صانع أوربيين قدموا حصيصاً إلى لندن ، سنة ١٧٨٠ لسك حرس لكنيسة مار عبد ، في بكفيا . ثم أخذ أولاده وحفدته من بعدهم . يرأولون هذه الصناعة في لندن ، ويدخلون عليها التحسينات بمرور الأيام . وتبقى أممهم سرّاً بينهم لا يوحون به لأحد ، فلا عجب إذا كانت جميع أحراس لندن . من جميع أحراس الشرق العربي ، هي من صنع بيت شمس .

ويكيف آل نفاع صناعة صب الأحراس . كما يشاء فهم فهم . فيجعلون الجرس الواحد ، يختلف عن الآخر في رنجه . وتباين مدى صوته وقوته .

أسواق بيت شباب

تجولنا في أسواق هذه الضيعة المقامة في ساحاتها الثلاث : السهل

حيث توجد معامل صنع الفخار التي أمنت عليها المهاجرة . والوسطى
 (محنة البلاطة) والعلية (النع) يصبها بعضها بعض طريق هو أردأ ما
 وقعت عليه عيوننا . فلم نرى تلك الأسواق . سوى بضع حوانيت . هي
 أفرع من حرب أم موسى . يتردد عليها نهر من الشيوخ والأطفال
 والنساء . أما الشبان فحسبك أن تبحث عنهم بمصباح ديوجينوس .
 فقد استهوتهم العربة . وسالت لهم أفريقيا تلك الريحية السحرة فوقعتهم
 في شرك هوها . فتركوا من أحدها أهلهم . وهجروا ضيعتهم المحونة .
 ورموا بين أحصائها . فتدفقتهم شوق . ثم ، لشت أن كفرت بهم .
 وتكرت لهم . فذهب كثير منهم ضحية تلك الريحية المذكرة . فبقيت
 أفريقيا تحق « مقبرة بيت شباب »

مسكبة أنت يا بيت شباب ! فقد أقفرت اليوم من شمالك .
 وكنا دأبنا من غريب . ريتك ومهجتك وتاج على مفرق حبيبت تهاجر
 به سائر الصبيات . ثم أحرأهم يوم أن يحلموا عليك لقب « بيت
 الشيوخ »

وفي سفلى هذه الصيغة المسكودة الخط فسق هو الوحيد فيها يصل
 على مصانيف كسروان وعلى الوادى المسموء بالناظر الطبيعية هائلة .
 ويقع فيه صاحبه من حين إلى حين حفلات لرواده القليلي العدد ، وقد
 أنسا في أثناء وجودنا في حفلة من تلك الحفلات بلقاء أسرتين مصريتين
 كانت تصفون في بيت شباب . ودونها ولروعة المذصر التي تحف بها .
 وعادات مصنوبر التي تحبط بها فتعطر بأريجها الدكي جوها .

وقد أقيمت في الساحة العليا منها حور السبع بعص مقده وسط الأشجار
الباسقة وأمام المناظر الطبيعية الباسمة .

صناعة المديما

كان في قرية بيت شباب ومرارعها قبل الحرب الكبرى الأول أكثر
من أبي نول لحياكة المديما . المسيح وصي المدي . وكانت هذه لأبواب
مصسر ورق لكثير من عائلات . ورمزاً لتخوّر من بير القافه والعور ،
ودرعاً وقياً ضد الاعترا ب . وكان لا يحو بيت في بيت شباب وفي مزارعها
من نول . يتعوب على العمل فيه جميع أفراد الأسرة . كل في حدود طاقته .
أما اليوم . فقد أمت صناعة حياكة المدي في حكم عدم . لأن الخيل
الحديد يترفع عن العمل فيها . كما يترفع عن لس مسوحاتها بعد أن
عرت الأقمشة الأوربية جميع أسواق لس . وبينما نحن نحتد الساحة
السفلى مشياً على الأقدام ، سرى إلى آداب صوت نول مسعث من مرل
متواضع صغير ، فوق كيسه سيدة خورة . وقد سميت هذا الاسم ،
نسبة إلى شجرة حور كبيرة . كانت معروسة في ساحتها أمامها . حيث
كان الشدياق متى الشهير في الزمن القديم . أستاذ صاحب مجمع البحرين
الشيخ ناصيف اليازجي والكاتب الكبير المرحوم أمين الريحاني . ونعم
مكرزل مؤسس جريدة الهدى في نيويورك وغيرهم . يعلم أطنان قرية بيت
شباب وما جاورها مبدئ القراءة والكتابة

وقفنا أمام هذا البيت نجيل الطرف فيه ، فإذا بصية بقماتها المشوقة ،
وقدها المياس ، تغلى خشة نول ، كما يعتنى الفارس صهوة حواده ، فكانت
تدفع دفته يسرها وتقصص على عنان المكوك يمينها ، وتوجهه إلى عايته
برشاقة وبراعة ، وهي تشد أعان لعبها وعيرها بصوتها الرخيم ، وكانت
قدما تلك الحساء في الوقت ذاته ، ترتكز على دواستين ، كذا بين
هبوط وصعود يسمع ظا أريز ، فيه انسجام مع صوت المكوك ، وهو يروح
وينحى في محراه ولا يتعداه .

وكانت هناك عحور شمس ، محدودة الظهر ، حالسة على كرسي
صغير ، أدم دولاب تدبر عجلته يمينها ، وتعالج خيطاً آتياً من شدة
عزل موضوعه حول إصر من نقصب ، يسراها فتلفه على بكرة مستطيلة
اشكل . كانت الفتاة تصعب في المكوك .

ذكرت رؤية هذا الدولار ، واول . معزل عدي رعيم امدى
الشهير ، الذي كان معزله أوب لسة وضعها في ساء صرح بلاده لاقتصادى ،
حتى باتت امد اليوم . من أكبر الأمم الصناعية ، ومن أعظمها شأناً ،
هذا في افسد . أما في لندن فجميع الصناعات التي كان يراوها الأجداد
أصبحت اليوم في كف القدر ، تلك هي سيئة أخرى من مساوئ
الاعتراب .

لاحظت عليا العم أبو صنوس دهشنا ونحن جلوس تحت شجرة التوت
الورقة اصل ، أمام المنزل ، نصت إلى نقر دفلة النوب ، وعيوسا ترمق
الشادية الحساء ، وكانت لاهية عنا ، مصرفة بكل قواها إلى مراقبة

نوطاً ، وهى تشنف آذاننا بصوتها العذب . وتحكم فى عند نوحها مدى
هو سياج عرتها وكرامتها ، كما يتحكم الطن فى لعته فقل .

- إن لسماع صوت الأنوال وهى تعمل عند التحر وقعاً فى النفس
أروع فى فصل الشتاء منه فى الصيف . حين يتحوب صدى نقر المكوك ،
وصوت دقة البول ، وثريز الدواست مع هطوب الأمطار فى الخراج ،
ووقعها على سطوح المدرل . ودقها على الأبواب والنوافذ . فكأن كل
هذا حوقة موسيقية . قد اشتركت فى عرف سيمفونية . هى من وحى
الطبيعة . سيمفونية ما أحملها ، وما أعظم وقعها فى النفس ! كم وكم
من المعتربين اللذيين الذين تستمعهم اندية الصاحبة . ويسروهم بحرف
الحياة ، قد سوا تلك الأصوات . أو تناسوها . وحرموا من لذة سماعها !!
كم وكم من أولادهم لا يعرفونها ، بل ربما لم يسمعوا عنها . أحل تلك هى
صورة أخرى من صور الجمال فى لبنان

الفاخورى

تركنا تلك اشبابية الفتنة اللصيفة الطريقة . توصل عملها الذى هو
عنوان كرامة ضيعتها وتاج فخر على مفروق حبسها . وهى فى طريق ،
نريد الحلى الذى فيه معامل الفخار ، فلما بلغناه . راعنا أن نراه مقفراً ،
وكان فى الماضى يعج بصناعه الماهرين . وكانت آنية انفجار تملأ
ساحاته الرحبة . وقوام الدواب يخلجلها ورينتها فى انتظار حمولتها .

هناك نمر قلب لا يتحور عددهم صانع اليد . لم تسهواهم العرة .
 مكتوا محضين نضيجتهم . محبين لفهم . رأيا منهم رجلا مست . يعمل
 في معمله متوصع نصر وحلد ددرين . فكان يتناول الطين بيديه .
 ويكفيه كم يريد له فيه . ويدير قدمه الحفيه في الوقت دته دولاً
 من حشب . وقتها رقه في عمه . بعد أن حينه . ورد لنا تحيتنا
 بأحسن منها . فكان مسطر الطين وهو يتحول بين يديه من شكل إلى
 شكل من أمتع المناظر . وأعضها وقعاً في الشمس . وبعد مدة ، رأينا
 قصعة صين . تخرج من بين يدي الفاحوري ادهر سارع إباء حيلاً
 لطيفاً تمت إينا لهم أبو طوس و .

- هذا هو الفاحوري المسطر على صيه يسحره منه الرفيع فيخرج
 منه إباء بكرامة . وآخر لمهون

هيناً لك بيت شهاب تصدعك ادين حقيقو جميلك وآثروا الإقامة
 في ربوعك وم يتركوك

وأخيراً هل نولي الحكمومه مثل هذه الصداقات الوطنية عديتها . وهي
 اليوم في طريق زوال . لفنة لإقنات عيب والأبدى العمة نتي تعمل فيها ؟

المعهد اللبناني

تكرم أحد الآباء الأفاضل ودعانا لزيارة المعهد الوطني للذكور ،
 المشيد في محلة « المرحه » على رابية تواجه مصايف كسروان ، وتبسط

تحتها تدريجاً القرى الصغيرة سيوت المتوحة - غرميد الأحمر . وأمامها
الحدائق الياقة . إن أن تنصل بالشاطئ الرائع الذي تنبع مياه بحر
المرقء وماله الدعمة البيضاء . كما تشرف في الوقت ذاته على الوادي
سحيق . الذي تنصب فوق ربه أشجار الصوبر والسديس . فتملاً
أخو غيراً . فيه قوة وفيه شمس . فما وصدا إليه . أخذ يشرح له كل
كيرة وصغيرة عنه . ونحن نطوف بردهاته الواسعة بصينته الماحرة الأناث
المستوفة بالجميع الشروس الصحية .

وقد أعجبنا بالقمانين ثمر هذا المعهد الشافي . الذين يبدون كل
ما وسعهم الجهد في ترقيته . ليكون في مصاف أكبر المعاهد العلمية .
لا في نسا محسب . بل في الشرق العربي نأكله بمرحمة الشائقة .
وأساليب التعلم الحديثة المتبعة فيه

وقد أحربنا الأب المرافق له . بأن كثيراً من المسلمين مغربين
يرسلون أولادهم إليه . حيث يتسول العلم مع التفصيلة
ويستل المعهد اساق في فصل الصيف . الشئ الصغير من الأقصر
الشرقية وعمرية . حيث ينضون فصل الصيف . لاء أحر صليل حداء . ولا
شدث أن هذه فكرة حسنة . ودعاية صية بمعهد وأثرية بيت شباب ولندن

متره عين الحشيمة

وبعد أن أكمل حولتنا في هذا المعهد . شكرنا للأب حسن رعايته

لنا ، وحمل احتدته بنا . ثم ودعناه وركبنا سيارتنا ، فانطلقت بنا في طريق يتفرع منه صريق آخر يوصل إلى منتره عين الحشيمة العتيق ، تحف به حدائق الفاكهة . وكروم العنب . وحول التين . على الجانبين ، ويمتد هذا الطريق إلى دير القديس بطرس الذي نديم على مقربة منه صومعة صغيرة انتصت أمام مدخلها أشجار السرو والصنوبر الجميل المطر ، ويتبع نحتها على مدى النصر كرم واسع الأرجاء ، كما يوصل هذا الطريق إلى قرى عين الحروبه ووادي شدين وحملايا وسواها من القرى الأخرى التي لا نسل في روعة ماصرها وحماها عن بقية قرى لسان .

وكان يقيم في هذه الصومعة إلى عهد قريب ، ناسك عاف العالم وما فيه من متعة ولذة . فنضى حياته كلها مطوياً على نفسه ، لا يقاس أنثى حتى ولو كنت ملاكاً هابطاً من السماء ، ولا يحتبط بالناس إلى أن مات شهيداً محبة للرب ولأوليائه الصالحين لا للعبد .

تلك هي قصة هذا لسانك . منتصبة قد قصها علينا العم أبو طوس ، ونحن جلوس في المقهى بالقرب من عين الحشيمة . نستمع إلى تغريد نظبور فوق الأفنان . ونصت إلى حفيف الأشجار ، وإلى أصوات صبية كانوا ينشدون الأغاني المسناية وهم يتحولون طلائير فرحين في الخنول ، والحدائق والكروم القريبة بدون رقيب ولا حسيب . حتى إذا انتهوا من النشيد الوصفي اللباني الذي مطلعته « كننا للوطن . . » أخذوا ينشدون نشيد « عني الإله القوى الاعتماد . . » وكانت الوديان تردد صدى أصواتهم

العذبة ، وقد هزنا الطرب لدى سماعنا متطوعة « فانهضي يا مصر . . . »
هزنا الطرب ودب الحنين إلى مصر في قلوبنا ، وعرو رقبت من شدة الفرح
بالدموع عيوننا ، فأخذ العم أبو طنوس علينا ذلك من تغير ملامح
وجوها فقال :

« إلى هذا الحد بلغ بكم التأثر لدى سماعكم كلمة مصر في الشيد »
— قلنا وأكثر يا عم أبو طنوس .

قالت سولي : إن لمقتصة مصر وقعاً على الآذان جميعاً يذبص بالرقعة
والحنان .

— أحباب المسائق حسن وهو من الشباب المكثف أحسن لا يضارعها
فيها سوى ليسان

قال العم أبو صنوس . أي والله يا بني لقد صدقت .
وكان إذ ذاك قد هبط علينا أليان الحسية . فأسسنا عمرآتهم وفرحنا
بوجودهم ببس . ولا سيما عندما عرفنا أنهم من مصر ويصطفون في بيت
شباب ويقيمون في المعهد المساني ، فدعواهم والآنستين المرافقين لهم إلى
الحنوس معاً فموا الدعوة شاكربين . وحلوا الرفعة على الأرض الرممية
فقدما هم تماحاً شهباً ونبناً أبيض اللون ليدعهم من متحدث بيت
شباب ، فأكلوا وشربوا من العيش ثم دار الحديث ببس عن لسان فراح
كل طفل من هؤلاء لأطفال الأرياء يعبر عن محاسن الطبيعة في لسان ،
وفاكهته الديدنة . ومباهمة العدة المثلجة . بما يوحيه إليه أفق خياله الضيق .
وقالت لنا إحدى الآنستين في النهاية : إن ليسان حبة الله في أرضه .

بل هو سحر حائل . كثبت يد الضيعة كل سطر من سطوره بمداد الحمال .
 فأجاب السائق حسن . شكرًا يا أمسة هـ شعور نبيل ، لا يوجد
 مثله . إلا بين أبداء العرونة .

قالت سلوى . لا عجب ، ذا كان سحر من شيم لعرب .
 كما نود أن نصل حسنا مع أولئك الصبية لولا ارتطابنا بموعد في
 كينيا . هودسهم وعدرب تلك القعة المماسة ونحن نوح لهم من نوافد
 سيدتنا بأيديهم ونقول لهم إلى اللقاء .
 فأجاب الصبية في مصر إن شاء الله قريباً .
 قول حسن .

وفي لسان سمة المقدمة إن شاء الله .

متمزه السناد

كان الوقت ظهراً عندما عذرنا متمزه عين الحشيمة ، وحتارت
 سيدتنا متمزه السناد وقد أقيمت فيه اليوم بعض من حديثه ، أحاطها
 أصحابها بالحدائق وكروم عنب . وكيم تمنينا لو أن في هذه القعة احادنة
 ذات موقع الحميل . واسع صحى . وادواء العليل . هـدفاً نقيم فيه
 بضعة أيام . أو مقهى نستريح فيه بعض الوقت . نستمتع بحمار المناظر
 التي تحف بنا . ورؤية القرى وادس كر أي تسقط تحت بصرنا ، ولكن
 مع الأسف الشديد فإن أهائى بيت شباب قد هملوا هذا المتمزه ، كما

أهملوا غيره من المتعديرات الرائعة . التي نكتشف قريتهم المزدخنة الوادعة .
 متى يا ترى ترى صدقاً في بقعة اسد ! ! فهي تاح على مشرق قرية
 بيت شباب يا ها من بقعة مائة يهز حجاب الماضر فيها القلوب ! !

الخابوز

وبينا سيرتنا تتابع سيرها في طريق اسد . شهدنا فوق راسه على
 مسط من الأرض . أحوصاً واسعاً . بيت بالحجر والخبر كدت قد
 أعدت لاستقبال ماء مع الحماحم الواقع في حاد صين تحت بسك .
 وتوزيع مياهه على النرى الناصع . لاستعماله في الشرب وري بواسطة
 مواسير ضخمة كدت قد أحصرتها شركة اني أبط لها إنحار هد
 المشروع الحيوي الهام ، ولكن بشوب الحرب الكثرى الأولى . حاد دون
 إتمامه ، فاستولى الأتراك على المواسير . ولم يبق اليوم سوى الأحواض وقد
 تهدمت أجزاء كثيرة منها . تلك هي المدينى التي يطلقون عليها « الخابوز » .
 وقد أخبرنا أحدهم ، أن اسية متجهة إلى بحث هد المشروع الحيوي من رسمه
 تمشياً مع سياسة التعمير التي تتبعها الحكومة اسبانية في الوقت الحاضر .

بكفيا

أشرف على بكفيا المقاتلة التي ترقد مع ضواحيها الأربع المتحورة

وهي : محرصاف ، وساقية المسك ، وبكفيا ، والمجيدة ، تحت
ظلال الأشجار الياضنة تطوقها كروم العنب والمرواح الخضراء ذات
المناظر التي تأخذ بمجمع القلوب .

وتعتبر بكفيا وقد حرف اسمها من بيت كيفا الآرامية التي معناها
بيت الصحرة ، من أجل قري المتن . وحسنها موقعاً ، وألظفها مناخاً ،
وأرقها سماء ، وأغنىها ماء . شوارعها واسعة نظيفة معبدة بالأسفلت ومضاءة
بالكهرباء ، ودورها رحة واسعة . قد تأتي أصحابها في جعلها جميلة
اهتدسة ، مناسقة لبيبان ، حسنة البظهر . أشأو حول حدائق نسقت
فيها شجر منكهة وازدهور المتنوعة الألوان .

ونعزو بكفيا عن سطح البحر بمقدار ٩٠٠ متر وتبعد عن بيروت
بمقدار ٢١ كيلو متراً ، تفصلها السيارة في نصف ساعة تقريباً ، في طريق
مفروشة بالأسفلت واسعة قد انتصت الأشجار على حاسبها . تتدرج
في الارتفاع إلى أن تصل إليها فتصنعها في وسطها . مرة بين البيوت
الجميلة والحدائق الياضنة .

دير سيدة السجادة

زربنا في الجهة الشرقية منها دير سيدة السجادة للأباء اليسوعيين الأفاضل ،
الذين هم فصل لا يسكر عن تربية الناشئة في قري لبنان الكثيرة ، وهو
دير جميل السيان ، حسن الموقع . تحيط به كروم لعنب وأشجار الفاكهة

وقد شيد على رابية تمتد تحتها عذبات واسعة يتوسطها دير القديس نوحرا لرهان
الموارنة يذهب إليه مرضى العيون يتمسكون بشيء من صاحب هذا المقام .

دير القديس نوحرا

هبط إلى هذا المدير مشياً على الأقدام في طريق منحدر ضيقة قد
عبدتها الأقدام وسط عمة ملأى بشجار السنديان واللوط الكثيفة .
ولما بلغه وصفا في أرحائه ، لم نر أحداً فيه . فقد أقفر من رهانه وحده
كما أقفرت سواه من أديرة لسان الحميلة وكانت في الماضي عامرة بأفاصل
الرهان

دخلنا الكنيسة فإذا هي حالية حاوية من كل شيء إلا من مقعدين
الذين ، قد نخرهما السوس وعلاهما التراب ، أماهما صندوق حليدي
يحكم القفل يمدف الزائرون فيه ما تجود به نفوسهم من المذود .
وشهدنا ونحن نطوف في أرحاء هذا المعبد الجميل ، تصدعاً في سقفه ،
وشقوقاً في حدرانه ، فشرعنا في قرارة نفوسنا بحسرة وأسى للحالة التي وصل
إليها هذا الدير ذي الموقع الجميل . ولم نسمع أثناء تحوّلنا في أرحائه وفي
أروقته المخرجة التي تستقبل الشمس كل صباح فتلق عليها وشاحاً
ذهيباً ، سوى صوت نواح الطير فوق الأعدس . وكان النسيم العليل يهب
عليها ، فيسمع لحفيفها أحياناً هي أشبه شيء بالألانات الخريبة منها
بالغمات الشجيرة المطربة . ومن تحتها نع قد ننت الأعشاب على

حاشيه كان يسجل تحرير مائه يوماً يفتحص القلب . فكأن كل شيء
في ذلك المكان كان يشارك مدير في حرته الحرة من ساكنيه . الذين
كانو يعصرونه في ماضي . ويجعلون سببه الحياة .

وبينا نحن بهم في معذرتهم . إدا بنا برى راحاً مثلاً نحونا . قد ألقى
عائنه على كتفه . ونشر مصبه لبيضاء فوق رأسه . وما كادت عيونه تقع
عينا حتى رحب بنا . بدون سابق معرفة وداع في إكرام . ودعانا
للاستراحة في ردهة راحة في مدير فتح ساكنها ، فليتنا الدعوة
شكرين

وما سنترى بـ المقام . وتم لتعرف بيت أصبنا فيه رهاً نحو الحديث
لصيف معشر . واسع وفق أنصر . فرحنا بنسبته معه في الكلام بدون
تكليف . كأن معرفة من قبل . إن أن أدت الآلة ساوى دهشها من
نحو مدير من برهان برغم حسن موقعه . وصيب مساحته . وسط المصير
الطبيعية الدائمة لسحرة . وهدوء الشمل . حيث يحو للمراء أن يقيم على
يوم . ثم أرتبه من سماح لمصاح التي تخرج برئحه الصبور
وأنعاش بركة التي تسب من بين الصخور

اعرورفت عينا هذا الرهب الفاضل بالدموع ويدا عليه لتأثر .
وكأن قلبه قد حقق بالذكريات القديمة وهنرت نفسه لسحر المكان فقال :
صدقني يا سني . إن كل ما في لبنان جميل ، فلبنان والجمال
نصنا مترددين . ولكن قتل الله الأيام ، وحب المال الذي أعنى
لإنسان . فهوت عينا فهوت انقراض على اسر . وركب في سبيل

الحصول عليه من الحجار . ونجشم من حبه كثيراً من الأحصار . فحين
قد نعا كثيراً من ممتلكات أديرت بل وأديرت دنتها . حاجة أم الرهنة إلى
المال . وإب على وشك أن يسع هذا المدير أبصاً إلى أثر ضعف الرهنة
فيه وفي غيره من ديورة لبنان .

سكت راهب رهة وأردف ما تقدم بلعه عربية فصحي قولاً :
لا يطيب لشباب اليوم إلا العيش حتى معيشة الرهنة .
وهي عيشة تقشف وحرمان . لا يستطيع أن يتحملها كل إنسان . في
اليوم في العقد الثامن من عمره . وقد مضى على في رهنة ستون عاماً
كان المحور فيها في ذلك الوقت . يترب بكثير من عتات حتى تنبوا
الاختبارات القسية .

كان العمل المشترك بين الرهسان في امصى . صلاة في الصباح
الماكر . فيها كد ساء مهون وحتمه . وعدته كان يصرف كل راهب
من أجل عمله يؤديه فكما بعضه يرعى بهائم المدير . واسعص الآخر يتعهد
رراعتهم . وبعضهم كان يعنى بشؤون الرهسان المدببة . فينصليهم وحتمهم .
كما أن الصريق اراجع كان يعنى بالكسبة والتأليف والتدعة والتعالم . أوثانك
الرهسان الذين عافوا اعداء وملذاته . وكفروا بنذ وجمعه . وحرروا من
أثقال هذه الحياة وحطمو أعلام لاجتماعية فسدوا أهواء المديمة وتعلوا
على شهواتها المدينة . قد اتحدوا في عمل بعد الصلاة شعراً . فكان خير
مسكن لآلامهم . وأجمع دواء لتصديد حركات صبرهم . يعقدون عبه
رحاءهم . ويلقون عليه آلامهم في الحياة الآتية . تلك كانت الفلسفة التي

درج عبيها لرهبا في اوصى المفسفة التي تقوم على العمل والعزلة
والانبطوء على النفس وخدمة القريب .

حدثت سوتى ، أرحو المعذرة يا أنت . يفهم من منطوق كلامك ،
أن راهب لا قبل له بموجهة الالتزامات التي تنصلها الحياة ، فيعتزل العلم
ويستوى على نفسه إن فستنكم هذه حسب ما أعتقد . هي فلسفة
لا تستقيم مع منطق اسلم . بل كان الواجب يحتم على الراهب أن يفرح
بأن العم . ويكون كالشمعة المصيبة فوق المدر . ليرى الناس نوره .
فيستضيئوا مثله الصالح . وتعلمه القويمة .

— اعدى يا بنى أنك فهمت كلامى على غير حقيقته . وجمت
حديثى على غير محمله فرب مهمة الراهب شاقة جداً . ورسالته هي يؤديها
في الحياة باعة في الصعوبة بد الواحد ما كالشمعة يحرق نفسه ليقضى
لغيره . إن لما معاشر الرهبان رسالة إنسانية لا تقتصر على الصلاة وحسب ،
كما تنوهمين . وإنما تقوم على الخدمات الاجتماعية التي تؤديها لبشرية .
والراهب ما يكفر بنفسه ويعمل صليبه شقيل بقصر وتسليم لإرادة الله ،
ودنك كى يحقق قول السيد المسيح « من أراد أن يتبعنى فيكفر بنفسه
ويحمل صليبه ويتبعنى . . . » ورسالة الراهب الإنسانية بقدر ما هي
جسيمة ، بقدر ذلك هي صعبة ومخوفة بالأحطار .

لاحظ أن الراهب قد تأثر من كلام الآتية سوتى وآله حديثها .
فراح الدكتور حبيب يطيب حصره . والعلم أبو طوس يعتذر له بعد
ما سمع المهمة لشاقه التي تساط هؤلاء الرهبان الأفاضل .

براد بكفيا

ودعنا هذا الراهب الذى يحمل على منكبيه عدا ثقل سنين اتى قد
 حاورت الثمانين ثقل الحياة ومتاعها ، وعند أدراجنا فى الطريق المتصاعدة
 إلى بكفيا ، فرز برادها ، الذى يقع فى وسطها بدء على إشارة العم
 أبى طنوس ، وهو عذرة عن مى صحم واسع قد جهر بالآلات الكهر بائية
 الحديثة ، وتتسع أدراجها لحفظ آلاف الأصناف من مختلف أنواع
 الفاكهة كالنفاخ والكشرى والرفوق والخوخ والطبخ والشمام وسواها من أنواع
 الخضروات . وقد شرح لنا المهندس المشرف عليه عمالية حذت الفاكهة
 فى الحرائن والحصول على أية فاكهة فى غير أوانها فى أى وقت .

عيد ازدهور

ويقام فى بكفيا فى شهر أيلول (ستمبر) من كل سنة عيد ازدهور
 يشرفه رئيس الجمهورية خصوره ومعه كبار الشخصيات . فعالمنا الحظ
 وشهدنا العيد ، فراعنا مظهر الفؤاد والخضروات المعروضة فى مساحة واسعة
 أقيمت خصيصاً لهذا الغرض . كما حضر عدد كبير من ذلك اليوم المهرجانات
 العظمى التى أقيم فيها . فاحتفت المركبات المارونية بالأزهار شوارع وبيها
 لافتات تحمل عبارات مختلفة . كلها إسلاخ عن هذه السدة . التمتة اتى

صل أثر جمالها عالقاً في قلوبنا

ويتنوّى تضخيم هذه المهرجانات ألسنة بكلمة أنفسهم ، فهم يؤمنون إيماناً
صادقاً بفدائنها ، لأنها دعوية صيبة لبلدتهم . وعلان حسن عها ، وهكذا
قصيدة ذلك اليوم وقد كان في الحقيقة من أجمل وأمتع الأيام التي قصيدها
في ربوع لسان .



عيد شم في لسان

قرية بحر صاف

دعان أحد الأصدقاء لزيارة قرية بحر صاف ، وهي منتزه جميل

منزع على أكمة مرتفعة تمتد حتى جهة اعلى في صرف اعرفى من كميا،
وتشرف على عابات وكروم وحلول ملأى بأشجار التين ، وقد كدت
بحر صاف في الماضي مركزاً حصيناً فيها كثير من القلاع التي أقيم على
أنقاضها اليوم دير كبير ، يعرف باسم دير مار يوسف . يردهر برهانه لأوصل

نوع معص

عدد بن كميا قبيل طهر . ولقد أن تناول طعام الغداء على نوع
النعص . ويقع في وسط عدة ملأى بأشجار صنوبر الكثيف الأعصاب .
وكان السيم يعيل بداع وراقه الأربية فتحدث حقيقاً صيناً حقيقاً
يطيب سماعه . وكان صوت حرير اده وهو يساق من اسع ادى في
مائه شدة الناس وقع على السمع حقيق . ورأى من قد تفرقوا حوله
واحتلو الأماكن المحيطة به تحب ظل لأشجار . بن حسنة إلى جانب
نوع معص الحمل . فوق الحصنة مرتفعة إلى تكسوها لأعشاب السدمية
في أحضان الطبيعة المشرفة الصاحكة . التي تفرح بأعنى صيور . توحى
بأسمى معنى الحمل التي تسحر الثاوب .

وكميا الساحرة عذرة في الخدائق والرياح الحصر . حافة
بالمقاهى والصدق المصحة . والأندية وملاهى التي يشدها المصصفون .
هذا إلى جانب محلاتها التجارية الكثر . التي يحد المرء فيها من أنواع
البضائع ما يضارع في حودنها وتعدد أصنافها أحسن المحلات التجارية

وأرقاها أما في الليل . فيرى المرء أهواحاً من الناس قد مهرتهم أنوار هذا
 المصيف الجميل ، فحرحوا يتمسكون في الشوارع واضرقات أساب
 التسلية ، ويمتنعون أنصارهم بحمال ما يحيط بهم من مناظر ، هي مصدر
 وحى وإلهام لعشاق صبيعة وظلال المسرات تلك هي مكينا ابلدة التي
 يعار أهلها على صالحها . فأرادوا إلى هذا الرقى . فكان لهم ما أرادوا

المحيطة

كان الهواء العليل يرقع في آذاننا ألحان الحمال ، فيتحوب صداها
 بين الأشجار المعروسة على حاي لطريق فتشه إلى عشاق الطبيعة الذين
 تحتضهم في ظل أفانها الفيحاء ، في مثل هذا الوقت من النهار الذي
 كادت تنحدر فيه الشمس مسرعة إلى معربها ، سارت سيارتنا ادويما
 بين هؤلاء القوم حتى لا تعكر عيهم صفو رحبتهم ، إلى أن بلغنا
 المحيطة . وهي قرية حديثة العهد كما يستدل عليها من اسمها ، وتقع على
 هضبة متدرجة في الارتفاع تصوقها غابات الصنوبر والسنديان ، فتعش
 من عبرها الدكي الرائحة نسباً علبلا منعشاً
 والمحيطنة مكنة لكفيا من الجهة الشرقية ، كما أن صاحبة بحر صاف
 مكلمة ها من الجهة الغربية . وهي لا تغل عن مكينا روعة في هندسة
 سابها ، واتسع شوارعها ونطاقها ، وتسيق الحدائق فيها ويأتي إليها
 المعزوم بحمال الطبيعة في فصل الصيف فيتمسكون اخلدوء في ص روابها .

ضهور الشوير

وبعد أن احتازت سيارتنا في وسط قرية المجدثة . أخذت ترقى .
الطرق الحبلية . بين الرنى والآكام . ثم ربما تمره عين الحاج
لباس المشهور بكهنته اشبية . ومياهه العذبة . فحسنا فيه بعض
الوقت ، ولما وصلنا إلى ضهور الشوير . وهي تصغير كمنه شير ، معناها
الصخرة ، كان بياض النهار أحد يدوب سواد ابليل . فقصدنا فمداً
وصعنا فيه أمتعتنا الخفيفة وحررنا في حوله ليلية في الشوارع والطرقات .
وكانت تعج بعشاق املاهي . وقد أتوا إليها من بيروت وسوها من اقصى
القرية لقضاء سهرة ممتعة ، لانفراد هذا المصيف بطابع خاص ، يشبهه
في جوه أمل احياة الدسم . الذي تحلعه عليه أصواته مبهجة .
وحال الماطر التي يتصف بها . وهو صلق الهواء . صيب الماح .
مياهه عذبة باردة . تهب عليه رياح صنين فتعبر في طريقها إليه سابات
ملاشئ شجر الصنوبر الذي يكثُر وحوده في قرى المتن . فيعطر أريجها
الدكي جميع أرحائها .

وتقوم ضهور شوير على منحدر بشرف على وادي مهر الكلب ،
كما تصل في الوقت ذاته على مصايف كسروان وحال صنين المتشعبة
قممها ثوب قشيب من ثلج . ويلمع ارتفاع هذا المصيف عن سطح
البحر بمقدار ١٢٥٠ متراً . ويبعد عن بيروت بمقدار ٢٦ كيلو متراً .

وهي مسافة قصيرة جداً إذا قيست بضرف المواصلات الحديثة التي شملت
اليوم جميع أرجاء لبنان . وتعللت فيه تغلغل نشرايين في جسم الإنسان .

غابة بواونيا

عدونا مع الطير في الصباح إلى غابة الصنوبر الشهيرة ، ويطلق عليها
القوم هناك « غابة بواونيا » . تشبهاً بعدة بولونيا باريس . فلما بلغناها ،
طعم في أرجائها نسيجة . فهدى هي من أروع العادات منصرفاً . وأحملها
مضجراً . وكانت نسيجة يدك . قد فكت الشمس من عقدها ،
فررت من وراء الحد تحت ثيابها في الأفق اللامعاني ، إلى أن ألقت
حيوطها الذهبية فوق الرنى واحصب . فاستقبلتها الطبيعة بانسامة ،
شاركتها فيها انصبور تعريدها فوق الأمان . ما ألدع الطبيعة في درى
لبنان ! وما أروعها في الصباح - كمر . وهي تستنفس الشمس في هيكل
الحلق . بنجر باسم صحت . حقاً إن لى دنك اسحر والحمار

قرية شوييا

قصدنا مصعماً أبقاً قائماً على مرتفع في تلك الجهات . تسولنا فيه
طعام الإفطار . ثم قمنا سرهنة إلى شوييا التي تقع عرني ضهور نشوير ،
حيث يوجد ديران متلاصقان باسم المي إيباس عليه السلام ، أحدهما

للمواري . والآحر للروم الأرثوذكس . وقد شيد الاثنان على أكمة مرتفعة تحيط بها أشجار صنوبر والسديب . وتشرف على قرى القاطع والبحر الأبيض المتوسط . ويفصلها الوادي عن مصيف كسرون . التي تقوم أمامها على منحدرات تتدرج في الارتفاع . هي آية في الروعة واحمال ويقع في ماء مدخل دير المورة متره جميل . صاب لنا الحوض فيه تحت صلال شجر السديان القديم الأيـم . كـثيب لأعـصـن . وبها نحن نجعل الطرف بالمناظر الطبيعية الفاتنة التي تحت بنا . وقد براهب في مقتبل العمر ومبعة الصبا بهـض عليـه . ويرحب به . ثم ما لبث أن أخذ يتحداه أطراف الحديث معاً . فلمسا فيه حلاوة المعشر . وعرة العلم . وسعة أفق الاطلاع . فكان يتحدث معاً ساعة حديث الخير يعرف بكل موضوع كما يعرفه . ويحرف في كل حث كما يحرف عصره . وكان يتم أسلوب هذا الـرهب عن شئ قليل من المهجة المصرية . عرفها منه أنه قصي في مصر رماً في ديرهم الكائن بشبرا في القاهرة . كما عرفها أنه تلقى علومه عليه في مدرسة رهبنة كائنه بروم في إيطاليا . ونعرف بمدرسة البروجانده .

أصبح علينا هذا الـرهب قد صل أن ندول اصعد على مائدة الدير . فاعتدنا بصيق الوقت . وودعده وتبعنا سيرنا إلى شوير . فاحترق بعين ماء تنمرد في بقعة تصلها أشجار الصفصاف المسقات . وتحيط بها أشجار السنديان وكروم العنب وحدائق المأكلة . فتخذنا له مجلساً تحت شجرة من تلك الشجرات الوارفة الظل ندول ما معنا من طعام

(٢)

على حرير ماء أعين . وتعديد الحساسين . وحفيف الريح الطيف
 الخفيف . الذي كان يداعب الأفان الفارعة الطول . تلك هي الحصائص
 التي يتميز بها لست . وبعد الأكل استلقينا على الأرض بالجرء فأحدثنا
 شه عموه من سحر المكان

اشوير

ولما استيقظنا انتقلنا إلى اشوير . وهي قرية كبيرة آهلة بالسكان ،
 يرجع عمرها إلى خمسمائة سنة تقريباً ، وكانت قبل ذلك حافلة بغابات
 سندبان ولسود التي لم يبق من آثارها اليوم . سوى أشجار قلائل جداً .
 منها سديبة كبيرة مسقة الأعصان شاهدها أمام مدرسة فيها
 وبيوت اشوير من أحمل ما وقعت عليه عيوننا ، فهي على بساطتها .
 جميلة الشكل . حسنة الهندسة ذلك لا عجب لأن فن البناء هو صناعة
 أهلها وقد أحسنوا أحدهم أنه يوجد في الشوير بعض الآثار القديمة
 ويسم هذه القرية مأخوذة من اللفظ السريانية «شورو» ومعناها بالعربية
 سور نظراً لما كان يحيط بها من الآكام المملأى بالعدوات .

الخنشارة

اجتازت سيارتنا الخنشارة الواقعة في أعالي المتن . وهي قرية تكثر

هلوها . وطيب مناخها . وجماد هندسة مباهية . تعلو سطح البحر بمقدار ١١٠٠ متر . وتبعد عن بيروت ٣٣ كيلو مترا . تحيط بها غابات الصنوبر الشاسعة . وتكثر فيها الحدائق . وكروم العنب . التي يعصر منها الخمر المشهورة بخودتها . ولذة طعمها . وقد شاهدنا فيها آثار مدحج . قيل لما إن تقدماء كانوا يستخرجون منها الحديد .
وقد أن نادر الحشرة . رزنا فيها دبر مار يوجد الصبيح لدرهم الكاثوليك . فشهدنا مطبعتة التي تعتبر من أقدم المطابع في الشرق العربي .
كما رزنا مكتنته الشهيرة الفريدة في بابها . التي تحتوي على كتب حفية قديمة . يحفظ عليها أولئك الزهاد الأفاضل . بحافظة الحيل على درهمه . ولا يسمحون لكل ضارف أن يطلع عليها . خوفاً من العث بها .

وادي الحمام

تركنا الحشرة . فدلقت سيارتنا في طريق معبد بالأسمت . حاول لمشاهد الطبيعة الفاتنة . إلى أن أصل عبدا واد عميق مهيب . قد احتضنت فيه مناظر رائعة . تمتث في صحوره عشرات النقوش الغريبة . كأنها من صنع فنان حاذق . ينطق النفس الذي يتحلى فيه . بأسمى معاني الحمام . فيجعل المرء يلمس بعض آيات الله وبروعة وجلال . الذي حدثته عوالم الطبيعة فوق تلك الصحور الدثية . السعيدة عن العمران .
فان لهم أبو طنوس :

— هذا وادي الحماجم المهيّب . وقد سمي بهذا الاسم ، لأن معركة
نشبت فيه في قديم الزمان . فمراكمت في مجراه حشّ القتلى . حتى سدت
مسالك الماء الجارى فيه

قد أفرعنا ذكر هذا الاسم . وراعنا ما سمعنا عن حشّ القتلى
والحماجم . حتى لم يرها أثراً في بلد مثل لسا . ينتشر في ربوعه الأمن .
ويجيم عليه السلام .

قال سلوى يلوح . وادي الحماجم اسم على غير مسمى . فليس
فيه أثر لأية حممة . ولا محل لأية حنة . بل يراه على التقيض من ذلك .
يتيه فحراً تداخله صيغته الخلاء . ويور برهورة البرية الحميلة . التي
تتر في كل مكان من ثديا صحوره . التي تزينها نقوش من أبداع ما وقعت
عليه عيوبها .

أحاب لهم أبو طوس : صدقت يا بني إن اسر في وادي الحماجم
فأنة . وسبخرح منه مشروح حيوى يأتى في ركبه الخير العجم . والرزق
الوثير . لكثير من القرى المسبية التي تنسط تحته عند حر مدته العربي إليها .

بسكنا

بعد بسكنا ، القرية المعربة . احادثة في منبج جبل صير ادى
بصر عندها عند صحى . وهي تشرف على وادي الحماجم العميق وتحيط
بها الجبال الشامخة من الشرق والشمال . وتحف بها غابات الصنوبر

الرائعة وتعلو عن سطح البحر تقدار ١٤٠٠ متر . وتبعد عن بيروت
تقدار ٥٠ كيلو متراً . وتكثر فيها حدائق الحدائق والحدائق وكروم
العنب . مياها عذبة . ومساحتها حلي حاف
وقد أحدثت سكنت منها من سكن ينسئ مؤرخين الميقيين
وأشهرهم وقد استقى منه كثير من المؤرخين القدي منهم وعديين .
معلوماتهم التاريخية القديمة عن الميقيين الذين صروا منهم وأمر في
العلوم . وساعدوا معادله بقل الحصرة المدينة من موصها من الشرق .
في جميع الأقطار التي كروا بتعالوم معها .

جبل صبين

ويقوم على مقربة من سكنتا . جبل صبين تهايته وحلاله وهو
أحد الجبال القديمة في العالم التي قدسها القدماء وعبدوها . وسوا بالقرب
منها هياكل لأهنتهم . وكانوا يصفون عبيها اسم جبل الوحي والإلهام .
سلكوا من بسكنتا صرباً حلالاً بامطر العائمة في مع صبين الشهير .
التي يتعجر ماؤه من صخور صماء عذبة . يكون في برودة وصداء .
وقد نبت الأعشاب من حوله وعت الأشجار الكثيرة لأعصاب ربه .
تحول في هذه البروع الحملة وحس حلال تلك المرتفعات التي تملأ العين
بهجة والشمس سروراً . حيث تكثر بسايتي المكنهه وتردد بسيم عليل فتجد
صدورها المتعطشة في استنشاق مثل هذا الهواء الذي فيه الصحة وعافية .

ناسك الشخروب

رغبت الأدبية سوى أثناء وجودي في بسكتا في أن ترور أديب لبنان الكبير ميخائيل نعيمة . صديق حبران الحميم . سألتها عنه . فقيل لنا إنه يقيم في فصل الصيف في بقعة صغيرة من الأرض اسمها الشخروب ، في الجهة الشرقية من بسكتا . وتبعد عن مقدار ٧ كيلو مترات . وفي هذه البقعة احادثة من لسان وكنت إلى ثلاثين سنة حات بكرة لا يعرفها غير اربعة ولا بخوس حلالها سوى الملاحين . يعيش ميخائيل نعيمة الفيلسوف . معيشة روحية عميقة بعد ما عذر نيويورك المدينة المصححة . وعاد في مسقط رأسه في لسان . بعد غياب عنه دام قرابة عشرين سنة .

شدتني الرحا إلى ناسك الشخروب . كما يسميه أدباء لبنان . بصحة شاب أديب يتقي عبوه في الجامعة الأمريكية . ولا بعد مشارف البقعة التي يقيم فيها . سألت عنه فقيل لنا إنه غير موجود الساعة في منسكه . فحر الألم في نفوسنا لأنه كان نود أن نرى الرجل الذي يقبض اليوم بيده على المعوز بدل انقم . ويستند الأرض بالقرطاس . ليخط عليها أسطورة الحياة الخالدة . ويخرج من كنوزها الذهبية حيرات بارك الله فيها . وفي لبنان خيرات كثيرة تطلب الأيدي لاستغلالها !

وبينا نحن نحيل الطرف فيما حولنا . وتأمل ذلك الجو احاديث

الذي يقيم فيه فيسوف بسكتا - وتمنع المنصر لخمات مسافر التي تعجب بنا .
رأينا شأناً مقللاً لحوادث - لمس من مظهر أناس غرباء - حتى إذا اقترب منا
أحد - ينسبط في الحديث معنا ، وقد جاء ذكر نعيمه قار .

إن ميخائيل نعيمه دستك الشجروب بعد عودته من الولايات
المتحدة الأمريكية . يعيش بين معيشة صانعها الهدوء والسكينة . يقضي
يومه بين هائمه يطعمها ويسوسها . وفي وسط حديثه يتفقد عرسها .
ويشرب شحارها . ويقوم ما اعوج من أعضائها . ويدأر أمه عدالة
الآفات الزراعية . ويرور بسكك الشجروب في فصل النضيف جميع الأدباء
المدين بسدول إلى لسان

رد كلام صاحب شرب شوقاً إلى رؤية أديب من اكبر .
لستمع تخديته وفهمته بالحياة . ولكن صبق وقت حاب بين وبين
رعبته . فترك تلك شقه مسخرة في انتصار عودة ناسكها إليها وفعلنا
راحعين إلى بسكتا .

وميخائيل نعيمه هو مؤسس الرابطة الأدبية في المهجر . وقد ألحقت
عموت حروب . وعودة ميخائيل نعيمه إلى لسان . لأسباب ذكرها في
كتابه رداً على رسالة كان قد أرسلها إليه أديب من البرازيل . أودع فيها
فلسفته في الحياة . وسبب تركه الولايات المتحدة الأمريكية ليرتقى في
أحضان صين وقد جاء فيها :

« تسألني لماذا هجرت الولايات المتحدة وآثرت الحياة عليها في حضن
صين . فأقول لك إن من بعد عشرين سنة قضيتها في الولايات المتحدة .

شعرت لحاحه روحى إلى الاستحمام في نور أساطة العادية العارية من
 زحرف المدية . وعشها . وتشويشها . فقد أنصرت الحياة حقيقة بسيطة
 عارية . ورثت أسس في كل ما يعملون . ويقولون ويؤمنون . إنما
 يسرون عرى حجة بأكسبة لا تحصى من أوهام وتقاليد ومعتقدات .
 فيخسرونها من حيث لا يعلمون . ولست يتأثرون ويشقون . وقد وجدت
 أن وجه الله يبدو ساعراً في هذه الجلب ساعرة . حيث إنه في مدينة
 نيويورك تحجبه طننات من صاب الأوهام والتقاليد الكثيفة .
 فلا تسمح له الصبيرة . حتى يخفيه انصر . ولا تقرب منه الروح حتى
 تحسبه أهواء الخسد وبرعات الشمس . هنا نستطيع أن أقول الحياة كما
 هي . وأن أحبا بكليتها . إنما في نيويورك . مع علمي بأن الحياة وحدة
 لا تتجزأ . كنت أحوط تحزتها . ومع علمي أنها فوق انقاييس والموارين
 كنت أسمى ذلك في بعض الأحيان . فأحوط أن أقسها وأربها
 « لا أقول إن صبي أظهر من نيويورك . فكل ما في الأرض صاهر .
 بل أقول إن أظهر في صين أسهل منه في نيويورك . »
 تلك هي فلسفة نعيمه ورأيه في لسان . حيث تبدو الحياة ساهرة في
 حياء الشاحمة ، التي يتوحها الشبح الأسف علامة الظهر والعماد . وهل
 هناك على وجه سيطرة أصغر من أرض لبنان ؟

المتين

عدنا من ريارنا لناسك لشعروب إلى امتين . نقائكة على منحدر

سفوح جبال صنين وتشرف على وادى صليبا وترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٠٨٠ متراً وتبعد عن بيروت بمقدار ٣٩ كيلو متراً .
 ومناخ المتين معتدل حتى - وهو ذو حاف . وعلى مقربة منها عادة من شجر السديان هي منزه طبيعي يتصدها لمصطافون للتنزه بمنظرها ، ولاستنشاق الهواء الذي يمتزج بأوراق أشجارها . فتشده عيراً دكياً ، وتكثر في المتين كروم العنب استوعب الأشكال حسناً في منتهى على تصريق اعمام تشهد لسيرت العديت الراحات تمر أماما في طرفتها إلى رحلة وسيل الشدح حصيب .

المروج

كان وصولنا إلى المروج لمصيف الجميل ، ليلة عيد القديسة تقلا الشهيدة . ويختص اللبنانيون بهذا العيد . على اختلاف شعبيهم ومداهبهم ، احتفالاً شائقاً اقترح عليه اعم أبو صومس أن نحضر ليلة العيد في هذا المصيف الهادئ ، لأحد فكرة عن الأعياد الدينية في لسان ، ولشهد في الوقت ذاته عادات القوم في مثل هذه المناسبات .
 قصدنا في مساء الكيسة ، فألقيناها حافلة بالسن وقد تماصروا إليها من جميع نقرى محبوره ، والسرور يصفح عن وجوههم للاحتفال بهذا العيد . فاتحد الدعة الجذلول لهم ركناً في ساحة الكيسة بصيعة ، يعرضون فيه بصاعتهم . وقد التفت حوهم أصفاء غلاسن العيد الزهية المصيفة .

ليفرغوا ما في حيوسهم من قروش معدودات . في شراء ما تيسر لهم من
أنوع الحلويات . وقد أثار إعجاب منظر الشبان المقتول السواعد ، الأقوياء
العضلات . وقد صربوا نضاقهم حول حبل تدلى من حرس معنق فوق قبة
الكنيسة . فكان كل واحد من هؤلاء الشبان . يباهى زميله بطول المدة
التي يستغرقها في فرع الحرس الكبير . وبأن اقترب شاب وارع انطوى .
رشق الثوب . يرتدى الملابس المنسوبة الوطنية . ويعلم بمقال تحته كوفية .
تسوق الحبل من رقبته . وأحد يفرغ الحرس قرعاً متواصلاً بيد واحدة زهاء
ثلاث ساعة . كان يوقع عنه في أثناءها كل من يخاف أن يتزعج الحبل
منه . وصل كدناك حتى إذا ظهرت عليه علامات التعب . ترك لزميل له
الحرس . اقترب من شاب وحده على براعته ورشاقتة في قرع الحرس .
عرب الشاب نزل بهتتة حمول وحياء . وما عرف أساءة غيره .
إن قرع لأحراس في لسان . ودوى ربيها في قباب الكنائس . وتردد
اهتراراً في روح الأديرة مبروية وسط الأحراش والأدغال . هو من
صميم تقاليدنا الوطنية . وعددنا القومية فعند له الخلفات في شتى المناسبات
والاحتفالات . يشترك فيها الشبان المنسبون على اختلاف مذاهم
وبحسبهم . فيستطرون سواعدهم القوية عليها أشودة الحياة . فيتحاوب
صدها حرأ طيناً في القصص اللاهائي . فتطرب لسماعه الآذان الذي
تعشق مثل هذا الربيع الذي تتنازع صدى تموجاته حتى تمس شفاف
النبوء . إن ربي الأحراس في لسان . برفيات غامضة . يحملها الأثير
بين طياته . لا يستطيع أن يفك رموزها . أو يحل أحاسيس سوى الآذان

اللبابية الصميمة حقاً لقد صدق هذا الشاب فيما وصف، إن زنين
الأحرس واهترارته يبعث في نفس دكريات، فيها رهبة وفيها خشوع،
تتعلق فيها الأسباب التي تربط الإنسان في الحياة الذي جاء إليها رغم أنه،
وتحبه من رغم رادته

رقصة الدبكة

تتقل بصره إلى ناحية أخرى من أنه حيا . فربما جماعة من الناس .
قد نمتوا حائلة حول محفة من شمان يرسوب يرى العزف الحبيب . رقد
أست كل واحد منهم يبدى الآخر . واصطفوا على شكل نصف دائرة .
وأحدهم يرقص رقصاً بدعياً ريباً ويأخذ حركات هادئة مدبرة على منح
مرور من قسب . ربي نصفه . رفيق عمر . وكب أولئك شمس
يشدرب تمصحه حمره . ناشيد شمس ناشوق وحده من أناس . وفي
مدته العصب . وهوثة العبيد . وحده رقرقه نصفه . وودعه رثعة .
ومناصرة الطبيعة الهمة . وكب رثدهم وهو في طرف حافة أشدهم طرباً .
وكثيرهم حاسماً . بلوح تمديد تبص نون في هوء بين كل دبكة ودبكة .
ليدكي في نون رقدته خمس

وكب الشاهج برمرار الذي يتوسط الخلقه . نجى رثده حياً . ويرفعه
حياً . وهو يمشح عمره نعماً شحياً . فيه عدونة . وفيه روعة . يتمشي
مع اسحام لأصوت . وكب انرافصون يتأبون بأحسبهم دت البين

ودت الشباب . وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى . وقد تحزنهم رقة النعم .
 حتى كانت تصنى على تنويعه لونا من ألون حمار تلك الرقصة لإيقاعية البديعة .
 أحل إن رقصة الدبكة الشعبية . هي رسالة من ابن الرقيم ، تحط
 صورها الأرحل شعبية . على صفحات الفن بمداد نغم المرمر الرقيق .
 نحسب أننا إعجاب مهدد الرقصة . التي يربح صبح الاحتشام
 ووقر . والعد عن الحركات شيرة المربية

سأب النعم أبو طوس عن هذه الرقصة . فقد . بها رقصة الدبكة
 شعبية . وهي من رقصة أهل حل لسان القديمة . يرجع تاريخها إلى
 عهد الفينيقيين . فكانوا يرقصونها في موسم ولأعياد آدم هي كلهم المشيدة
 في أحضان الطبيعة . فوق الرنى والآكم . وقد نقشها عنهم اليونان واتحدوها
 رقصة وصية هم . بعد أن أدخلوا عليها بعض تعديلات بسيرة

ورقصة الدبكة التي يشترك في أدائها الرقصون والرقصات في نظام
 وترتيب . هي لوحيدة في حتمت تداء من وقدر وروعة وحلاب . فلم
 يسجل عليها أي نلد أو استهتر . ونقيت وقتاً على أصحابها السايين قدامى
 منهم ومحدثين . يؤدونها في المناسبات القومية . ولأعياد الدبية بحيث إذا
 انتقلت إلى خارج موطن لسان . همد تستقل على أيدى أبهها السايين أنفسهم .
 وصاحب رقصة الدبكة عادة موسيقى خاصة بها . وأعلى معية لا
 يمكن أن تؤدي إلا معها تعرف عند سنيين « بالعتابا »

ويتنص الرجال لبسبون في نظم هذا اللون من الأغاني التي تعبر
 عن الحنين إلى لسان ووصف مفاتن الطبيعة فيه .

الرقص بالسيف والترس

وما كان رقص لدبكة تنهى . حتى يرى شادن من بين الحصرين
وأحدا يبعث بالسيف وترس . على قرع الحبوب . وشمع مرمر . وكب
مطر هدير الشيب وهم يكررون ويترن حبه ورشفه . من أهل لمشاهد
وهكذا يقينا في ذلك الحو الساحر تنتقل من مكان إلى مكان حتى ساعة
متأخرة من الليل .

عبطورا

في الصباح ساكر . استأنفنا رحلتنا مبسمين شطر رحلة . فمرت
بنا الميرة في طريق ممهد فملس ونحن نستمع إلى الأغاني سانية من
مديانها حتى نبع عبطورا . وهي قرية هادئة صغيرة يعيش أهلها على
زراعة الحبوب والخضروات ومنجوت الأمان .
وشاهدنا في الجهة الجنوبية الشرقية من آثار قديمة قدما يعبرها سكة
هذه قرية همامهم يرجع تاريخها إلى العهد الروماني .
وتقبل بعض الأسر على لاصطياف في عبطور معمورة بكروم
العنب والذوئف وليساطة المعيشة فيها
أوقفنا سيرتنا أمام مطعم بسيط فيها على احريق اعدم . فجلسنا وحلينا

على مائدة عدية ما تكون من النظافة . وتناولنا طعام الإفطار . وكان مؤمناً
من الريتوب الأحصر والأسود اللين الطعم . والطماطم والبصل الأبيض اللون
الحلو الطعم . واللبن الردي . فتذوقناه وهذا هو دسم بمادته تشوبه حموضة
يسيرة تريد في المدة طعمه . مع الحمر المرقوق . الأشقر اللون كجناح المديور
وقليل أظهر أحداً تقطع سيارتنا طرقاً شقت وسط الحبل تحيط بها
العدسات من جميع نواحيها تارة واجناس الحرداء أخرى . غير أننا لم نصادف
في طريقنا وهاداً ووديداً عميقة

و جميع هذه القلاع تليق في فصل اشتاء حلة ببضاء من الشج الذي
يركم فوقها . فتسد امساكاً ونصرفت . ونعرب انقري الواقعة في هذه
المنشع بعضها عن بعض . ويصبح اوصوف إليها متعدياً . فيقع جميع
سكنها في دورهم صوب فصل اشتاء ولا يعادرونها إلا لقضاء حجة
ملحة . يعيشون على ما حثرتوه لأنفسهم في فصل الصيف من مؤونه وراة .

رحلة

سارت السيارة في طريق السهل الخليل وشق بين حمار تكاد نكون
حرداء وإنما ليست بارتفاع وروعة الحمار التي شاهدت في الشهاب . إلى أن
بلغنا رحلة . عروس لسان وأكبر مدته وأعظمها شأناً .
وسميت رحلة هذا الاسم نسبة إلى الإله زحل . وتشاهد آثار هيكله
فوق الأكمة الجنوبية التي تصل على المدينة .

وتحتوي رحلة في مختص من لأرض تحيط بها لجبال من جهتها
 اثلاث . ويحترقها في وسطها سمر الدردوي الشهير لدى بيع من
 معارة في ودي صين القريب . فيشطرها إلى شطرين . أقيمت على
 صفتيه امتزجات وانماهي ولطاعم واعداق . يتردد إليه المصطوفون
 لاستنشاق الهواء . ولاتتبع نخوة تطيف . ومطر الوادي القاتمة .

وأهم تلك المتزهات . متزه وادي عريش . تحف به المدهى على
 الجدين نضتها أشجار الصفوف والخور الشمع الارتفاع . فتحلج على
 المكان مصراً من أروع ماصر لسد البرحة الساحرة . يري في روعته
 وحمله صوت حرير الماء انسب في محله . وحفيف أعصاف الأشجار
 التي يداعبها نسيم العليل وقد استوت الطيور فوقها معردة بأحاج تستمددها
 من روعة المكان وحمله

وقد أهدم سحر وادي عريش وحمله مرحوه شوق مير الشعراء قصيدته
 عصماء التي مصدها :

يا حارة الوادي طربت وعادق ما يشه الأحلام من ذكر
 ورحلة مشهورة بكرومها التي تسح أصداً كثيرة من لعب اللديد
 الصمم . لدكي راثحة . الجميل امطر . ويقطرو منه العرق الرحلاوي . وهو لد
 عرق في لعلم صعباً . وأبقى صنناً . ويصدر منه إلى جميع بقاع العالم لشهرته .
 وشوارع زحلة نظيفة واسعة ومعروشة لأستمت . ومصاعة للكهرباء .
 فيها كثير من الخواصيت كبيرة التي يجد امرء فيها جميع ما يطبه .

ورحلة هي مصيف سهل النقا الخليل الحبيب وهو من أخصب سهول

أسيب ترويه منه الأمطار شتاء . وإيباب العريزه التي تتفتح من الحبال
لتي على حاسبه صينياً . وقد كان هذا السهل الذي ينتهي عند جبل حرمود
فيما مضى مصدر ثروة لسان وأعظم إهرء غلال لرومان .

تعنايل

مكتشا في زحمة يومين . ررد فيها جميع ضواحيها ومشرقتها الحميلة ،
ولأماكن الأثرية فيها . ثم استأنفا رحلتنا في طريق معبد الأسفلت
تحف به لأشجار على الحاسين . ومن حنف السهول الفيحاء إلى تعنايل .
وهي ضاحية هادئة فيها دير الآراء اليسوعيين الشهير وأراضيها الواسعة ،
وقد أقصعهم إيها الإمبراطور ديليو الثالث بعد أن أحدها من
الحكومة أنركبه تعويصاً فم عن مقتل حمسة من رهاهم في حوادث
سنة ١٨٦٠ المشؤومة .

وقد اعتنى هؤلاء الآباء الأفاضل بهذه الأرض حتى أصبحت
حرة من الحطب نكسوها كروم هي سبعة للسطرين ذوالها عبر متعالية
تخفي تحت أوراقها عناقيد ها البهيجة .

مرصد كساره

وقد أبدى الدكتور حليل رغبة في أشاء وجودنا في تعنايل في رؤية

مرصد كساره الجوى . وكذا قد سمعنا عنه أنه أعظم مرصد فى لبنان ،
فدعنا إليه يرفقنا أحد آراء لأفصل . فلما بعد قدم بدوره إلى لأب
المشرف عليه . فأحد بشرح لما كان ما تقع عليه العين من الآلات
والأجهزة الدقيقة لرؤسها المرصد . وكان الدكتور حصل شديد لإعجاب
بشرح حصرة الأب متى حتم حديثه بعد شوية إلى الحكومة اللبنانية
تعتمد على هذا المرصد فى معرفة تنقذت خوية من اشرة اليومية حتى
يصدرها .

وبعد أن طفت فى أرجاء هذا المرصد العقيم تقدمت فى تلك البقعة المائية
الهادئة . شكرت لخصرة الأب المصلى ما رددت به من معلومات . وما
أظهره نحوه من لصف ثم ودعاه وبصرف .

فى الطريق إلى بعليك

كانت السيرة تسبق الريح فى سيره عذبة . تركت كسره . ولم تكن
تحتشى سرعتهم . لأن صرقت مهاد سهل لا وديان عميقة فيه تقع تحت
أنصارنا . ولا وهداً محببة تمر عليها . أو حلاً مشحمة بشق لى طريقاً فيه .
وبقينا على هذه الحال ونحن نقطع دروباً تحف بها الأشجار البسقة
حتى بلغنا بعليك ، وهى مدينة فيسقية قديمة . من أقدم مدن العالم .
تبعد عن بيروت بمقدار ٨٢ كيلو متراً وتعدو سطح البحر بمقدار
١١٥٠ متراً



شده (نموده) - رد رور عتمة بهی

وتقع بعلك في الجهة الشمالية الشرقية من سهل انتاع الحصيب .
واسمها مركب من لفطين . بعن ومعها رب وبك ومعها وادي أي رب
الوادي ، وقد كانت هذه المدينة في الماضي . مركزاً دينياً مشهوراً . ومحطاً
للقوافل لحسن موقعها . كما كانت قنطرة جميع القوافل العرة الذين تعاقبوا
على حكم لبنان .

وبني المسيحيون فيه معبداً لإلههم بعن . أحاطوه بسور من الحجارة
الكبيرة لحجم . أدمت عليه الشعوب التي وبث الحكم في لبنان كثيراً من
التدمير والتغيير . رحل اليونان بلاد فينيقية . وبسطوا سطوتهم عليها .
أضيقوا على بعث سم " هيو . ويس أي مدينة الشمس . لحسن موقعها .
وصيب مدحها . وحصونة لأرضي التي تحبها .

قنطرة بعلك

كانت بعث قنطرة السكك قبل حدوث صوف . وقد عث فيها
أشوان آدم عليه السلام رمياً بعد صرده من الشرق للأرضي . ثم تقبل منها
إلى دمشق . حيث مات ودفن في أرضي على مقربة منها . ذلك هو
عتقد قنطرة في تلك القنطرة . ثم إن قبيل بعد أن قتل أخاه هذيل توارى
من وجه الرب وهرب إلى بعلك يطلب له ملجأ فيها ، فأمره الرب أن يبي
له هيكلاً . فبناه وهو المعروف بقنطرة بعلك .

غير أن رواية أخرى تقول إن سيدنا سليمان الحكيم عليه السلام . هو

الذى بنى هذه القنعة التريجية . وقدمها مهراً لتتيسر ملكة مسا ، التى
 جاءت من أقصى الأرض لتسمع حكمته . بيد أن هاتين الروايتين
 تقتضيان إلى ما يؤيدهما .

البعثة الألمانية وقلعة بعلبك

بقيت هذه القنعة التى هى من أروع الآثار المسيحية رماً صوبلاً فوق
 قسم الحائط . نعت في سبت عميق . نسي أصحاب الدراسة البكماء عن
 مصر مجد كتبتة الجهل . وأحاط به العموص . ودعت فيه كثير من
 دكريات أسرار الآله التى عذتها الأمم العديمة . إلى أن جاءت بعثة
 ألمانية إلى لبنان في مسهل هـ ثمر . فأيقظتها من سباتها ، ورفعت
 الأنقاض المزركمة فوقها . وأظهرت هياكلها على ما كانت عليه من روعة
 في الفن . وحالات في بناء . قبل أن تنال منها عصف الرياح العاتية ،
 وتلك مديها الرلارل العشرة سنة ١٧٥٩ . فحملت تلك البعثة معها من
 تلك الآثار ما استطعت جملة في ذلك العهد . إلى كات القوصى صدارة
 أطباء فيه . وتركوا ما في مكانه . عرصة لتلف والصبيح وبعث والسلب
 ذلك كان مصير جميع الآثار التى اكتشفت في لبنان . قبل إنشاء المتحف
 القوصى في عهد نور والاستقلال .



قلعة بعلبك حداد

شهرة بعلبك

اكتسبت بعلبك شهرتها من قلعتها العجيبة العربية . التي تعتبر من
أروع ما بناه الرومان في عصر مجدهم . وسط حدائق عشاء . وهي تتكون
من يهوس واسعين . وهياكل عديدة لجوبيتر . و - جوس . وفينس
وعبرها . يأتى إليها السائحون من جميع أنحاء عالم لرؤية أطلالها المارسة .
وأعمدتها الستة الضخمة . التي تذهب بالارتفاع حتى استطاع السحاب .
وقاعدتها الأنيقة التي تنهر الأبصار بعصمتها . وحمل هندستها . وروعة

التي تحيط بها . وصحافة الحفرة التي وصفت في ما قبل ، ويبلغ
 طول بعضها ١٩ متراً ، ارتفاع ٤ أمتار ، وسطح ٣ أمتار . ويرى الواحد منها
 ٦٥٠ طناً وهي مبنية على مساحة من الأرض تبلغ ٤٠٠٠ متر مربع
 هذا ما رواه الدليل المرافق لنا عن هذه القبة العظيمة التي ملكت علينا
 مشاعراً

وقفه أمام القبة

أمام هذه هي كل مناعة التي هي صدى الماضي . وعمود على
 عصمة العصور الالهية . وفيه تحمل أثر تركه لربها في ربوع سال حلالاً
 على الزمن . بهراً بعددات الدهر . بعد ما عشت به أيدي المتحيزين العرة
 من عرب ورك وفرنسيين . فقد قبل العروب بحبل احرق فيها .
 وتأس في محراب دحوى إله العمر حدها ، لذكرات وهو يصب عصير
 نية الكرم في كأس يتوج رأسه ، كليل من السلاب قد أسكرنا حمل
 مدسه . وروعة من الساء في أعمدة . ودقه استارة هيكله بأعمدة الستة
 التي تحيط به . وبه حيث به من نقوش هي آية في الروعة
 وفي دحل صومعة ميسر إله الحب والحماة وقفا حاشعين ، بها يوم
 يحم على هيكلها سكود الموت . وكادت في الماضي تزجر بالحياة . كك
 يرتكب فيها ، سم السنين من الموبقات ومحرمات في الموسم والأعيد .
 حل كان كل شيء حول يشعرون برهبة المكان وروعته . وبملاً قلوبنا

وحشة ، ولكن برعم كل ذلك في قبة بعدك ، فتحت قبلة السائحين ،
وعط أنصر عشاق لآثار القديمة . يأتون إليها لينووا من فيض معين دلت
الذي لا ينضب

ود دخل الدين المسيحي من اعتنق سكان بعلبك البصيرانية . فمع
الإمبراطور قسطنطين عدة في هذه هي كل . وبني على أنقاض معبد
الزهرة (ديموس) كنيسة تحمل اسم العذراء مريم عليها أشرف السلام ،
كما في الإمبراطور نيودوسوس من بعده كنيسة أخرى على أنقاض ديكول
كبيرة . كان للمسيحيون بقبولهم شعائرهم نسبة حتى تمنح للإسلام
سنة ٦٣٥ ميلادية . فحول العرب . وأما في قبة حصينة بصرى بوقع
بعلبك أخرى . بأن عمدوا إلى برج لأعمده لأثرية من مكانها . ودكو
سرح وسو حجارته سوراً كبيراً فوق قواعد تلك الأعمدة . وقد كشفت
العثرة الألمانية آثار الكنيسة عند التنقيب

انقلبا من هذه البقعة التاريخية إلى بركة . لا أنشئت منها اسم
برلال . وما سمع بسدة عن تاريخها قديم والحديث من العلم أني طوس .
وكنه يدور حول قصص هي شبه شيء . لا ما حير خرافة منها بالنقص
الواقعية ، إلى أن قال . إن النساء نصيب الأسد من هذه القصص .
لرغمهن أن التروى في منها . بحسب من السعد وببينهن ما يشتهن .
ثم إن كثيراً من الساعات لأحسبت . يفصدها حصيصاً هذا العرص
قالت سلوى : وهل هذا قاصر على النساء فقط .

أجاب العلم أبو طوس . هذا أمر لا يرتقي إليه شك .

فلجلال جمعت سلوى حذاءها . وشمرت عن ساقها ، ونزلت تحوص
 عياب ماء بركة وهي فرحة حدة .
 آثار مظهرها وهي على هذه الصورة صحنكاً جميعاً وآمناً بأن الحرفات
 لا تزل تسيطر على عقول بعض الناس مهما تنبع درحة ثقافتهم .
 فقد جاءهم أبو ضوس أنمى لك حصاً سعيداً يا آسة .

منتره رأس العين

بعد أن قصيباً في تلك المقعة اشرجية رهاء ساعتين برفقة الدليل ، وهو
 يشرح لنا كل ما جرى عنا نشأنا بأسلوبه المسمى لطريقه ، غادرنا إلى
 منتره رأس العين شهير . وهو أهل منتره في تلك المقعة . فرأينا جموعاً من
 الناس محتشدة في تلك المروح النجباء حول العين . وقد افترشوا الأعشاب
 وتقيأوا على الأشجار دواب الرثعة نذكية .

وقد شاهدنا هناك أضالاً آثاراً مع قديم يرجع تاريخه إلى سنة ١٢٧٧
 قصيباً ليلتنا في فندق نخور العين في ذلك الحوادثي ونحن نستعيد ذكريات
 تاريخية قصصها عيب . أميل وأسامير عريه رواها لنا لا تخلو من الطرافة .

رياق

عدنا من منتره رأس العين الجدل بآيت الجمال في الصباح الباكر

Figure 1. The structure of the model.



وسرى في طريق وسط سهل القنق الخصب . أدى أبرره فيه من
مصدر الحدب . بساكنه على مدى النظر . وقد تثرث الأشجار المسنة
عوقه في كل مكان بدون نظام . إلى أن وصل إلى ربات . وهي متقى عدة
صرق حديدية كان غاشاً كبير في الماضي قبل أن تعزو السيرات جميع
طرقات لسان .

وقد كتست ربات شهرتها من مظهره الخرى القديم ويقوم على
مساحة وسعة من الأرض وهو من أحسن مصرات الشرق لعربى مرود
والهجرة وآلات الحديثه التي تحتج إليها لمصرت الحريرة اسود وقد
لعب مطار ربات في الحرب الكثرى شابة دوراً هاماً في محيط لأعمال
لعسكرية وخربية

اشتوره

هبط اشتور الشمس وكنت الشمس في روح انشاء . وتقع في
جهة شرقية من مدينة رحدة على ارتفاع ٩٠٠ متر من سطح البحر .
وتبعد عن بيروت بمقدار ٤٧ كيلو متراً . عسرت سيرت تمهأدى على
طريقها الأملس لرحب لطيف بين فوج من الناس ، غلب عليهم روح
المرح والسرور . إلى أن حظنا رحالنا أمام دمعها الذى يتعجر من صخور
صيدة فأنحدنا لنا مجلساً بانقرص منه . وحوالنا الحماثل نورة انطل وقد حمتنا
عصاها التي لم تقو العواصف إلى إحداء دمعها من نظرت الشمس

التي كانت تسرق إليها . فكما نحدد المطر في ماء هـ الحدول البارد وهو
يرجع في سيره فوق الحصاء في قدة نصبق حياً وتنع حياً آخر . أتروى
سماتين وحدائق التي يكثر وجودها في تلك النقع .

وتلعب اشتوره دوراً هاماً في توجيه دفعة لشؤون لسياسية والاقتصادية
والثقافية في الشرق العربي . فيلتقي فيها كدر رجالات العرب . ويعتقدون
احتماءهم في هدف مسكني الشهير . لتشاوور في الأمور التي تهم الشرق
لعربي . ولإبرام المعاهدات . والمبحث في غير ذلك من الشؤون . كما
يقصدها العرسد ويراون في هد الحديق ملهى بالدكریات .

وتطالعك في اشوره في كل صباح ، صور تنطوى عليها حجرات
هد المديق . التي لا تحو من قصص طريقة . ينقصها عليك خدمه
أسلوهم التي من حيث لا تدري .

ورد هـ المديق ريدة حاصته . فتغشا في أرجائه بأبد من المشرفين
عليه . إلى أن وصلا إلى بهو واسع حافل بأفخر الأثاث والر . ش . كست
حداياه صور كثيرة تمثل جميعه دكریات اجتماع رسالات العرب فيه

وليس بغريب على بلد مثل اشتوره . هي ملتقى عدة صرق لا يتقصع فيها
سبل السيارات الفاذايات ارنحات . في ساحنها التي تصلها أشجار
الصفصاف ، أن تتعدد فيها المقهى والمطاعم والمقادير والخوايت التي نعص
بروادها في قرات معينة من السنة ، تنع أشدها في فصل الربيع والصيف
تسبب يشيعون فيها حواً ميثاً بصرح والسرور ، حتى لتمتد اسهرات
والحفلات في ملاهيها التي تقام فيها في شتى المناسبات إلى مطلع الفجر .

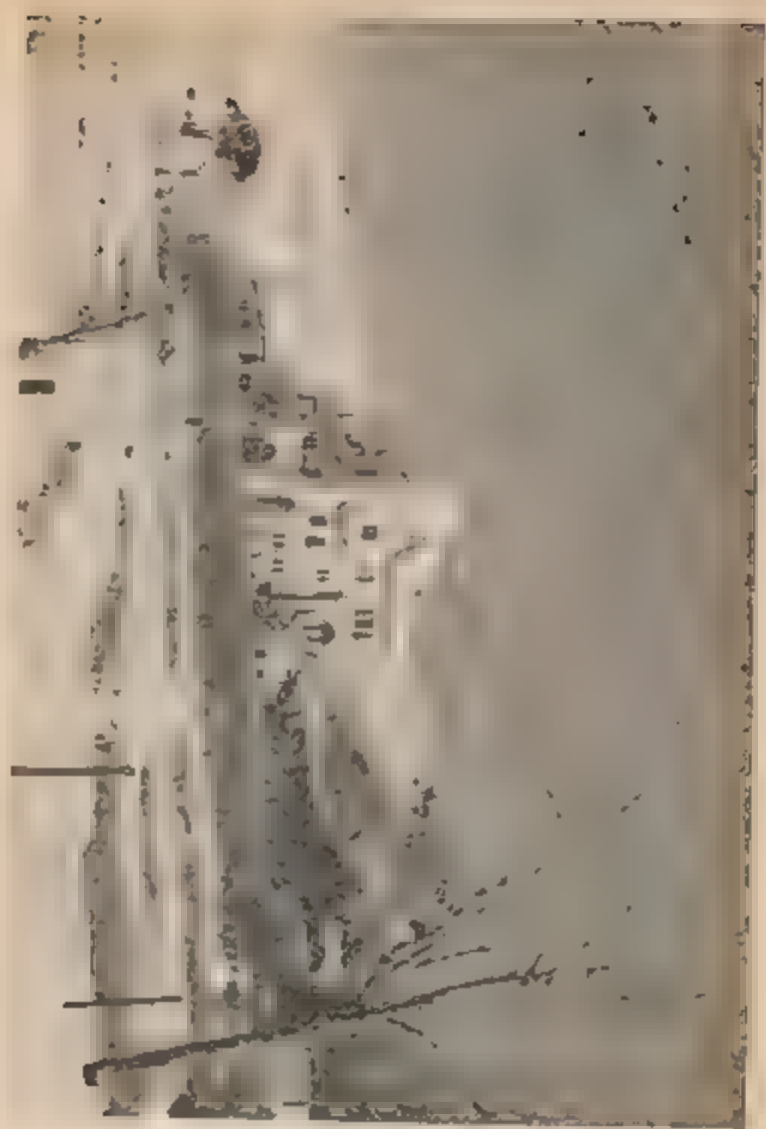
جلايتنا

لش ما يقرب من ثلاث ساعات ونحن ننقل في أرجاء اشنوره التي
تكتظ بالذين تطيب لهم لإقامه فيها إلى أن يصرف عنها إلى حديت ، وهي
قرية صغيرة ليست بها شئ يذكر . وإنما نكثر فيها كروم العنب
المتنوع الألوان ولأشكال . ويقطرون من عقيدته الكبيرة حجم ، الشبيهة
المطر . لديها نضج عرق تاحر . ويعصرون منه سيد الحلو لمذاق .

المريجات

كانت السيرة ترحف فوق طريق قمس بضيء الانحدار . في منطقة
نعو سطح بحر عمق ١٢٠٠ متر . من ماصق بهاب التي تطلع في
الشمس ألواناً سبعة من ألوان حمام . في ضريحته إلى أمتع مصيف لسان
وأكثره راحة ، سلاهي والله هي والكاريبات

ولما شرفنا على ربة نضل على المريجات . وهي تضعير مرجح ، سميت
كذلك لوجود مروح حصراء بصره فيها . تسرح فيها قطعان الماعز وفي
أحدها أشرفيه بها كروم العنب . لا يشوب حوها صق الأديم العيوم .
التي تحجب . يحيط نمت الشح من حرج . أحدث عيوب تطاير إليه ،
وإن ما حول من الأحرار التي هي زينة الحب ومهجتها . ولكن يا ترى



هل يرى الناس هذه الصور المبهجة ويلبسون فيها آيات من نبي يعجز
أكثر من أن يأتي بمثلها !!

ضهر البيدر

تلك تصورات حالت في حاضرتنا ، ونحن نواصل سيرنا في طريق
حديقة الانحدار إلى ضهر البيدر ، وهو محط رياضة التزلج على الثلج
في فصل الشتاء . يقصده المستنوب في هذا الصرب من رياضة لقرنه من
بيروت ، إذ يعد عنها ٣٥ كيلومتراً فقط . ويبعد ارتفاعه ١٥٠٠ متر
أوقف سيارتنا في النادي الرياضي حيث استرحنا بعض الوقت ، فعلمنا من
بعض النازليين فيه أن الثلج في فصل الشتاء يعدر تلك القاع ، فيسد
لمسالك والطرق . ويتعدى مرور السامة والسيارت وشاهدنا في أثناء
سيرنا فوق السكة الحديدية وقد شق في حوف جبل انتصبت الصخور فوقه
كالقلاع الخبيرة وقد قلت أهمية هذا المنق اليوم . بعد أن تعللت انقراض
الحديقة في جميع نطاق لسان . لنفسح لها محلاً لمسيرة الأيقمة المربحة .

حمامنا

بدت لنا حماما المربعة في صدر الوادي الذي يحل منها في المساء
كعروس مجلية فوق عرشها . تحتل وسط الأنوار المكهر دنية . التي تنبعث

فيها من كل مكان . فتندد حدها بظلام حتى كره صبحها قد بدأ يترحمي
على الأشياء .

وكانت شوارعها تعج بالمصطافين الذين يستهويهم ما فيها من متعة .
وفتنة . وقد خرجوا في مثل هذا وقت لاستنشاق الهواء العليل . وتمتع
بملاهي الساحرة .

ويقع في أعلاها الشاغور . وقد حصد ذكره كثير من الكتب وأشعره
الذين رآوه . كما تعني نعمته تسر نرسى لأمرين وبعمته لأودى
الحرين

شقياً . شاهد الشاغور . قدس إياه في يومه في مسكون .
وكتب ماس قد سبقوا إليه . وشروا في نقاهي ومصمم في حبه حافيه
نظيهم لأشجار المسقة . التي قامت فوق الضور فوق قممها تستنقش
الصباح لمهج بأعريدها خنوه . وكأني بها ترحب بالذي دمى . ورحو لهم
طيب الإقامة في هذا الوادي غمان الحبل .

وش . ما أثار إعجاب مصر ذاء . وهو يحلر في هوه حقيقة . نقر له
في قلب صحوره مرور الأيام . محرى سيل فيه إلى عذبه . وكان الحلاسول
حواه لا يسدود من رده الذي يشره على الحبيين . وهو يترجم في أشاء
الحدارة بأحد خلود . يستلهم معانيها من صيغة الضحكة التي انتصت
فوق رماها لأشجار المسقة . والتي تسرسل أعصها في التضميق طرباً
كلما هزها النسيم .

لقد اجتمع لودى حنانا جمال الشواطئ . وروعة الجبال . وحلال

المهوب . فهو أروع مظهر يرى الإنسان فيه بديع صنع الباري . إذ لم نر فيه ثراً من آثار الحرب التي ألصقتها فيه لأمريين روراً وهدماً ، بل كان كل شيء حوالياً يشعرنا بالجمال الإلهي . ويتلأ قلوبنا بالبهجة وسرور . ولا سيما في نبتى القمرية عذبة يبرز القمر من صدره زاحفاً على أطلال النهار ، ويتسلل نوره من بين ثغاب الأشجار . إن لى ذلك آيات الجمال في لبنان . تستشأ رايه فوق الشجور وأحلام الطرف منها . فبانت لنا بقم الجبل ووديد والتقى مشجرة في كل مكان . وعدت الصور التي يكثر وجودها في تلك بقاع . فيمر ضوء حلالها فتشقه بدورها في هذا لمصيف الحميل نقياً . فيه شدة لمصنوع . التي يفرحها اليأس برحاء الشتاء ، والصحة الكمد بعد طوب امريض وانعاء .

فالوعا

تكد القري مسديه تكون ملاصقة . لا يفصلها عن بعضها ، إلا جلود وهمية توضع عليها الناس فهناك بالقرب من حد تقع قرية فالوعا على السطح عرني جبل كنيسته . على ارتفاع ١٢٠٠ متر عن سطح البحر وتبعد عن بيروت تقدر ٣٣ كيلو متراً

احتارت سيرنا في وسط هذه القرية . وكنت نكتظ بالمصطفين الذين يستهويهم ما فيها من عابث تصوير الحميلة القديمة لأيام . وهي تحيط بها إحاطة المذلة بالقمر

ولا يقل ملاح فالوعا في حدوده عن باقي القري المسديه التي تجاورها .

فهوؤها عليل . وماؤها عذب . رد عريز . وفي كهف شبيهة . وحصراتها
نضرة ، ومنتجات ألبانها للذيذة دسمة مقبلة . وشهرها فيها بيع الصحة .
يرشدك إليه أى شخص . ويقربك لك ولحجر يملأ فؤاده . إن منه ما فيه معديه
تليس أنفع منها للذين يشكون من أمراض الكلى . حقه إن يبيع لسان التي
تصجر من الصحور لا مثيل لها في نعم في شدة لأحدها .

صوفر

وتقع وراءها نوعا فرى كثيرة معتقة فوق الحد . أحد أهم أبو صوفر
يسرد أسماءها على مسافة . وقد كل واحدة منهم تحمل طعماً خاصاً من
صوبع الحمام . وكتيب بوصفها دون ريز . وعدد أدرج إلى صوفر
في تعدو سبع سحر بقدر ١٣٠٠ متر . وتبعد عن يربوب ٢٧
كيلو متراً . وكان الليل على وشك أن يوعلى في شدة فتصيب بالثبات في صدق
فيها . وفي اليوم التالي مرق في شارعها الرئيسي لدى تحيط به الأشجار
الباسقة على الجابين . وهو نمشة منزه يكتظ دائماً بالمصطافين . على أن
صوفر مصيف هادئ . هوؤها حار . ومناخها حار . ربيع . ودورها حمة
لطيفة ، تتمثل فيها أيضاً لمصر الضيعة المندبة التي قلده حلوق قريباتية منها .

بحمدون

كان مرور بحمدون التي تعلو على سبع سحر بقدر ١١٥٠ متراً .
(١٤)

وتبعد عن بيروت بمقدار ٢٥ كيلو متراً في الأصل . وكانت اشمس قد
ألفت حيوضها الذهبية على الحدائق والنوديين التي تصل عليها . وكروم العنب
المتعددة الأصناف التي تحيط بها من مزارع شاسعة . وحدائق الفاكهة
التي تزين كل بقعة فيها . فتطلع عليها أرباباً من الحمام . تبعث في
بقربها من الإحساس بسحر تلك المناظر التي تشيع في حماتها الروعة
والجلال . وتشتغل في الشغور صوراً تمثل لك مدى ما نفعه هذا المصيف
دي مسح لحاف من الشهرة . وما متارت به المناظر الطبيعية فيه من تناء
أحسب بها وبحر بصوف في تلك الصور حتى الغاية ونفع المصير بقطوفها اللذيذة
قصصاً ببقية يوم . وبحر نبحون في حمدون تحفة . فزربا فيها فنادق
الأماسادور وهو من أشهر فنادقها . وأفضلها . وتقف على قدم المساواة
في رونقها . وجمال موقعها . وجمال استعدادها . مع فنادق الدرجة الأولى في
مصر بلقانية شهيرة . وبقي في هذا الفندق وفي سواه . كبار
الشخصيات والأثرياء وسوهم من المصنفين الذين يقدون إلى هذه البقعة
الحمدية . ليستمتعوا بسحر منظرها وطيب هوائها . وفي كهنها الشهيرة وخاصة
عندما

وقد أعيد بناؤها بحسب أحدث الأساليب . ومعدة بكهنة . وعلى حاشية نهرها واماها واخواتها . رأيت
السكة الحديدية وهي تحرق حمدون الحصة متسقة بحسب . فكان مصر
القطر وهي نهت متوشة فوق القصاص الحديدية . وتحت دحرجها القاتم
بملا الحو في صريفها إلى من المصنفين والحبيب ودمشق . لم أروع المناظر

قد اقت اليوم أهمية هذه السكة الخديوية بعدد عرفت لسيرة طريقها
إلى جميع قرى أساب .

عاليه

استقبلت عاليه المدينة بمحور الضروب بعد العروب . قدمت له وهي
رابضة على الجبل يصل على شاطئ البحر بدور الخمينية . ومادقها
المحكمة ، وحد ثقتها العناء . وملاهيها العديدة المتعة . كعادته هيئات تميس
في ثوب أرحواني قشيب . جعته عينا لأبور كهر دثة اسامعه في تسح
فيها وتثع من متديتها في تنصر عشق نايي حمر بين سنويها
في هذا الصيف من حمار ومتعة ودية

فصدنا فنادا سرحا فيه بعض الوقت . ود تدمر من صمد اعم
أبو طموس في حوة في الشرح رئيسي في بحر قها . فساد على
حانيه المدهي . وملاهي . وحالات الرقص . وكسريات .
والصادق المحكمة . التي لم تألف رؤية مثلها في قرى لاصضياف لأحرى
تي مرورها . وقد كتفت دوفدين ساه في صدر بين . لقضاء
سهرت متعة متحررين من فود هذه خرد في حبس . ويعودوا في مساهم
أو تخلفهم حدين نوافص مع خصاص

وقد لاحقه أن هذه ملاهي وكثرة رتق من بيروت إلى عاليه في
فصل الصيف . تدمر لمدرددين عينا بمرح مسية . وحفلات شائقة .

ورقصاً خديعاً ماحياً . يظهر الرقصات فيه على المسارح بأثواب شغافة
تمسح عن كل شيء تحتها . إنها المديبة الزائفة ، بل الحرية الغالية التي
يشدها طلاب المسرات عن هذا الطريق المليء بالأشوك . ما أودع الثمن
وما أرحب الطريق !!

وتبعد عاليه عن بيروت بمقدار ١٥ كيلو متراً فقط . تنقصها السيارة
في طريق متصاعدة واسعة مفروشة بالأسمنت . تحف بها الأشجار على
الحايس . في أقل من ربع ساعة . ولما اتحدتها الحكومة مقراً رسمياً لها في
فصل الصيف . ومعها رحاب السترات والتقصيات وكسر رحلات
المدون العربية كم بصطاف فيها أبصاً رئيس الجمهورية .

ملاهي عاليه

وتحتد ملاهي عديّة في فصل الصيف أشهر المعيين ولعبات .
والمدنين والمسابقات . والممشين والمثالات . والراقصات لإحياء الحفلات
على أشهر مسرحها . يترفيه عن أصحاب الثروات الذين يصيقلون درعاً تما
معهم من من لا يعرفون كيف يشقونه وهكذا تدور الثروات الطائفة في
عديه لمصيف الثمن . يدى يفوق عملايه وما تقدمه من برامج شائقة
أعظم الملاهي في العواصم الكبرى . أما ميل السيرت . فلا ينقطع بين
بيروت وعاليه . لا ليلاً ولا نهاراً . ولما تصل صرقها مكتنصه دسيران التي
تلاقي صعوبة داعة في شق صريقها إلى الجهة التي تقصده

أشهر فنادق عاليه

تضارع فنادق عاليه بفحامتها وحسن موقعها وبصفتها أعظم الفنادق العالمية . غير أن أشهرها فندق طايوس . من لا يعرف هذا الفندق الذي هو ملتقى كثر رجال المال والأعمال . ومحط رحل المسلك السياسي والفنصفي ، وكبار موصي الدول العربية . يتسامرون فيه ويتشاورون في شتى الأمور التي تهم الشرق العربي . وإلى جانب فندق طايوس يقوم فندق الجبيل وفندق شاهين . وقد حرص أصحابها على أن يجعلوا منها أحسن الفنادق العالمية وأكثرها رحة لتراين فيها . ربما هذه الفنادق هي تكتظ بكبار الشخصيات الذين يشتهوهم ما فيها من أسباب الراحة وضروب التسلية .

البيسين

كان لراماً عينا أن يروى البيسين . وقد شرف في معرض الحديث عنه ما سمعناه من أحد الصحفيين الذين قبلناهم في فندق طايوس صدفة . فقصدها في المساء لمقضى سهرة ممتعة فيه . وهذا هو نخب مقبرة الملاهي العلمية ، لسعة مساحتها ، وحسن تسيقه . وجمال هندسته . التي شرت في تصميمها كبار المهندسين . الفرنسيين والإيطاليين والبلجيين .

ويشرف لبسين على الشاطئ المسمى القنات . فتبسط تحته بيروت
 وهـ يحف بها من القرى والمدن كمنظرها الصيفية الممتدة .
 اتحدنا بمجلساً في الحديقة الجميلة التي يربحها حوض السباحة
 تتأوى صوم عشاء على أقدام الموسقى . وكانت الحديقة تموج بالوفدين
 عليها . وقد تدت فوق مقاعدهم لأشجار الكهربية الساطعة . وكانت
 تفرح بأصواتهم وريق النجوم . فتحيل هلمة الحداثة إلى بهار وكان
 اسمهم يدعج صفحات ماء . فيتأوح بدلائل تموجاً فيه بحر وفيه حمل .
 وقد تقدم بنا الليل . تنقل أسرار إلى اسمرح . فتتقلد معهم . فتهددنا
 على حشيشة تمثيلية بتقوى أدوارها كمارسائين ومشين من الحسين .
 وهكذا قصيدته سهرت في جو البسين القنات . حتى مطلع المنحدر . فعدده
 وتتر منصر حتى هيمت عينا لم نعب عن محالنا .

سوق المغرب

كانت نفضاً عن ضائقة في صبح هادئ . تعطره أسرار المنعشات . فسارت
 بنا السيرة في طرق واسع منروش الأستات . تكتنفه لأشجار على الجانبيين
 شأنه شأن جميع دروات المدن الخفية الحديثة . دت مدصر خلافة العناسة .
 حتى شقت وسط الحداد الشاحمة . وكانت الشمس ددك في صدر
 بروعها . ترقص فوق تلك الرق . ترحبها عن لعين من حين إلى حين .
 عبوه شدة عذره . كانت ترقص في سربا . وكان اسم العليل يرحي

إلى أنوف الروائح المسكية . وهو يهدد الزهر لدى بور بين الصحور
ولأدعاب .

كانت أول قرية مرربا بها هي سوق العرب . ولعنها سميت بهذا
الاسم . لأن سوقاً كانت تقام فيها للمستحبات المسكية . وتعدو سوق العرب
عن سطح البحر بمقدار ٨٠٠ متر . وسعد عن بيروت بمقدار ٢٣ كيلو متراً .
وهي ذات مناخ صحي . وموقع جميل . تشرف على بيروت والبحر الأبيض
المتوسط . تكسوها أشجار صنوبر . وتزين أرجاءها دوارب من
الخشبة فوق الأرض وقد أحمت تحت أوراقها حملها الثقيل . وترصعها حدائق
لما كنهت بها فيها من أشجار يعمرها الصبح تبيض من نوره نواض . كان
يملاً قدوباً بشوة ورصى

ويقوم على حاشي صرافات هذه القرية مصاءء بالكهرباء . والمتروكة
بالأسمنت . الخوايت والحدائق الجميلة . وشبهها فندق كمال الذي تقدم
فيه مسابقات اتحاد ملكة الجبال في لبنان . كان يود أن يحضر حفلة
من تلك الحفلات . لمشاهدة قتيل لسان وهي يرقل ملابسهن شفافة .
التي تمسح عن كل عضو من أعضاء جسمهن . وهي وقفات أمام
هيئة المحكمين ومن حولهم الناس يشاهدون هذا مسرح التريدي في نوعه .
ولكنهم هم أبو طوس وهو المصحفي المحصر . قد أرحا من مشاهدة مثل
هذه الحفلات . فخرج يصف له حثمة شهداء بتمه فقد

حصرت مرة اتحاد ملكة الحمام في لبنان . فرأيت محكمين وهم
بشر مثلي ومثلكم . قد وقفوا يتعجلون في لأبدان . وهي تمايل فوق منصة

كأعصان النخل. وقد تربع في صدر كل وحدة من وحدات المتساقطت
حقن. كأنهما رمان. ويقحصون أوجوه وقد طببت بطنقة من الأصباغ
والمسحوق التي هي من مستلزمات الحمام. ثم راحوا في المهية يتامسون
الحمام في ناحية أخرى من الأحساء. ألا وهي السيفان وكانت كأنها
بصيد حمام. وكان المحكمون يدفعون خطر في تلك التماثيل الحية،
ويتحسسون بعض الأعضاء ولا أوه عليهم. ويقبسون بعض الآخر. وقد
مكثوا على هذه الحب مدة وهم يدفعون لصفقة على جميع الوجوه. وأوشك
التميمات صدمات ناسيات الشعور وهم في معرض الجمال متعة للناظرين.
ولا تقتصر بقية مميزات تتحب ملكة حبيب على سوق العرب
فحب. وإلى تتعددها في بعض قرى الأصصاف الأخرى. التي تنفرد
بامتيازات ودور للهو. فيعشدها عشاق الحمام. وظلال اسمرت
ويقع وراء سوق العرب واد حبيب. يتسع حاداه حياً. ويصيق
حياً. وشهر متهرمت هه لمصيف الفاتس. عين اسيدة. والحرش.
ويذهب إليهما الناس للتمتع تد فيهما من حمام. فاد حطته يد اصيغه
على تلك الربوع.

شمالان

وتقع جنوب سوق العرب قرية «شمالان» وهي قرية صغيرة. تشرف
على البحر الأبيض المتوسط وتوسط تحتها مدينة بيروت. وكثير من

انقرى والدعاكر . احتدرت سيارتنا شوارعها بدون أن تشه ها . غير أن
 العم أبو طوس لفت نظرا فبإلى معهد جميل خدسة . حس الموقع .
 تحيط به حديقة عناء . يدل مطهره على عظم أشميته . يتحرج فيه كدر
 رحاب السلك اسباسى انريطانى . ميس يعسول فى الشرق الأدنى فقد:
 أنشأ الإنحير فى فلسطين سنة ١٩٤٤ يوم أن كدت تحت الانتداب
 البريطانى معهداً أطلقوا عليه مركز المدرس العربى فى شرق الأوسط
 وقبيل نهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين . نفت ورره خارجية
 انريطانية مركز هـ . المعهد . الذى هو تحت إشرافها فى قرية شمال
 بعده وافقة الحكومة المسببة . ولم يعلم ماذا احذر انريطانيون قرية شمال
 بددت . مع أم قرية صغيرة لا شأن يذكر هـ .
 وترسل وزارة الخارجية لريصية إلى هذا المعهد شتاً من جميع أنحاء
 المملكة المتحدة . من كندا . واستراليا . ونيوريسد وغيره . فيتعلمون
 اللغة العربية قراءة وكتابة . وتاريخ المذاهب العربية والإسلام . فى مدة
 الدراسة نى لا تتجاوز سنة . يتحتم على الطالب فى أثناء لا يتكلم سوى
 العربية . وقد تحرج فيه عدد كبير من اندلوسيين . يشعل اليوم أكثرهم .
 ماصب هامة فى اسلك اسباسى فى شرق الأوسط .

الفصل العاشر

دير القصر

ترك شمالان ومعهدا لهر . وست نشأ سيرن في طرق معدة بالأسدلت
 فردن بكثير من لقرى . وبعد مسير ساعة من الزمان . وسيارتنا في هبوط
 وصعود . وألف ودوران . حول الأكوع وسحبنا . بدأنا ودوسع
 عرصنا . يذهب في نعور إلى مدى بعيد . تنبص حوائه بصرة وحصرة ،
 شرف عيه رابية حميه . ينصدها الأسس لمرهة . قد كدنا بحنازها . حتى
 ظهرت ما دير شعر . بيوتها المشيدة على منحدرات رائعة . تطوقها عداوت
 النصور وكروم عنب . وتعلمو دير شعر عن سطح البحر بمقدار ٨٣٥
 مترا . وبعد عن بيروت بمقدار ٤٥ كيلو مترا

طفا في هذا المصيف الجميل . فشهدنا القصر المعروف بقصر
 الخرج الذي بناه الأمير فخر الدين المعني الثاني بدهاليره الجمية .
 وسراييه العجيبة التي تشبه معراستها أساطير ألف ليلة وليلة . كما رأينا الجامع
 الذي بناه الأمير يوسف أحي الأمير فخر الدين . وهو من الآثار الجيلة
 التي تركها الأمراء المعينون الذين حكموا لبنان .

مرود بعدلند بمشيه البدييه دت اموقع الصبغى الخاق . وقد عرست
 فى أرحاشها أشجار من صمغ صوف مخرج تصور تدت أعصابها فوق بركة
 ماء . حنعت على الملك مطراً بهيجاً يمس كل من برها . وبعدلند تنقب
 إلى ميدان فسيح لأرحاء قيل لها إن القوس كسوت رول فيه فى م
 لأمرء المعيين وأشباهيين .

شورخ دبر القوس بصفه وسعة . مفروشة كنها . لأسفت ومصاه
 بالكهرماء . وقد أقيمت على حاسبها المدهى وتندفق من أرحه لأون
 والخوايت التى بعد لمرء فيها جميع ما يشتهى أما نوع المشاوش فهو أشهر
 ينابيعها . يتدفق مؤه بعرة من فوه موسير وسعة دفيا هذا الماء هذا
 هو رد عذب مثله مثل بقيه مبه أسال

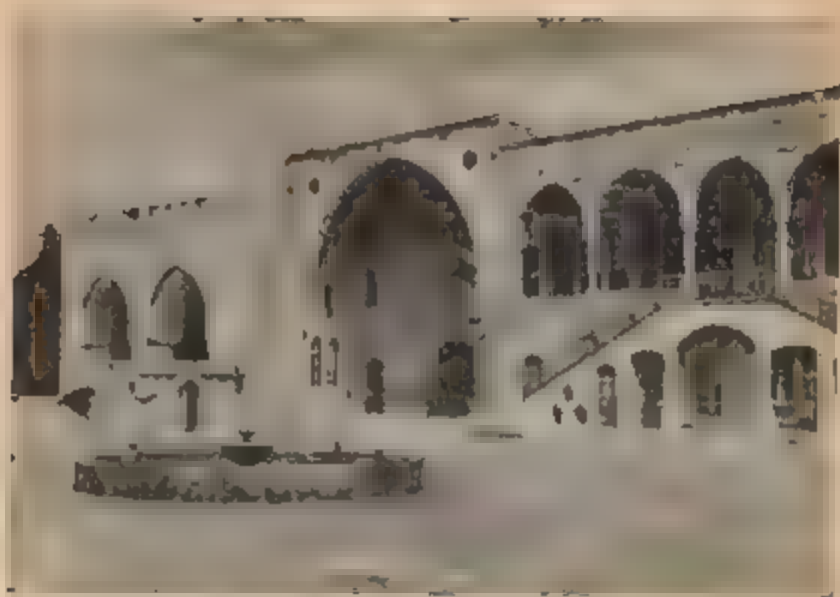
غابة الشربين

رون فى أعلى هذ مصيف عبه اشربين التى يملع عمر بعض أشجاره
 مئات السنين . وقد تدنقت أعصابها لقاهم عهد . ولا تقبل عنها حملا
 وروعة عبة الحسوير الكثيفة لأعصان . دت أرحه العطرية التى تسعت
 منها عندما يلامسها الريح .

دير سيدة التلة

سلكنا بعدئذ طريقاً تحف به الأشجار . يوصل إلى دير سيدة التلة
لرهان لمورثة . القائمة في مكان مرتفع عن عين الصريق المؤدى إلى بيت
الدين في وسط التلة . في جداره القبلى حجر كبير عليه صورة تشبه
انقر في شكلها . قيل لنا إنها وجده في دير قديم ، ولذا أطلقوا على
هذه القرية . التي لعت دورا هاما في تاريخ لبنان السياسى ، دير القمر .
وفي رواية أخرى قصتها عينا أحد شيوخ التلة . أنه عندما تولى الأمراء
المعيون الحكم في قضاء الشوف . عثر المصري على أبقاض دير في عابة ،
فأحسوا بعيدون سبانه في الليل على ضوء القمر فقبل لها دير انقمر . نسبة
إلى هذا الحادث .

و دير قمر مساحتها حاف حتى . وبفصلها عن بيت الدين التي تعلو
سطح البحر بمقدار ١٠٠٠ متر وعقلين واد جميل . طوت سيارتنا طريقه
المسوح بين الأشجار ذات الرائحة الدكية ، إلى أن برز أمامنا بناء على
الأركان . شرق الهندسة . شيد فوق رابية تشرف على الوادى ، وحواله
لقرى والمدسكر القائمة فوق الروابي والمرتفعات تحيط به صخور قد نبئت
الأعشاب بين شقوقها حتى تمت وصالت .



نصف بيت الدين مع ريس الشهيرة

بيت الدين

دلت بيت الدين شهرتها من قصرها الذي ربحه الأمير
شير الشهابي الكبير في أوائل القرن التاسع عشر بتشييده إلى قبابين من
دمشق ، وقد قصوا في بدنه حوض عشرين عمداً ، حتى جاء هذا القصر
المليح بأروقته المنصدة ، وقده لمروعة عنه ، وعمدته منساء ، وثراحه
لمربعة ، تحفة في فن البناء ، وآية في حسن الهندسة ، ومثابة بعض ،
يريد في جماله الأعشاب المتداخلة في شقوق حوائطه ، ويعتبر هذا القصر

على حدثة عهده من آثار مبادية الخدمة التي يتحدر بها الماسايون
وقد احدث الحكومة سياسة حرة من بلحاخ المخرجي في هذا
انقصر . وحدثت منه شبه متحف . رتب فيه كثيراً من أنواع الأسلحة
ونصور وذكائب وسوى ذلك من الأدب التي يرجع تاريخها إلى عهد
الأمراء معينين وشهابيين .

وقد اعتزل الأمير بشير حكمه في سنة ١٨٤٠ بعد مؤتمر أوروبا .
حين أحترته الدول الأوروبية على ذلك ، فشد رحاله إلى مالطة ، ولدا
بصشوب عيه الأمير بشير المناخي . وبرب في حدة أنطونيو مصيف حاكم
خربة مع وديه الأمير أمين والأمير خليل سدين رفقة في سنة
ثم تركها بعد سنة قريباً إلى لإستانة حيث مات في ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٥٠
وعمره ٨٧ سنة . ودفن في مقبرة الأرمس الكاثوليك في بيرا .

صفه بد حاله في قصر برفقة شاب من أهل القرية بإذن خاص .
فقد هو يتألف من ثلاث سايات عيه في الروعة وحسن البناء . وقد لفت بصراً
الميدان المسح الذي كان تدرى فيه الرسائل بالعباب الروسية . والشعراء
وبرحوب في تحود به قريحتهم من بديع العظم . وحسن الإلقاء محصورة
الأمير وحاشيته وكبار الشخصيات . ثم استى المخرجي . واستى الوسطى .
وحسح الحريم والإسطلات التي كانت تأتي منات الحيات المظهمة العربية .
وقدعت الحمام التركية وغيرها فعلمنا لما كراتنا إلى المصلى القريب .
يوم أن كان هذا المنصر قلة الأضر وميتي الرجالات لعصام الدين رروا
ليسا



قصر عبد الحميد في دمشق

وفرنا على رتاح دة خارجي الكبير دينة من الشعر . قد لنا العم
ابو طيوس دة من نعم اشاعر بصرى كرمه شعر الأمير .

وعلى باب الحمى قد أرحوا در عبد ودحمونا بسلا

كما فرنا في قاعة الكبرى . معروفة بقاعة لعمود ونرد دة بالقوش
لعربية المديعة . تلك القاعة التي كان الأمير يقابل فيها ضيوفه من أصحاب
ووطنيين العدة الآيه .

«رأس الحكمة مخوفة لله»

كما كتب فوق الباب من الداخل :

في لإله حراء من بالعدل يرعى عباده
وساعة العدل خير من ألف شهر عباده

وهناك نقوش عديدة منقوشة على الحدود بحلقة من حديد كلها
آية في الحمل وقد ابتاعت الحكومة الملبانية هذا القصر من ورثة الأمير
بشير . وأصبح المقر السابق لرئيس الجمهورية منذ سنة ١٩٤٤ بعد أن
رغمته مصلحة الآثار المسدية واعدت إليه رونقه وبجله .

وقد تحدد الشب المرفق لما . أن السباح المدين كانوا يروون هذا
القصر في الماضي . كانوا يحملون معهم على سبيل التذكير . قطعاً من
الرحم بني كادت تزين قاعه لعمود

وشاهدنا في إحدى حجرات هذا القصر متحفاً للأزياء والاعدت
نسبته التي كادت شائعة في عهد الأمراء وعهد المتصرفية .

ويحيط بقصر بيت المين حديق عاء . رأينا في ركن منها
صريح تحت شمس دوحة للأمير بشير لأوى وأم أولاده الثلاثة المذكور
قسم وحليل وأمن . وقد وضعت بخورها رفات روحها للأمير بشير بعد
نقله من مقبرة لأرمس الكاثوليك في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ .

وقد أثارنا زيارتنا هذا القصر التاريخي ذكريات ماضيات . كانت
تدور كلها حول ما كان عليه من امة وعظمة وجلال ، أيام حكم الأمير
بشير للبلاد . وقد رد أن يحق منه لبدأ كبير ، ولكن المطاعم الأوربية

ولأهواء الشرقية تأت على هذا الأمير . وأقصته بعيداً عنه . حيث مات
ولسانه يهجن بذكر لبدن الذي أحبه ومات بعيداً عنه
وقبل أن يعادى بيت الدين وقف اعم نو طوس في ساحة القصر
وأحد يقص عينا القصة شابة عن الأمير فقال :

في اليوم الثالث لوصول الأمير بشير بن إسكندر بعد أن أرمع على
أن يتحلى عن الامرة المسماة أرسل رؤوف دشا الصدر الأعظم يدعوه
في مقابلة الدب اعلى وأرسل إليه في وقت دته حيولا مضهمة له وحشيته
وقبل أن يتشرف الأمير بشير بالثوب أمام الدب اعلى . سار كاز
رجل الديوب الصدر الأعظم . وكان متعصرا . ينصر إلى العرب بكرة
الأسياء للعبيد ، هل تقوم الأمير للسلام عليه . فأجابهم : كلا لا تقوم .
ولما حل ركاب الأمير في ساحة السرى . واهل بصلته الموقرة .
وعليه العرافين . ولحيته مسترسه على صدره . وقد حصه الشيب . وصهر
بريه الملبى العرفى . يشد وسطه مزر من الكشمير كان قلة جميع
الأنظار . ترحل الأمير عن حوازه ونى الصدر الأعظم بتدومه . فدخل
عليه الأمير ، فما كاد الصدر الأعظم يره . حتى تهبه فخص من مكانه
إحلالا واحتراما . وقرب منه مسما . فخص جميع الحاضرين عندئذ وقد
تملكهم العجب . وأحدهم ندهش من كل ما حدث . ولا سيما عندما
أعطى الأمير بشير مكان صدرة في مجلس . وبعد الصرافه سار بعض
رجل كبار ديوان الصدر الأعظم . نادى بصنم الأمير بشير بعدد كنتم قد
أصبرتم أمركم بعدم الوقوف . فأجاب الصدر الأعظم . شعرت أن في هذا
(١٥)

أرحل قوة أهصتي . وفي لم أر في حياتي هيبة مثل التي رأيتها في هذ الرحل
فقد رأيت في حلال مصره وقوة شخصيته وعصمته أكثر مما سمعت عنه

يعقلين

جمعنا رفقة الطريق إلى يعقلين . وسميت كذلك لوقوعها بين جدين .
شباب من شباب الصائفة الدررية الكريمة . التي تعيش مع صائفة المارودية
في حبل لسان الأشم . على أحسن ما يكون من حسن التفاهم والوفاء .
صرفنا أثناء طريق مع هذ اشباب موضوعات عدة ، حتى إذا عرجنا
في ههنا على موضوع آخره ومغترين . انتقص الشاب من مكانه وقا :
إن ذاء الصخرة الذي استخرى في لسان هو الذي قتله في الصميم ،
وإن ما يتشدد به لسان من أن حبل لسان يضيق بساكنيه ، فهذا كلام
هراء لا يستقيم مع منطق السليم . فقد كان هذ الحبل يستوعب في
القديم عدداً من السكك . يفوق عددهم الحبل بمراحل ، ومع ذلك
كانو يعيشون قديين . وتفاعلتهم كان عناهم وكنت راحتهم .
أذكر أن الرواد لقوا لسان بأهراء روما . فكنت سهوله الحصنة
الساحية منها وحليته . تمددوا بأنواع الخبث في تلك الأيام . التي كانت
فيها صرف المواصلات صعبة شاقة .

وحس الضرر لا تميل إلى الصخرة كثيراً . فأرصينا تمدد بما نحن في
حاجة إليه . فمن كرومنا نصنع الدبس « العسل » . ومن حقونا نحزن

العله وأنوع لحبوب . ومن ماشيتنا بصبع « تقورم » وكما إذا دث قدبلعا
بعقبين . وهي مصيف هادئ . مسحة صني . وهوؤها حاف . ومؤها
برد عزيز . وهي تعلق سطح اسحر تقدر ٨٥٠ متر.

وقد أحزن لهم أبو صوص . أو من بر في هذه القرية وتحتها
سكناً له . قتل بني النورس وقد وفدوا عليها من معرة السعد . كما
تحتها الأمراء المعيون مقر لسكاهم بعد ستخم من دير تقمر

وحيط بعقبين حقول أشجار تربوب اوسعها ولد تكثر فيها مع صر
الربوت . ومصبع حصيون . التي تكاد تكون بدنية في معدتها وأدونها
وتشتهر بعقبين مصدعه لسجاد ونساءات التي يبيعها لأحلام .
وتصنع من وبر الداعر التي ترقى قصده في خرود . غير أن هذه المصدعة
اليوم في طريق الزوايا . تتعمل روح مدنية في قرى لسان كما هو شأن
صناعات كثيرة فيه

ويقيم في بعقبين أحد مشيخ عقل الدرور الثلاثة وقد دسناه مقاسه
خاصة فهد هو شيخ حليل هبة حلو حديث رجب ب وكرم وفدتا

الطائفة الدرزية الكريمة

قد لنا رفيقنا شاب وهو يحدثنا عن طائفته التي تنسب إليها ، أن
لسان هو مبيت هذه الطائفة التي يرجع تاريخ نشأتها إلى أواخر القرن
الرابع هجري . وحدث حين عهد الحاكم بأمر الله صاحب الآراء الحريية ،

والمعتقدات الشاذة . إلى أحد أناعه المدعو « محمد إسماعيل الدرري » أمر
رعاية التوحيين الذين مرحوا من اليمن بعد سيل العرم إلى سوريا ، ومكثوا
فيها . ولم يعادروها مع الذين عادروها إلى مصر ، فكان هذا من شأنه
أن يعلب هذا الاسم عليهم . وأصبحوا يلقبون « بالدروز » نسبة إلى هذا
الشخص ، في حين أنهم يتبرؤ منه . ويقصون سيرته . ويباهضون تعاليمه
لتي تحالف معتقداتهم .

وما دلت دولة عاظميين . شد التوحيون انقيادهم في حب رحاطهم
إلى لسان . وأقاموا بجهة الشوف . وما زالوا حتى اليوم يقيمون في هذه
البقعة وما حاورها

المختارة

وتقوم على مقررة من عقليين قرية مختارة . تحيط بها اغابات الشاسعة
دات لأشجار الباسقة . وربما في هذه القرية قصر الأمير كمال حسلاط .
ارعيم الدرري الشهير . وهو قصر قديم عابث في الروعة . يشرف على واد
يريد في حمه . ويحيط به القصر شجر السرو الدائم الاحضرار القارع
صوب .

ولأمير كمال حسلاط . رئيس حزب تنقدي الاشتراكي في لبنان ،
متشقف ثقافة عالية . وقد وزع جميع ممتلكاته الوسعة التي ورثها . على
أفراد قريته . ولم يحتفظ لنفسه منها إلا بما يقوه بدوره .

الباروك

انتقلنا بعدئذ إلى منطقة الباروك . وهي مصيف جميل تعلو سطح
بحر بمقدار ١١٧٠ متراً وتعد عن بيروت بمقدار ٥١ كيلو متراً . منحها
صخى . وجوها حاد . وفيها النع الشهير المعروف بـ الباروك . يتمحرمؤه
العدد الغريب من صحور تكسبها لأشجار . ويقصد منطقة الباروك .
كثير من الناس للتمتع بجوها الجميل . وهبوطها أشمل . ومناظرها الطبيعية
الغائبة ، فمن حبيب عادية تكسوها الأشجار . وصحور جميلة الشكل تست
فوق رها ، الأعشاب البصرة . إلى عادت كثيفة يزيها شجر الأرز الذى
يسعد في النفس أسمى صور ألوان بالحمام . تست حوله زهور متنوعة
الأشكال والألوان .

اتحدنا لما جلساً في تلك المقهى الهادئة . تحت شجرة تميل أغصانها
مع الريح حيث ما . وتشدو الضبور فوقها أحياناً تستمد حراها من روعة
المكان . فتناولنا صعداً في ذلك الجو الساحر على أديم أرض نثرت لأشجار
فوقها أوراقها صفراء . وشراباً من ماء نبع الباروك البارد العذب . وكان
الناس قد اجتمعوا تحت الأشجار وشرفات حتى حوله برفصود ويضربون
ويتنعمون بالأعاني العذبة . وكانت الطبيعة تشاركهم أفراحهم ومسررتهم
بجوها الساحر . وشمسها الدفئة وهوش العليل .

عين زحمتا

ما كدر نترك مع ندروك الشهير ونفصع طريقاً جيداً ممهداً بالأسفلت ،
حتى بعد عين زحمت . وتعدو سطح اسحر بمقدار ١٢٠٠ متر . وتبعد
عن مروت بمقدار ٤٦ كيلومتر . وقد هي محاسة بعدت باسقة الأشجار .
جود حاف . ومساحها صحي . وبها عررة عدة باردة . وقد شهدنا
فيها آثار هيكال قديم قبل له إنه كان لأحد آلهة الأشوريين بين كدلو
بقيموه في تلك المنطقة في العهد القديم

عين الحنف

وقد احترنا في هذا المصبف النحاس عين ماء بأعلى القرية يقال
عين حنف . وهي مع ماء بارد عذب . وقد سميت كذلك لأن الأمير
شهر الشهير كبير كان يبنى بأعدته عدها ويعتد الصلح معهم .

نبع الصفا

أفصت لنا في قرية مع الصفا العذقة في الريف الحضر . طريق
معدة . لأستمت . تحف ب المناظر الطبيعية الماتة . فرنا فيها نبعها

شهر 'مارد' عرب . وقد حر مباحه لأمير بشير نشاني الكبير في ماضي
 في بيت امين . وقد رأينا آلات حديده التي قيمت على شلالاته لموايد
 لثير الكهر في بني عدي شركة نزم بيروت . كما شهدنا حول السبع
 مدهفاً مسياً على اصرار الحديث . قصصنا فيه نبئت في ديك الحواساخر .
 وكان صوت شلالات شهر بدوي في آدنا لشدة الجدار مائه فيطر بنا .

الفصل الحادي عشر

مصايف الجنوب

أرد لعم أنو صنوس كعادته قبل القيام برحلتنا إلى لبنان الجنوبي ، أن
ينقل إلى مسامعنا سدة تاريخية عن المناطق المرمع ربرتها ، حتى نكون على
بينة من أمره . وفي جلسة على سع البيروك . تحت ظلال الأشجار الباسقات ،
وفي ديث البحر الساحر الممتز . وعلى نفحات خريبر الماء المنساب من
ديث السع الحميل . ومدعنه لسيم لأعصاب أشجار الأرز الخالد قال :

كان لسد الجنوبي عظيم الأهمية في اعصور القديمة ، فأبحرت من
موانئه مراكب الفينيقيين موشوقة بأنوع البضاعة ، إلى الموانئ والبلدان الواقعة
على ساحل البحر الأبيض المتوسط وفيما وراء المحيط الأطلسي ، وكان
سبق لهم أن ارتادوها واحتنصوا بثمنها . وتحررو معهم ، وقد ساعدتهم هذا
الاحتياط . على أن ينعوا دوراً هاماً في اقتصاديات تلك السد . وأن
يكونوا رسلاً لشبر المدينة والمعروف والمعروف فيها .

ولبنان الجنوبي . سهل فسيح محصور بين البحر . وسلسلة الجبال
الساحية . التي كانت العابات ذات الأشجار لسامقة تكسوها .

وكانت تلك الحيات تؤلف في الماضي حصصاً دفاعياً مبيداً . تحده لميبتيون درعاً
 فيهم رد عازات الأعداء . وينقسم هذا سهل إلى قسمين . في الشمال سهل
 صيدا وهو مكل لصحراء الشويشات التي تمتد من نهر الأول . والخرى لأعلى
 من نهر الدروك إلى نهر القاسمية . وقد تعي كثير من الشعراء في ذكر نهر الأول
 الذي أطلق عليه العرب نهر الحجة لأنه يروي حدائق وبساتين الفرديس .
 وفي الجنوب سهل صور . ويمتد حتى نهر القاسمية . إلى رأس القفورة .
 نهاية الحدود اللبنانية . وهذا الجزء من سهل الخنوف . يكمل لسان الشمال
 وترجع حصوية النربة في أبنان الخنوف إلى وقره امياه . ولا سيما في
 السهل بخادية مدشلى . . فهي من أحصب بقاع العالم . وورعها محصولا .
 وتنتج الحبوب بأنواعها وأوسع خري الذي هو خود تنع في عدم .
 والليمون والبرقال ولوز والمشمش والتفاح والتين والبرينول
 وقد ساعدت حصوية نربة سكان أبنان الخنوف على الأعمال الزراعية .
 وجعلتهم من أمهر ررع العالم . كما خلقت منهم موبهم صيديين ماهرين .
 وتحاراً بارعين حادقين . وقد ورثوا جميع هذه الصفات عن أجدادهم
 القبيقيين .

تلك هي بدة يسيرة . سردها على مسامعنا اعم أبو طوس . ونحو
 خلوس محور نبع الباروك . ولد عادرده . سرى في طريق معدة تحف
 بها الأشجار . وتنصب من ورثها عذبات الصنوبر الشسعة . وكان
 لسيم العليل يهب عليها . فيوقع على أفاسها ذات الأورق لأبرية ألحان

الخنود . وهي من وحي الصبيحة فترقص لرقبها اللابل والشحارير . التي
قامت تصدح عليها بأشجار يتجاوب صداها بين التمم ولوديان . وقد كل
تلك شمع تربيمه هدنة اشتركت في حراجه صبيحة وقد حوت .

جزين

طوبيا في أثناء الطريق إلى لسان الجسولي كثيراً من القرى والمدساكر .
المعمورة المسطر الصبيحة . إلى أن بدت لها من بعيد جزين قرية الساحرة
تي تطلو سطح البحر بمقدار ٨٠٠ متر . وتبعد عن بيروت بمقدار ٨٢
كيلو متراً . وهي حائمة فوق مساحات صحيرية . فيها روعة . وهي
حما . تستريح فوقها الأشجار النابتة بأشده أعصابها خضراء كالأعلام
في الأعصاب . كما ينصب فوقها مدرج تتي تحمل طابعاً خاصاً شكلها
الهندسي بسبب السبع . تحيط بها الحبوب وقد حنطها القوم وعرسوا فيها
حديقاً مكنة

ما تحمل تلك الحبوب . وهي تمتد بأصوب على مدى المصر . وتندرج
بالارتجاع فوق أشجار ١ ١ وقد وقف أمامه حاشعين . فرعاً مسطر
ماء منساب من رأس جبل الذي ترصع هامه لأشجار . وهو يهوى
بقوة من عنو ٤٠ متراً من فوق تلك الصحور لأرية التي تتيه حراً وكبرياء
لتصوت على المدهور . فيسمع لسقوطه دوى شديد . ثم يتدثر رداً على
الجبين . ولا يلتفت إلى بحر الماء فوق الخصة في واد لا قرر له . قد

انخفضت حاجتيه . وابتسطت تحته الريص الحصراء التي يتغصن فيها
فيرويا .

ما أجمل شلال حزين ! ! وما أعذب الماء الذي يسيل في واديه ! !
إن حزين هي بحر مصايف الجنوب باعندال حوها . ورقة هواها . وعدونة
مائها . وبرودته الطبيعية ، وكثرة فاكهتها الشبية .

ويقع في الجهة لشمالية من الشلال غابه الصومر الفيحاء . وهي من
أجمل مشاهد حزين . يواحيها من الجهة الشرقية الجنوبية كروم العنب .
التي تمتد إلى مسافات بعيدة فيها

تنمسا في حزين . وصفا في شوارعها بين المطاعم والمقاهي الفاتنة وقد
حرص أصحابها على أن يقيموها حول يساع الماء التي تنكث في تلك الجهات
بصلها أشجار السرو الشامخ الارتفاع .

مغارة الشقيف

وتقع على بعد قليل من حزين قرية الشقيف . وهي ضيعة صغيرة
ليست بدأت شأ . غير أن أشهر ما فيها مغارتها العجيبة المنقورة في قلب
الصخور . وتعرف بمغارة الشقيف . أو مغارة حجر الدين . لأن الأمير
حجر الدين المعني . قد احتأ فيها من وجه الأتراك الذين كانوا يطاردونه ،
ولم ألقوا القبض عليه . قدومه إلى الإستانة حيث قتلوه سنة ١٦٣٠

بكاسين

أما قرية بكاسين القريبة من حريس فلا تقل روعة عنها فهي محاطة
 بعدة صخور شاسعة تشرف على وادى حريس .
 قصبا في هذه البقاع يومين كاملين . لم ينجح عن عبور هبما
 شيء من جمال المشاهد الطبيعية الرائعة ، التي تقترن بنظف قوم . ليس
 أيسر من أن تتعرف معهم ، وأن يحوكم في ديارهم على الرحب والسعة ذلك
 لأعجب لأن صفاء نفوسهم مكتسب من صفاء جوهم

مرجعيون

عادر تلك القلاع الضخمة . في طريق تناثرت حولها قرى معمورة
 بالعياص وأرياص . إلى أن وصلنا إلى مرجعيون . وتقع على ارتفاع ٧٨٠
 مترا . عن سطح البحر . وسط سهل خصيب ترويه عدة ينابيع عذبة
 سارت سيارت في وسط هذه المدينة المكتظة بالسكان . الطبيعة اساح .
 المشهورة بشدة رحابها . وقد سجلت لهم بطونهم المعارك التي دارت بينهم
 وبين جنود فرنسا الحرة الذين هاجمهم في الحرب الكبرى الثانية .

حاصبيا

ولما أشرفنا على حاصبيا وهي قرية قديمة تقع في أسفل وادي النسيم .
حيث عاش محمد بن عيسى الدرري . مؤسس الطائفة الدررية . أحد أهم
أبواب يسرد على مسامعنا تراثاً عن تاريخ هذه القرية وما حورمه من
القرى لأخرى . وكيف كانت في حاضري مسرحاً لحوادث أليمة .
ونعمو حاصبيا عن سطح البحر بمقدار ٧٥٠ متراً . ويكثر فيها شجر
الورد والبرتون وكروم العنب . وقد شاهدنا الكثير منها مغروساً على
المساحات الخسنة .

نقلنا بعدئذ إلى خلوت أبيص . وتقع على رابية مرتفعة فيها . وهي
مكان مقدس عند سرور بحروب أبناء في أوقات معينة من السنة .

راشيا

وبعد أن تجاوزنا حاصبيا . وشاهدنا بعض الأماكن الأثرية فيها .
ربسنا إلى راشيا القريبة منها . وتقع على ارتفاع ١٣٥٠ متر عن سطح
البحر . وهي تشرف على وادي نهر المهد الطائفة الدررية . ورواق هذه
القرية قبتها شهيرة التي عتقل فيها الشيخ بشارة خوري وزير ص ص
والوزراء كميل شمعون (رئيس جمهورية لبنان الحرة) وسليم تلاله وعادل

عسيران وعبد الحميد كرامى .

ويستصب فوق تلك القاع جبل حرمود لدى حاء ذكره في لتورة .
وقد أضيق عليه اعرب جبل الشيخ . لأن المثلح يتوج قممه العاليه التي يسع
ارتفاعها عن سطح البحر بمقدار ٣٧٦٠ مترا . على مدار السنة . كان
القدماء يصطوبون هذا جبل نظرهم إلى آهتهم . وهذا ما دعاهم إلى أن
يقيموا لمعدن وخب كرن على ستموحه . وكان شهرها هيكلا على حرمود

صيدا

استمتعنا ببيئة هادئة في حاصبيا . حتى إذا تنفس الصباح . مهضبا
من يوم . واستأنفنا رحلتنا هاضين إلى صيدا ، في دروب وطرق كما نرى
فيها الملاحين يقتول السواعد . الأقوياء الأحسام . قد انتشروا في
حقولهم ، ونكسوا على أراضيتهم - بعمه ونشاط . يتعهدونهم - للفلاحة والريادة
والرى . يوسثلهم انخاصة .

بلعنا صيدا قبيل الظهر . وقد أسسها النيبقيون على الساحل شرقا لبحر
الأبيض المتوسط ، جنوب غربى مدينة بيروت . وتعد عنها بمقدار ٤٨
كيلو متراً ، وقد كانت هذه الميناء في عمرة التاريخ . حمة الصيادين ،
لكثرة سمك الختف الأشك والأكوان الذي يأوى إلى مياهها . ولذا
أطلق عليها النيبقيون لفظة « صيدون » الميسقية . ومعناها « صيد » وقد
حرف اسمها بمرور الأيام . وصارت تعرف « بصيدا » كما يقال بها سميت

بهذا الاسم ، نسبة إلى صيدون بن كنعان بن حام بن نوح ، الذى أسسها .
وقد غزا القبطيون بسفن صيدهم الصغيرة ، من هذا الميناء التاريخى
القديم . جميع أصقاع العالم التى كانت معروفة فى ذلك الوقت ، كما استعان
الفاثحون من المصريين القدامى والآشوريين والبابليين واليونان والرومان
وعرس هؤلاء الصيادين فى الأعمال الملاحية ، والحروب البحرية التى
جلدت اسمهم فى بطون التاريخ .

وبل هؤلاء قوم يرجع الفضل فى اكتشاف الرجاج ، وذلك عن
طريق المصادفة . كان جماعة من الصيادين الفينيقيين . جالسين على
شاطئ البحر للاستراحة بعد تعب من صيد كثير ، فتناولوا سمكاً وشووه
على الرمال الناعمة البيضاء ، وبعد أن أكلوا واستكفوا شاهدوا للرمل بريقاً
غربياً ، فهدتهم قوة ملاحظتهم إلى شئ ما . كان بداية اكتشاف الرجاج
الذى نعم اليوم بتأثيره . ونحى ثمار مراده . ويرى به منازلنا ،

بقيت صيدا مهمة مدة طويلة من الزمن . إلى أن أدرك الأمير
فخر الدين المعنى . فى القرن السابع عشر . أهميتها . وما كانت عليه
من العظمة فى العصور التاريخية القديمة . فأتحددها مدينة تجارية وقد
ضمت إلى لسان بمقتضى معاهدة صلح فى سنة ١٩١٨ .

قضية يوماً كاملاً فى هذه المدينة التى تقوم اليوم على أنقاض مدينة
صيدون القديمة . فتحولنا فى بساطتها البانعة وحدائقها الغناء العامرة بأشجار
القهاكة التى تكتنفها من جهتيها الشرقية والشمالية ويرونها هر اساروك
وتحلب مياهه من أعالي الجبال . ومما يريد فى حمال صيدا ، مناصر تلال

ورنى جبل اريخان . ثمانية وربع الخدائق والبساتين فى الجهة شرقية منها .
ولعبها سميت بهذا الاسم لكثرة أشجار اريخان التى كانت تكسوها فى
الماضى . وتعطر جميع الأرجاء التى تحيط بها بشذى رثحنها الدكية .
وقد رأينا كثير من آثار هذه المدينة من فينيقية ورومانية ويونانية
وصيبية وهى تطلق بعظمها . ونذكر من يراها فى ذلك الماضى العبد
يوم أن كانت مدهرة بامية . يخطب جميع الفائحين العراة ود أهلها .
للاستفادة منهم . ومن مواهبهم الملاحية . وتعتبر صيدا اليوم مهداها الحمينة
اشدسة . وساتبها المدهرة ببيعة . وساحلها الفانس . من أهل المدن واقعة
على شاطئ البحر المتوسط

وصيدا غنية بجوامعها الأثرية الثمينة فى مختلف أرجائها . وأهمها الجامع
الكبير وجامع البحر وجامع الطاح وجامع المضلية وجامع الخلد . وكلها
آية فى الفن الذى ألبسه التقدم ثوبا من تقديسة والوقر .

وقد أحرق العم أبو صوس فى سباق حديث دار بينه وبين حوس
على شاطئ البحر . يستعيد ذكريات أولئك تقوى عذرين . أنه فى
سنة ١٨٨٦ قد استخرج حمى لك مدير المتحف العثمانى . من مدافن
صيدا . وكانت فى ذلك الوقت ولاية عثمانية . أربعة بواويس من
المرمر الخالص . الدبيع الشكل . العلى شمس . الحميل الصنع . وكل قد
اكتشفها المسيو ديمو دوريجيو . ونقشها الحكومة عثمانية فى متحف
الأستانة وعدد شدد بعض علماء الآثار لإحليل . هذه بواويس .
وعزوا إلى حكومتهم أن تعرض على تركيا أن تسرد ما عن جميع ديونها
(٦)

مقابل أن تنار لنا تركيا عن هذه النواويس الأربعة الأثرية. ولكن الحكومة التركية رفضت هذا العرض. وهذه لنواويس هي تحفة رائعة ترين متحف الأستانة اليوم .

صور

كانت بيتنا منعجة إلى ربدة صور . التي تقع في الجنوب عرفت من صيد في ذات اليوم . ولكن صيق الوقت . حال بيننا وبين رعتنا . فخرجنا صيدا إلى صور في اليوم الثاني مبكرين . في طريق جميل معبد بالأسفلت . يشرف على شاطئ البحر اخذنى . إن لفظة صور ، معناها الصحرة . أنشأها امث حبراء الفيني . على شبه جزيرة صخرية . وأوصلها ببيكل هملكار . بطريق معبد . وكان في هذا الميكل عمود من الذهب الخالص . أهده إليه سليمان الملك . الذي كان مرتبطاً معه برباط الود والصداقة . مكافأة له على إرساء العمال وحشب الأرز . لتشييد هيكل أورشليم في أواخر قرن التاسع قبل الميلاد

ويحيط بصور من جهاتها الثلاث الشمالية والجنوبية والعربية . البحر . وتقع في الجهة الشرقية منها . حدائق ارتفال الشاسعة .

كانت هذه الميناء في الماضي على مبلغ عظيم من الأهمية والعظمة . وقد أحرز في محاربتها مجداً تالداً ، لقبث من أجله « بملكة البحار » . ويرجع الفضل إلى صور . في اكتشاف الملوك الأرجوانى الحميل .

الذى جاء ذكره في الكتب القديمة . وقد هدتهم إليه الصدفة .
كان جماعة من سكان صور القينيقية . جالسين بالقرب من
الشاطئ الممتد بين صور وعكا . فرأى أحدهم أضواء . حلزونية شكل
سل منها سائل يصير لونه إلى الحمرة . وكانت الأمواج قد قدفت بها
إلى الشاطئ . وحلفتها وراءه فوق كتل الرمل . تحت أشعة الشمس .
وقف ذلك القينقي يحرق النظر في هذه الأصداف سحرية . ويتأمله
بعين المكتشف . وقد حصب السائل المساب من الرماد التي حوتها
الأحمر ، فحمل بعضها إلى بيته . وأحد يجرى فيها أخته . بأن ستخرج
الحيوان الموحود في دحنها . ويتدفق رأسه . وأحد منه مادة صفراء اللون .
مزجها بماء البحر ، ثم عالج المربع بوضعه فوق نار هادئة في بدء من
الرصاص ، فكان هذا أول اكتشاف لؤلؤ الأرحوني . الذي يعم علم
اليوم بجماله ، فكما هدت الصدفة سكان صيدا غيبتيين إلى اكتشاف
الزجاج ، هدت كذلك سكان صور إلى اكتشاف اللؤلؤ الأرحوني
كانت تملك صور في ادصي أسطولا خرياً عصبياً . اعتنصه بها
ملك صيده بعد حروب طاحنة وأخره إلى شام أقرنق . حيث أسس
مدينة قرطاجنة الشهيرة التي دفت روما فيما بعد ردياً طويلاً من الزمن
وقد حاص قننده المعمار هابس . حروباً دامية مع الرومان وعراهم في
عقر دارهم . بأن عبر حبال الأس . ووقف على أبواب روما يدقها .
ويهددها . ولكن سوء الطالع وقف له بالمرصاد فحده الخط فكانت العلة
في النهاية للرومان .

قصيباً يوماً كاملاً في صور أم قرطاجنة المدينة التاريخية العظيمة ، ثم
رحلنا عنها في الصباح الباكر فمررنا بكثير من القرى التي تشرف على
الشاطئ ، ولما بلغنا هضبات الشوف ، بدت لنا أشجار الزيتون الرصاصية
اللون ، ذات الأعصن الكثيفة ، وهي تصارع في عصمتها وقدمها ،
أشجار زيتون الكورة في الشمال ، ولما وصلنا إلى الدامور حترقت سيارتنا
صريعاً تنصب على جانبها أشجار التوت التي يعيها الملاحون يوم
إثريّة دودة نقر والتي تشتهر بها الدامور ، وكان محصول الحرير منها في الماضي
واهم في لسان قس أن تمتص كثير من القرى من شجر التوت ، وترجع
مكانه شجر الناكهه .

الفصل الثاني عشر

بيت مري

يعتقد الساميون وهم على حق في اعتقادهم . أنه ليس على وجه السببية
أجل من لسان . ويتجلى هذا الجواب في كل بقعة من بقعة التي تقع
عنها العين . فجميع قرى النهر هي لوحات حية . رسمت يد الطبيعة .
وتمتد إليها يد الإنسان وصعدت أشجار الصور الخيالات . التي يطل
على سحر بقائمه المشوقة . ويعتطف صخوراً متسلسلة فيها روعة وها
السيحان على لحوب حرق المعده . لا تسقط . المتعادلة في وسط الجبل .
في هذا الطريق سرت سيارتنا من بيروت مارّة بقرى فائمة إلى بيت مري
مري . وهي من أجمل مصييفات النهر . وتعدو سطح السحر تقارب
٧٥٠ متراً . وتبعد عن بيروت بمقدار ١٧ كيلو متراً . وها أشهرت بيت
مري حسن موقعه . وضيق مساحته . وروعة المناظر التي تكتسبها . وهي
تأتي من مصييف فيبتيق بين المداينة فكأنوا يد هبوبها عند ما يشتد بحر
في بيروت تقربها منها . ويرى امرء من بيت مري السحر مسطت تحت
قدميه بأمواحه الرقء راحرة . تعلو وتهبط وهي في حبرة من قرء . ثم
لا تبت أن تعود إلى مستقرها . وهي تتعنى معانها السحرية التي كل

يصرّب لها أولئك العينيّون . الذين عشقوا البحار . كما أقاموا هم فيها معبداً
لإلههم بعن مرقد . كانوا يحجون إليه في الموسم والأعياد . ويقوم اليوم
على نقاصه في الجهة العربية منه دير القلعة لرهبان المورثة .
زرنا هـ الدبر . فإذا هو يطل على سهرى العجماى والمنى . تحيط
به عادت السديان الشاسعة . ويتنصب فوقه حلا صنين والكيسة . وهما
يناطحان السحاب في علوهما .

وقد قيل لنا في مبنى هـ الدبر . كثيراً من الحجارة المقتتعة من
الهيكل الميسيقى القديم . تحمل بعضها كتابات ميسيقية . وقد لفت نظراً
المكتبر حبل بنى صحور صسة شديدة الشبه بالمرمر المحزج حداث الهيكل القديم ،
هى بلا شك ثروة مبان إذا شئت وحوود مثل هذه الصحور على اتصال واسع فيه
شورع بيت مري نظيره واسعة ومضاعة بالكهرواء . وفيها كثير من
مصدق وملاهى التى ترعب المصطفين في الذهاب إليها والإقامة فيها .

برمانا

بين حمل الطبيعة الذى كان يخف بنا . وحلال الماطر التى كانت
تترعى لنا . وصلنا إلى برمانا . وتقع على قمة حل يشرف على البحر ،
يدهشك ما يجعد به من الماطر . التى جعلت عليها الطبيعة سمورها وجمالها .
ههناك عادات الصوبر الشاسعة . وهى من أروع منظرها . يتردد إليها
عشق الطبيعة ، فيلتصون فيها الهدوء وسكينة . وسط غيرها الدكى ،



شهر مشهد در ده ضلع علی مدنی (قرن بیستم)
- در وینستون چرچیل -

التي تنشره في الحو فتحتف أحبهم ويحفظ عنهم ثقل الحياة .
 ورماد لقصة فيسقية معاهدا بيت كرم . وهو له كاد القيسقيون
 يعدونه . وقد بنوا به هيكلًا في تلك البقاع ضاعت أيوم معالمه ودرست
 آثاره

ورماد عذبة المياه . حيلة المالح . وأشهر يبيعها عين أبو خليل .
 وهو بيع معدني مائة عدد علي . ويرودنه طبعية كسائر يبيع لند
 ولا تقل رمان في تسبق شوارعها . ويضاف . وحل مسرف . ومخدمة
 مادف . وتعدد ملاهيها عن بقية قرى الاصطيف الأخرى .

معدات

ليس بحر قرى مثل مقصور على قرية دون أخرى . أو صورة طبعية
 يعزى حمدا مصر . في تقع كلها وحى وإحد شعور . وحمل . وإحد
 جدت عريب . لها طبعها خاص لدى تمير به وتحمله على الشعور
 . . الحما . رد . م . برد . تلك هي صورة مصعرة طاقت بمخيلتنا ونحن
 وصل صعودنا في صريق مدس وهذا معدت . وتعد عن بيروت
 مندر ٢٣ كيلو متر . وتعدو سطح البحر تقدر ٨٥٠ متر تحيط ١٠
 عدت من جميع وجيب هوؤد نقى . وجوه لصف . وماؤد عدت . رد .
 وشو . وسعة صيته مصد . كهرماء . ومروشه بالأست . وبيتها
 حميد حديدة وقد ريب في أحد شوارعها رئيسية تمثلا لمقصود به نعيم

الملكي الذي كان أول رئيس لخمس امواب اللبناني . كما شاهدنا قاعدة
حمية تمثل شاقنا أن نعرف أمرها ونقاءها على تلك الحال . فعلمنا أنها قاعدة
لنقال المرحوم أميل لحود وزير مالية لبنان الأسبق . فمها له أهل بلدته وهو
على قيد الحياة اعترافاً منهم بنفسه على قربهم . بيت القاعدة وهي منزل
في انتظار وضع اثبات عليها

وبقع في أسفل بعدات مع العرعر . فربما به فإد هو من أشهر
بنايتها . ماؤه ورد عدد غريب . يسير في قوت تروى الحداث وساتين
التي تمتد تحته على مدى اسطر .

ويقتل بعدد عن شقيقتها قرية المنى الأخرى المعينة فوق الحجاب .
مثل العربية والشبانية وصلها وفرديل وبردين ورأس المنى مترعة على
رأس الحس . في المنى الأعلى وجمعها قرية فاته صه لاسح تريها
عادت الصور السبعة التي يكثر وجودها في المنى - هر مثل الذي
يؤلف مع هر معجني . هر بيروت وقد أقيم فوقه حصر حجري تركه
سيارته حوار مقهى قريب منه . تديره سيدة سرور صرعه ولطفها وحس
مقدارها لها وسر على قدمها . وعدينا قرية شعبد معترب . انادي قسده في
مطار بيروت الدون . وتقع وسط عانة صبور . تصل على الهر . وكان
حس أثناء الطريق بحرب بصوته اعدب . وسما فخر تنقل في طريقه
نمتع بصر حمام اصبعه التي تحف بها من كل جانب . ونسمع إلى
همس نسيم حبيب الذي كان يوسوس بين أفد الأشجار . بعد كرماء من
العب بعيد المدى . كد أوب من رأيا فيه شخصاً يلبس قبة من القش .

وعلى كتفه بندقية صيد ، يتسلق الأشجار بخفة ، ويصعد في الجلول برشقة . وفي يده سلة كبيرة كان يصنع فيها ما يجمعه من كرمه ، بحيث ما كاد يسمع أصوات الغناء حتى تنه لما . وأخذ يحدق النظر لما ، ثم ما لبث أن أسرع نحوها . فعرفها لأول وهلة ، أما نحن فلم نعرفه ، عرفاه عند أول عهدنا برؤيته في مطار بيروت الدولي ، شيخاً هزيل الجسم . أصفر الوجه ، محني الظهر ، يكاد لا يقوى على إخراج الكلمة من فيه . أما في هذه المرة فرأينا فيه شيخاً حليلاً الهيئة . مورد الحديد معتدل القامة . ممتناً صحة وعافية . فحدثنا من رؤيته عن هذه بصورة ولكنه قال :

لا تدهشوا انظروا ما فعل في هواء لبنان وطيبة مناخه ، وعدوبة مائه . في هذه عناصر الثلاثة إكسير الحياة الذي يبحث عنه العلماء ، فقد كسبت في مدى زمن قليل من موهور صحة والعافية . ما أصعبته في الاعتبار في ربع قرن من الزمان . قالت سدي : عجباً في هذه المدة البسيطة التي قضيتها في لبنان ، ردت إليك العافية "

— أحاب الشيخ . لا تعجبي يا ابنتي فإن من تربة هذه الأرض أخذت . وبماها جبلت ، وهوائها العليل تشقت ، فكل شربة ماء من نبع الضيعة تساوي دار الغربة بأجمعها ، وكل نسمة هواء تهمس في أغصان شجر الصنوبر والسنديان والصفصاف ، تساوي مال العالم أجمع ، فانظروا إلى كيف كنت وكيف صرت .

سار شيخنا وسرياً وراءه . حتى اقتربا من بيت قديم نشت لأعشاب
حول جدرانها فقال :

هذا هو البيت الذى رهنته لأسور بن أمريك . وتلك هى
السنديانة التى كنت أجلس تحنها أعلم أصداً بقرية قبل سمرى ، مض
النهار ، وكنت أصلح الأحذية القديمة فى العصى الآخر . تلك هى
تذكرات تشوفى بن قريش . وتكرهى بالعروة التى فقيت فيها رهرة
شبابى ، وإلى اليوم سعيد بمعيشتى وقد استعدت لأرضى التى رهنتها
لأفلحها وأردعها وأتعهدا بنفسى .

وقد باع شيخنا فى كرم . فأعد لنا عشاء لسيياً فاحراً شهيماً .
وحلنا بعد الأكل نتحدث أصراف الحديث مع نمر من شيوخ نشت
بقرية . وكانوا قد عرفوا بأمرنا . فأتوا للسلام علينا . تلك هى عادت
نقوم فى القرى النسيية . وقد أجمع جميع الذين حادناهم . على أن احذرة
داء عصا . قد استشرى فى لسان . ولا بد له من دواء . بقبه شر هذا
المرض الوبيل ، فالقرى اللبنانية اليوم تكاد تكون مقتصرة إلا من شيوخ
والسواء والأصا . لأن الشباب لا تطيب له الإقامة فيها . بل يهرب فى
السفر إلى الأقطار الإفريقية أو الأمريكية أو بن عصى الأقطار العربية
مثل الكويت والبلاد العربية لسعوديه حيث يجرى الذهب الأسود . لرغبتهم
أن مجال الثراء واسع فيها . وما درى أولئك المساكين . أن ثمة مع الصحة
فى ربوع لبنان . خير من العى مع المرض فى العروة .

قالت سلوى : تحولنا فى كثير من قرى لبنان . من شماله إلى جنوبه .

ومن شرفه إلى عرته . فلاحظوا ولأستب يملأ أفئدتنا . أن المثل القائل الذي
سمعتاد من بعض شيوخكم . وهو « هيباً لمن له مرقدة عمرة في حبل لند »
لا أثر له اليوم .

نحب العم أبو طوس . صدقت . ولكن لا بد أن يعود ذلك اليوم
عند ما يعود المعتز بنون إلى بستان يعود نسمع فيه قول هذا المثل .
قصب نقيه يوم . ونحن ننحون في عبات لصوبير الكثيفة التي تكثر
في جهة اندس . وكروم العنب الشاسعة التي تحيط بقرية شبيحا . حتى يد
أمنت لند . قصبنا سيرة في داخل حيمة . نحب شبيحا في كرمه من
أحسن لأشجار . فكذلك نسمع أعلى الغد لمعته من كل مكان من
كروم عنب

وما أصبحنا . ودعاه وعد . نرحب إلى مصدر بيروت نادون . عن
طريق خمس . حيث يوجد مصنع مصدورين على رابية عالية تحيط به
دات مصوبير الكثيفة لأعصاب . فبعده قبل الساعة الثامنة صباحاً .
وتحدث إلى محس في مقصفه . وأحدثت تحدث مع العم إلى صوبير وسائق
حسن في تنصير استاذة عن شدة المسافرين . حتى إذا جاء الوقت و
كد . ودعاه العم إلى صوبير وشكره في حبل رعائته لند . واهتمامه بأمرنا .
وبدأ ودنا به من معلومات شائقة . وفصص صريفه . دوناه في مدكرنا
وحسب منه أن يرور في مصدر سرد في بعض الخمين الذي صوبير به عموقه .
فوعده ببيت قريب . ثم وجهه لشكر لسائق حسن على لطفه وطهره معه .
وعدده به هدية قبه شاكراً بعد إخراج شايه من الآلة سوى

كانت الساعة قد جاورت الثامنة عندما دخلنا المطار . فصعدنا إلى الطائرة ، واتخذنا فيها أماكننا ، وقد أعدت الساعة دقها نصف بعد الثامنة . دارت محركاتها . وعلا أزيزها . وتحركت . فتحرك معها قلب حسن ، وكان واقفاً من وراء المحر الخارحي يصدر إبه في تفكير عميق . وكأني به يستعيد في تلك اللحظة ذكريات هذه الرحلة القصيرة . وما كانت تتحدث به لأتمة سلوى وهي إن حواراً في السيارة من حديث شائق عذب

ود درجت الطائرة على أرض المطار . وأحدث تصعد في الجو رويداً كان حسن يدوح أما تمديله الأبيض ويمور

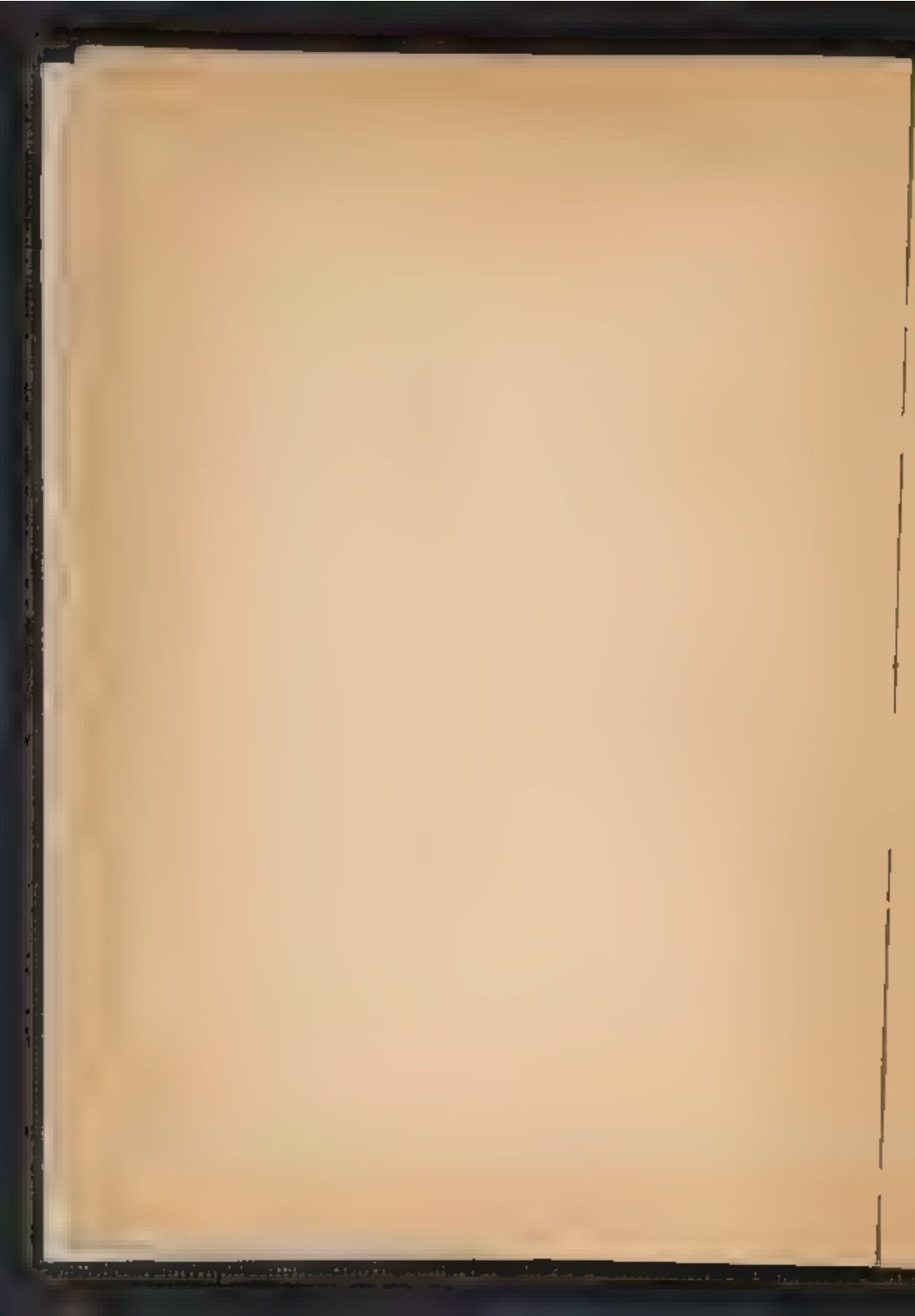
مع سلامة ، ويرى نفاذ في اسمه القادمة في ليل إن شاء الله . ونق حسن هكذا في دهول من فرقنا . حتى عدت الطائرة عن الأنظار . فعدت عن الحسم ولم يعد عن ذكرتنا صرعه ولصقه وحسن معاملته لها . وهي القصدت في يتصف بها جميع سائق السيرات في لسان . لم نشعر بالخوف في هذه مرة . وضائرة تصوي بها الحو معتقة في المقعد . لأننا أتمنا السمر بهذه الطريقة . حتى أدركنا مطار القاهرة الدولي ونحن على حسن حال . وهذا حال .

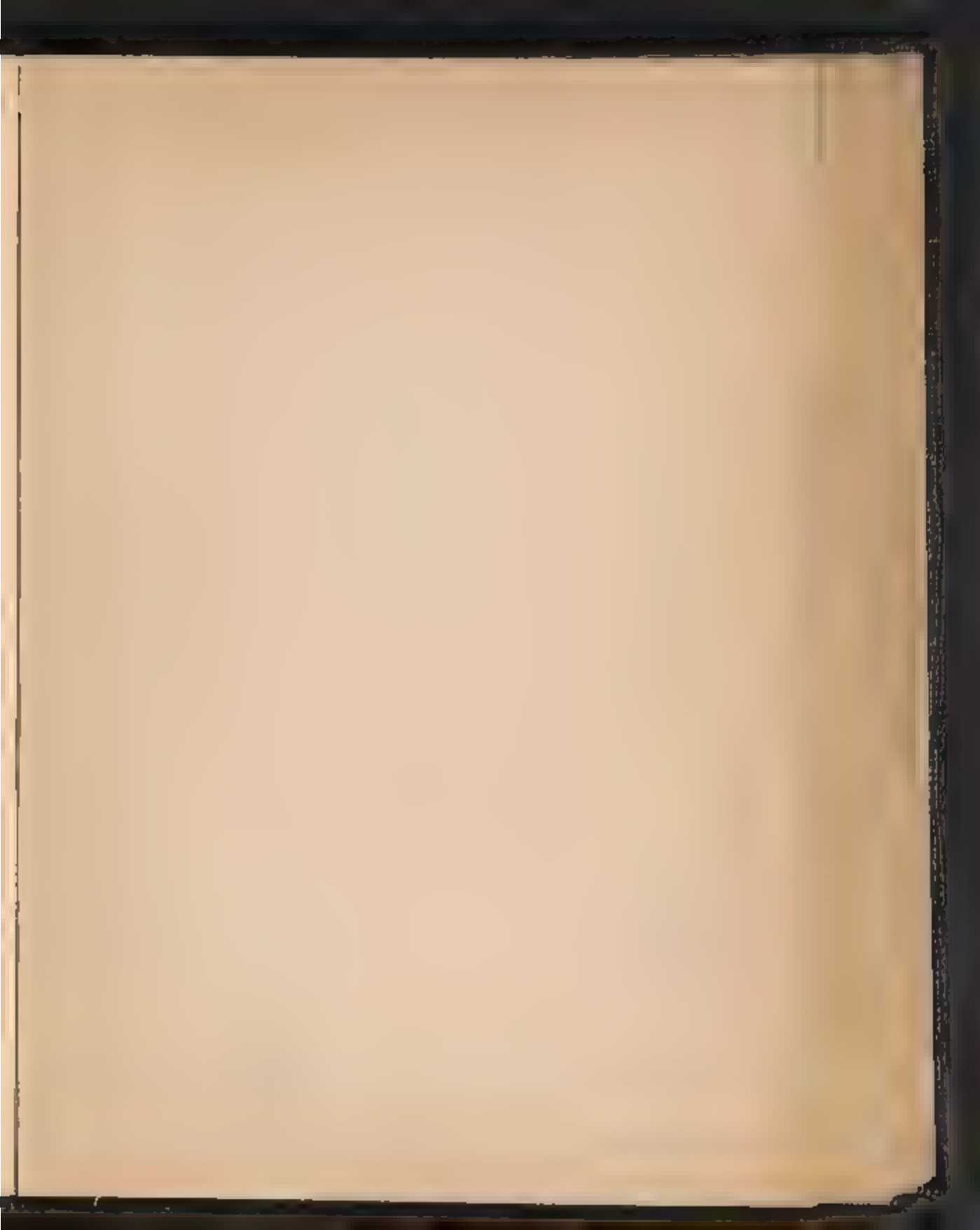
والآن ، وقد طفت معي أيها الفاري الكريم ، شكر في ربوع لسان الجميلة ، أرحو أن يسعدك الخط ، وتذهب بالرحلة إبيه . لنشهد الجمال الذي سطرته يد الطبيعة على كل بقعة فيه . وقد وصفتك بك

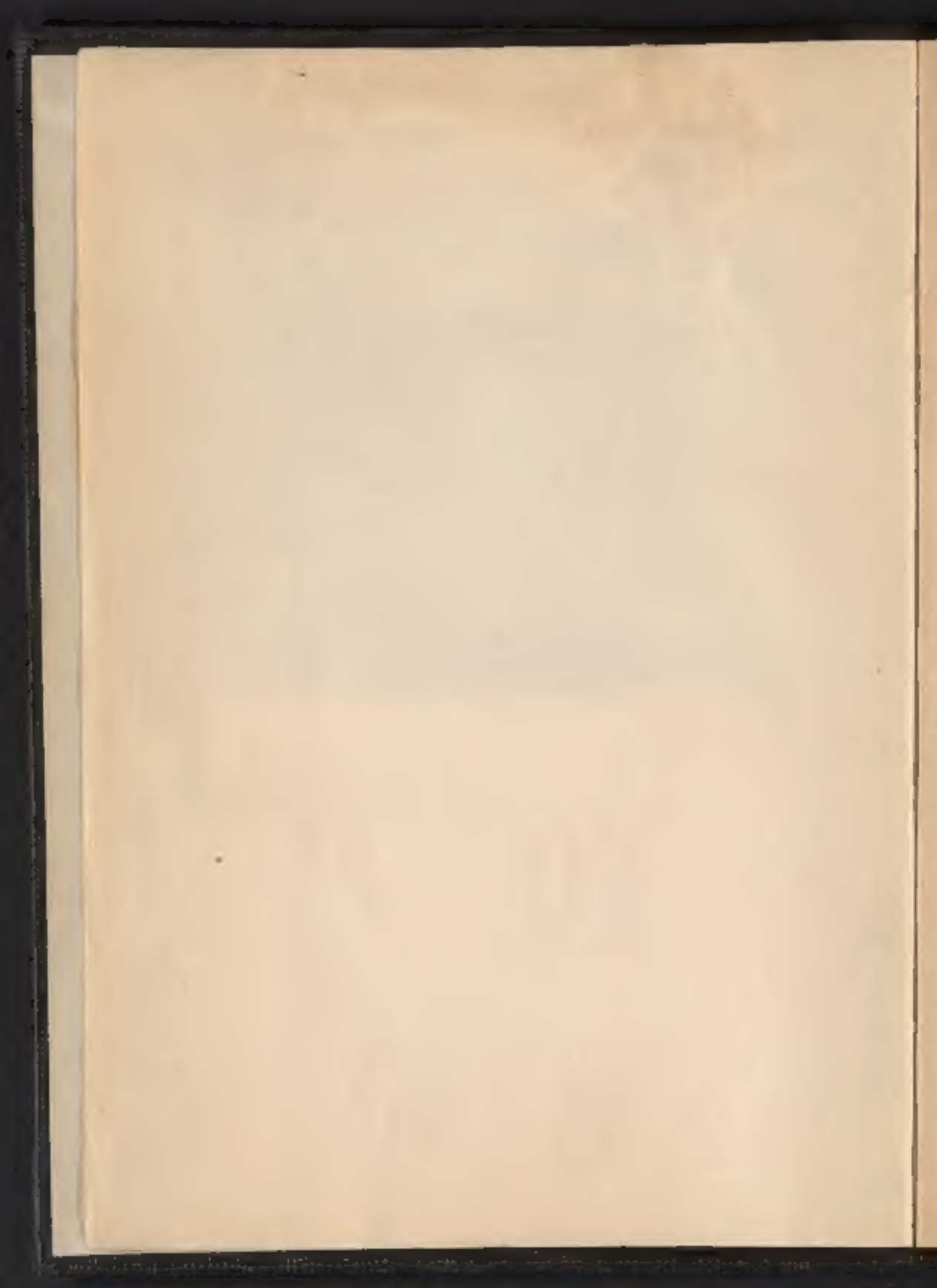
وأنا جالس أمام مكتبي بالقاهرة ، وفكرى يذرع أرض لبنان ، مرتع
السحر وموطن الجمال . من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب ،
وأنا أنشد تربيته الجمال قتلاً :

ما أعظم الطبيعة في لسان !
ما أحل سرار الجمال هناك !

إن صورة تراحم أدم الإنسان . وتظهر في كل خطوة يحطوها في دناء
الحمل ذات المناظر لغته . ما يحتق منها مشهد عن الأنصار . إلا لتظهر
مشهد أخرى أهدج وروع . تنطق كلها بآيات الله الأعظم . الذي
ختار هذا الكتاب الخالد الذي سمي « لسان » فحينئذ لم له مرقعة عمرة
في حبال لسان







AUC - LIBRARY



DATE

DS
80.2
Y3
1955

JUN 1973



1 0 0 0 0 1 2 5 0 9 9



